

Agatha Christie®

أجاثا كريستي

# الأجوف

جريمة قتل على المسبح

أسرار عائلية غامضة

XIII



رواية بوليسية للمحقق هيركيول بوارو

نشرت هذه الرواية من قبل تحت عنوان Murder After Hours

Death

# الأجوف

أجاثا كريستي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَا هَذَا بَشَرًا فِى دَرَجَاتٍ  
رَفِيعَةٍ كَذَلِكَ هُوَ  
مُتَكَبِّرٌ لَا يَخَافُ  
مُتَكَبِّرٌ لَا يَخَافُ

### لتتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت [www.jarirbookstore.com](http://www.jarirbookstore.com)

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: [jbpublishings@jarirbookstore.com](mailto:jbpublishings@jarirbookstore.com)

### إخلاء مسؤولية

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية من الكتاب. وعلى الرغم من أننا بذلنا قصارى جهدنا في نشر وترجمة الطبعة العربية، فإننا لا نتحمل أي مسؤولية أو تقدم أي ضمان فيما يتعلق بصحة أو اكتمال المادة التي يضمها الكتاب، لذا فإننا لا نتحمل، تحت أي ظرف من الظروف، مسؤولية أي خسائر أو تعويضات سواء كانت مباشرة، أو غير مباشرة، أو عرصة، أو خاصة، أو مترتبة، أو أخرى. كما أننا نخلي مسؤوليتنا بصفة خاصة عن أي ضمانات حول ملاءمة الكتاب صوماً أو ملائمته لغرض معين.

### الطبعة الأولى ٢٠١٤

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.

Copyright © 2014. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو أية وسيلة أخرى.

إن المسح الضوئي أو التحويل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك، نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

هذا الكتاب عمل أدبي، فالشخصيات والأحداث والحوارات من خيال المؤلف ولا تمكس الواقع. وأي تشابه بين أحداث واقعية أو أشخاص واقعيين - على قيد الحياة أو فاروقها - هو من قبيل المصادفة.

نشرت هذه الرواية من قبل تحت عنوان Murder After Hours.

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٢١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون ٤٦٧٦٠٠٠ ١١ ٤٦٦٦ - فاكس ٤٦٧٦٢٢ ١١ ٤٦٦٦

Agatha Christie

# THE HOLLOW

## نبذة عن المؤلفة

أحد أجانب كريستي أكثر الروايات انتشاراً، حيث نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات آغاثا كريستي، فقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات القصص القصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابي سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبها تحت اسم مستعار، هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف طبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى *القضية الغامضة في مدينة ستايلز*. وفي رواية *جريمة قتل في المعبد* التي تم نشرها في عام ١٩٣٠، قدمت محقة المروية هي الأنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق المرافقة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتيويجيس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي إسكوتلنديارد، المراقب باتل والمفتش تشارلي.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية *The Mousetrap* التي كانت بداية عرضها في عام ١٩٥٢، وقد استمر عرضها على خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة عن رواياتها جريمة في قطار الشرق السريع\*\*\* (١٩٧٤) وجريمة قتل على ضفاف النيل\*\*\*\* (١٩٧٨)، حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان "ألبرت فايني" و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التلفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن تمييزه أبداً، ولعبت الممثلة "جوان هيكسون" دور الأنسة ماربل، ثم تبعتها في تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكايوان" و"جوليا ماكنزي".

\*\*\* متوفرة لدى مكتبة جرير

\*\*\*\* متوفرة لدى مكتبة جرير

\*\*\*\*\* متوفرة لدى مكتبة جرير

\*\*\*\*\* متوفرة لدى مكتبة جرير

WWW.LIILAS.COM/VB3  
UPLOADED AND  
SCANNED BY :  
THE GHOST 92

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام ١٩٧١، تسلمت كريستي واحداً من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيده الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام ١٩٧٦ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وتم الاحتفال بعيد ميلادها المائة والعشرين في مختلف أنحاء العالم في عام ٢٠١٠.

[www.AgathaChristie.com](http://www.AgathaChristie.com)

إلى لاري ودانا

مع الاعتذار عن استخدام حمام السباحة

الخاص بهما كموقع لجريمة قتل

## مجموعة روايات لأجاثا كريستي

ثلاثة فئران صمياء وقصص أخرى	راكب إلى فرانكفورت
السيد كوين الغامض	أعذار من جريمة
تحريرات باركرباين	أوراق لعب على الطاولة
من الذي قتل السيد روجر أكرويد؟	قطار في اند هاوس
أبجدية القتل	القتل السهل
جريمة وانتقام	الموت على ضفاف النيل
موت في السحاب	القضية الغامضة في مدينة ستايلز
بيت الرجل الميت	خداع العرايا
شجرة السرو الحزينة	الجنود الأشهب
واختفى كل شي	قطار الأزرق
جريمة في بغداد	الأفيال تستطيع أن تتذكر
	الموت يأتي في النهاية

اتجهت الليدي أنجيكاثل ناحية النافذة ففتحتها على مصراعها، ثم حركت الستائر الثقيلة بحركة سريعة، سامحة لضوء شمس سبتمبر الباهت بدخول الغرفة.

قالت وهي تحديق النظر بمتعة كبيرة عبر اللوح الزجاجي، "الطيور كم هي جميلة؟"  
"ماذا؟"

"حسنًا، على أية حال، لن يمثل الطقس مشكلات، يبدو كأنه بدأ في الاعتدال. أما بالنسبة للضيوف، فعندما تجتمع مجموعة مختلفة من الشخصيات في مكان مغلق، أنا واثقة أنك ستواظفينني الرأي أن هذا يزيد الأمر سوءًا عشر مرات. لعلهم سيلعبون ألعاب ورق فردية، مثل العام الماضي، ولكنني لن أسامح نفسي أبدًا بخصوص جيردا المسكينة. قتلت لهنري بعدما حدث إن هذا كان تصرفًا طائشًا من جانبي، ويجب علي أن أدعوها بالطبع، لأنه من الواضح أن أطلب حضور جون دون أن أدعوها، ولكن حضورها فعلاً يصعب الأمور كثيرًا. وأسوأ ما في الأمر أنها لطيفة للغاية. أشعر بأنه من الغريب بحق أن تحرم إنسانة لطيفة للغاية مثل جيردا من أي نوع من الذكاء، وإذا كان هذا ما يقصده بقانون التعويض، فأنا لا أجد هذا عدلاً على الإطلاق."

"عم تتحدثين يا لوسي؟"

"عطلة الأسبوع يا عزيزتي، الأشخاص الذين سيأتوننا غداً. أنا أفكر في ذلك طوال الليل، والأمر يشغلني بالفعل كثيرًا، وأنا أرتاح كثيرًا عندما أشارك في الأمر يا ميدج؛ فانت عقلانية وعملية للغاية على الدوام."

قالت ميدج باقتضاب: "لوسي، هل تعرفين كم الساعة الآن؟"

"ليس بالضبط يا عزيزتي. أنا لا أعرف الوقت أبدًا، كما تعرفين."

"الساعة السادسة والرابع."

قالت لوسي أنجيكاثل دون أية علامة أسف: "أذن؟"

حدقت فيها ميدج وهي متجهة الوجه، كم هذا مثير للجنون، لوسي إنسانية مسنحلة! قالت ميدج في نفسها، لا أعرف حقًا لماذا نتحلمها!

## الأول

في الساعة السادسة والرابع من صباح يوم الجمعة، فتحت لوسي أنجيكاثل عينيها الواسعتين الزرقاوين لتستيقظ على يوم جديد. وكعادتها، أفاقت لوسي تمامًا على الفور، وبدأت في التعامل مع المشكلات التي يستحضرها عقلها اليقظ بدرجة غير معقولة. وعندما استشعرت حاجتها الملحة للشعورة والحديث، اختارت ابنة عمها الصغيرة ميدج هاردكاسل، التي وصلت إلى منزل هولو في الليلة الماضية. فنهضت الليدي أنجيكاثل بسرعة من فراشها، ووضعت الروب على كتفيها اللتين كانتا لا تزالان تتمتعان بالجمال، وعبرت الردهة في اتجاه غرفة ميدج. وتكونها امرأة تقوم بالعمليات الذهنية المزعجة بسرعة، بدأت الحوار في عقلها، وأخذت تفكر في ردود ميدج كما صورها لها عقلها الخصب.

كان الحوار يدور بالفعل في عقل الليدي أنجيكاثل عندما فتحت باب غرفة ميدج.

"... وبالطبع يا عزيزتي، لا بد أنك تواظفينني الرأي أن هذه العطلة الأسبوعية سوف تنطوي على كثير من الصعوبات!"

"إيه؟ ها!، أصدرت ميدج صوتًا غير واضح، بعدما أفيقت بهذه الطريقة المفاجئة من نوم مشبع وعميق.



"أوه، بالله عليك، إنها ليست سيئة لهذه الدرجة".

"هزييتي، إنها مثيرة للشفقة. وعيناها توحيان بذلك. كما أنها تبدو وكأنها لا تفهم أي كلمة مما نقوله".

قالت ميدج: "نعم، إنها لا تفهم شيئاً من كلامك؛ ولكنني لا أظن أن الذئب ذئبها. فانت تفكرين بسرعة شديدة، مما يجعل محادثاتك أشبه بالقفزات المربوعة المذهلة. فانت لا تهتمين بربط جملتك وعبارتك أبداً".

قالت الليدي أنجيكاثل بغموض: "مثلما يقفز القرد تماماً".

"ومن سيحضر أيضاً غير آل كريستو؟ هنريتا على ما أظن؟".

أضاء وجه الليدي أنجيكاثل.

"نعم... وأشعر حقاً بأنها سوف تكون مصدر دعم قوي للغاية. دالمًا ما تكون كذلك. هنريتا كما تعرفين طيبة حقاً، طيبة حتى النخاع، ولا تتظاهر بذلك على الإطلاق. سوف تساعدنا كثيراً على التعامل مع جيردا المسكينة. لقد كانت رائعة هي العام الماضي. كان ذلك عندما لعبنا لعبة القصائد الخماسية، والكلمات المتقاطعة وغيرها من الألعاب. وعندما انتهينا جميعاً وبدأنا في قراءة ما كتبناه، اكتشفنا أن جيردا المسكينة لم تبدأ بعد، بل إنها لم تكن تعرف طريقة اللعب من الأساس. كان ذلك مروعاً، أليس كذلك يا ميدج؟".

قالت ميدج: "لماذا يأتي أي شخص إلى منزلكم يا آل أنجيكاثل، لست أدري. أنهم يتباهون بالأنعاب الفكرية، وأنعاب الثورق، وطريقة كلامك الغريبة يا لوسي".

"نعم يا عزيزتي، لا بد أننا مغرمون بذلك، ولا بد أن جيردا بالطبع كرهت هذه الأمور. وكثيراً ما أشعر بأنها لو كانت تتمتع بالإرادة الكافية، لابتعدت عنا، ولكن العزيرة المسكينة بدت حائرة للغاية، بل ومهانة أيضاً. كما أن جون بدا كأنه فقد صبره معها. لم أعرف بالضبط كيف أصلح الوضع مرة أخرى، وهنا شعرت بامتنان شديد إلى هنريتا. فقد التفتت على الفور إلى جيردا وسألته عن الكنزة الصوفية التي كانت ترتديها. كانت كنزة مروعة للغاية، لو أنها أخضر فاتح، وكانت تبعث على الاكتئاب وتستحق التبرع بها لجمعية خيرية. حينها أضاء وجه جيردا على الفور. يبدو أنها حاكتها بنفسها، وسألته هنريتا عن الطريقة التي حاكتها

ورغم أنها طرحت السؤال في نفسها، إلا أنها كانت تعرف الإجابة. كانت لوسي مبتسمة، وبمجرد أن نظرت إليها ميدج، استشعرت السحر النافذ غير العادي الذي لطالما أحسنت لوسي استخدامه طوال حياتها، وحتى الآن. بعدما تجاوزت الستين. لم تفقد سحرها أبداً، ولهذا السبب يتحمل الناس في كل أنحاء العالم، من ملوك وحكام وأمرأء ومستولين مختلف المضايقات والإساءات والحيرة. فالمتعة والبهجة الصببائية التي تبدو عليها في كل تصرفاتها هي ما يخلصها من النقد اللاذع والمحبط. فليس على لوسي سوى أن تفتح عينيها الزرقاوين الواسعتين وأن تمد يديها الضعيفتين، وتقول: "أوه! أنا غاية في الأسف..." فيتبدد أي استياء أو ضيق على الفور.

قالت الليدي أنجيكاثل: "عزيزتي، أنا أسفة للغاية. كان عليك أن تخبريني".

"أنا أخبرك الآن. ولكن بعد فوات الأوان! لقد استيقظت تماماً".

"يا للعار! ولكنك سوف تساعديني، أليس كذلك؟".

"في العطلة الأسبوعية؟ لماذا؟ ما مشكلتك معها؟".

جلست الليدي أنجيكاثل على حافة السرير، بطريقة وجدتها ميدج مختلفة عن طريقة جلوس أي شخص آخر. جلست بركة وعدوية غريبة وكأنها جنية رفرفت في الغرفة حتى استقرت على السرير للحظة.

مدت الليدي أنجيكاثل يديها البيضاءين المرتعشتين بإيماءة جميلة تمنع عن الضعف.

"كل الأشخاص الخاملين قادمون، أعني تواجدهم معاً، وليسوا أنفسهم، فجميعهم ساحرون بحق".

"من سيأتي؟".

أرجعت ميدج شعرها الأسود الكثيف من فوق جبينها المربع بذراعها البنية القوية. لم تكن تتمتع بأي شيء خيالي أو يشبه الجنياث كزبيتها.

"حسنًا، جون وجيردا، وهذا في حد ذاته لا يمثل أية مشكلة، أعني أن جون شخصية مبهجة، وجداً في للغاية. أما جيردا المسكينة، حسنًا أعني أننا جميعاً يجب أن نتعامل معها بلطف شديد، شديد للغاية".

قالت ميدج، التي حركتها غريزة غامضة للدفاع عنها:



بها، فبدت جيردا سعيدة وفخورة بنفسها للغاية، وهذا هو ما كنت أعتنيه بشأن هنريتا، فهي دائماً ما تستطيع التصرف على هذا النحو. إنها موهبة خاصة".

قالت ميدج بترؤ: "إنها تبذل جهداً لتصرف على هذا النحو".

"نعم، كما أنها تعرف ماذا تقول".

قالت ميدج: "نعم، ولكن هذا يتطلب أكثر من مجرد الكلام. أتعرفين يا لوسي أن هنريتا هي من حاكّت تلك الكتزة؟".

بدت الليدي أنجيكا تال مصدومة: "أوه، يا إلهي، وارتدت؟".

"نعم ارتدت، ف هنريتا تحبك ملابسها".

"وهل كانت مروعة للغاية؟".

"لا، بدت لطيفة عليها".

"حسناً، بالطبع كانت كذلك. هذا هو الفارق بين جيردا وهنريتا. فكل شيء تفعله هنريتا يسير على نحو جيد ويتضح أنه مناسب، فهي ذكية في كل شيء تقريباً، وأيضاً في عملها الخاص. يجب أن أقول يا ميدج، إنه إن نفعنا أي شخص في هذه العطلة الأسبوعية، فسوف تكون هنريتا. سوف تكون لطيفة مع جيردا، كما أنها سوف تسلي هنري، فضلاً عن أنها ستبقي جون في حالة مزاجية جيدة، وأنا وثقة أيضاً أنها ستكون مفيدة للغاية مع ديفيد".

"ديفيد أنجيكا تال؟".

"نعم، لقد جاء مؤخراً من أوكسفورد، أو ربما كامبريدج. الصبية في هذه السن يكونون صغاب المراسم للغاية، خاصة إذا ما كانوا أذكىاء. وديفيد ذكي للغاية. أحياناً أتمنى أن يؤجل الصبي منهم ذكاؤه حتى يصل لسن أكبر بعض الشيء. دائماً ما يحدثون في الآخرين، ويعضون أنفاسهم، ويفعلون وجوههم حب الشباب، فضلاً عن فتاحة آدم. تجدنيهم لا يتحدثون على الإطلاق، أو يتحدثون بصوت مرتفع للغاية ومعارض على الدوام. ولكن كما قلت، أنا أثق في هنريتا. فهي لبقّة للغاية وتطرح الأسئلة الصحيحة، ولكونها نحاة يحترمنها الصبية، خاصة لأنها لا تحتج أشكال حيوانات أو رءوس أطفال فحسب، ولكنها قامت بنحت أشياء غريبة بالمعدن والجبس وعرضتها في معرض الفائزين الجدد العام الماضي.

لقد بدت كأنها مثل السلم المتقل الذي رسمه هيث روبنسون. كان يسمى الفكر النصابي، أو شيئاً كهذا. إنه ذلك النوع من الأشياء الذي يبهز صبيّاً مثل ديفيد... ولكنني شخصياً وجدته سخيفاً".

"عزيزتي لوسي".

"ولكنني أجد بعض أعمال هنريتا جميلة جداً، مثل منحوتة شجرة الدرار الباكية على سبيل المثال".

قالت ميدج: "أظن أن هنريتا تتمتع بللمسة عبقرية حقيقية، كما أنها إنسانة جميلة ومحبوبة جداً".

نهضت الليدي أنجيكا تال واتجهت ناحية النافذة مرة أخرى. وأخذت تمبث بعقل شارد بالحبل المتدلي من الستائر.

تمتت قائلة: "أتساءل لماذا البلوط؟".

"البلوط؟".

"في الحبل المتدلي من الستائر. إنه يشبه شكل الأناض الذي يصمم على البوابات، أعني لابد أن هناك سبباً. فبالإمكان استخدام ثمرة التنوب أو الكمثرى، ولكن دائماً ما تكون ثمرة بلوط. دائماً ما أجد هذا الأمر غريباً للغاية".

"لا تدخلينا في أمور فرعية يا لوسي. لقد جئت إلى هنا لتحدثني عن عطلة نهاية الأسبوع، ولم أرسبناً لتترك الشدي من هذه العطلة، إذا نجحت في تجنب الألعاب الورقية، وحاولت أن تكوني أكثر ترابطاً في أثناء حديثك مع جيردا، وأولكت لهنريتا مهمة ترويض ديفيد الذكي، فأين تكمن الصعوبة؟".

"الصعوبة تكمن في أمر واحد يا عزيزتي، إدوارد قادم".

قالت ميدج: "أوه، إدوارد"، ثم التزمت الصمت دقيقة بعد ما ذكرت اسمه.

ثم سألت بهدوء:

"ما الذي جعلك تدعين إدوارد لهذه العطلة بالله عليك؟".

"لم أفضل يا ميدج، ولكنه طلب ذلك بنفسه. أرسل لتفراًها ليعرف ما إذا كان بإمكانه الحضور. أنت تعرفين إدوارد، وكم أنه حساس. فإذا أرسلت له رفض حضوره، فلن يأتي إلينا بعد ذلك على الأرجح، فهذه عادته".

"ولكن ليمت لدينا أية جرائم هنا يا لوسي؟".

"أوه، لا يا عزيزتي. إنه يعيش في أحد تلك الأكواخ الجديدة المضحكة، حيث أشعة الشمس التي تصهر الرؤوس، والكثير من أعمال السباكة وشكل الحديقة الخاص، سكان لندن يحبون مثل هذه المنازل. أظن أن هناك ممثلة تعيش في منزل آخر على حد علمي. إنهم لا يعيشون فيها طوال الوقت كما تفعل. ولكن"، تحركت الليدي أنجيكا تل على نحو غامض عبر الغرفة ثم أردفت: "أقول إن ذلك برهسيهم. عزيزتي ميدج، جميل منك أن كنت خير عون لي دوماً".

"لا أظن أنني كنت مفيدة للغاية".

بدت الليدي أنجيكا تل مندهشة وهي تقول: "أمكننا تظنين؟ حسنًا، حصلني على نوم هادئ الآن ولا تستيقظي على الإفطار، وعندما تستيقظين، تصرفي بوقاحة كما يحلو لك".

قالت ميدج والدهشة يادية عليها: "وقاحة؟ لماذا؟ أوه! فهمت! لأنني أفهمك جيدًا يا لوسي. علي سأخذ ما قلت على محمل الجد".

انبتسمت الليدي أنجيكا تل وخرجت من الغرفة. وعندما مرت على باب الحمام المفتوح ورأت الغلاية، خطرت فكرة على بالها.

كانت تعرف أن الناس مغرمون بالشاي، وميدج لن يتم استدعاؤها لساعات. سوف تعد لـ ميدج بعض الشاي. فوضعت الغلاية ثم نزلت إلى الممر السفلي.

وقفت على باب غرفة زوجها وأدارت المقبض، ولكن السير هنري أنجيكا تل، ذلك المدير المحنك، شعر بحضور زوجته. كان مغرمًا بها جدًا، ولكنه كان يحب ألا يقلق أحد نومه الصباحي. ثم أغلقت الباب.

لتابت الليدي أنجيكا تل الذهاب إلى غرفتها الخاصة. كانت تريد أن تستشير هنري، ولكنها ستفعل في وقت لاحق. وقف إلى جوار نافذتها المفتوحة، ونظرت للخارج لحظة أو اثنتين، ثم تأنبت، فاتجهت نحو سريرها، ووضعت رأسها على الوسادة وفي غضون دقيقتين، كانت تنام كأنها طفل صغير.

في غرفة الحمام، وصلت الغلاية إلى حد الغليان فأخذ البخار يتصاعد منها...

أومات ميدج برأسها ببطء.

قالت في نفسها، نعم، إدوارد كذلك فعلاً. للحظة، رأت وجهه بوضوح، ذلك الوجه المحبوب العزيز، وجهًا يتمتع بشيء من سحر لوسي الخيالي، لطيف، وخجول، وساخر...

قالت لوسي، مرددة الفكرة التي دارت في خلد ميدج: "إدوارد العزيز".

ثم تابعت بنفاذ صبر تقول:

"فقط لو اتخذت هنريًا قرار الزواج منه. إنها مغرمة به حقًا، أعرف أنها كذلك. فقط لو قدما إلينا دون حضور آل كريستو... فتأثير جون كريستو سيئ للغاية على إدوارد إن جاز لنا القول. فما يزيد لدى جون ينقص لدى إدوارد كثيرًا، إن كنت تفهمين ما أعنيه. أنفهميني؟".

أومات ميدج برأسها مرة أخرى.

"ولا أستطيع أن أوجل دعوة حضور آل كريستو هذا الأسبوع لأننا خططنا له منذ وقت طويل، ولكنني أشعر يا ميدج بأن الأمر سيكون صعبًا للغاية، مع حملة ديفيد الساخطة وقضهه أظافره، ومحاوله إشراك جيردا في الحديث وتجنب إحساسها بأنها معزولة عنا، وتفاؤل جون الشديد وسلبية إدوارد الشديدة...".

تمتمت ميدج تقول: "مكونات البودينج لا تبشر بخير".

انبتسمت لوسي لها وقالت بتأمل:

"أحيانًا، ترتب الأمور نفسها ببساطة كبيرة. لقد طلبت من رجل الجرائم أن يحضر لتناول الغداء يوم الأحد. هذا من شأنه أن يحدث ارتياكًا، ألا تعتقدين ذلك؟".

"رجل الجرائم؟".

قالت الليدي أنجيكا تل: "مثل البيضة، كان في بغداد، يسوي مسألة ما، عندما كان هنري مفوضًا ساميًا. أو لعل ذلك كان بعدها؟ لقد دعونا لتناول الغداء مع غيره من الأشخاص المهمين. أذكر أنه كان يرتدي بذلة سوداء، وكان يضع زهرة قمرنقلية في عروة سترته، وحذاء جلدًا أسود من ماركة معروفة. لا أذكر الكثير عن هذا الأمر لأنني لم أهتم كثيرًا بمن قُتل من. أعني أنه بمجرد وجود شخص ميت لا يصبح السبب مهمًا، وأحداث جلية حول الأمر أمر سخيف للغاية...".

قالت سيمونز الخادمة: "غلاية أخرى تحترق يا سيد جادجون".

هز جادجون كبير الخدم رأسه الأشهب.

أخذ الغلاية المحترقة من سيمونز ودخل إلى غرفة الموقن. وأحضر غلاية أخرى من أسفل الدولااب؛ حيث كان لديه احتياطي من الغلايات.  
"ها هي يا أنسة سيمونز. لن تعرف الليدي أبداً".

سألته سيمونز: "هل الليدي تفعل مثل هذه الأمور كثيراً؟".

تهدد جادجون.

قال: "الليدي طيبة القلب تماماً ولكنها كثيرة النسيان. إذا كنت تفهمين ما أعنيه"، ثم أردف يقول: "ولكن في هذا المنزل، أرى أن كل شيء في الإمكان يتم عمله لإبعاد سيادتها عن أي مصدر للضيق أو الغضب".

## الثاني

شكلت هنريتا سافرنيك قطعة صغيرة من الطين وضبطتها ووضعتها في مكانها. كانت تنحت من الطين رأس فتاة بسرعة تنم عن مهارة مصقولة بالممارسة.

وصل إلى مسممها، دون أن يستوقفها كثيراً، أنين خافت لصوت مألوف بمض المني:

"وأظن يا أنسة سافرنيك، أنني كنت محقة تماماً! وقد قلت: حقاً، إذا كان هذا هو الموقف الذي ستتخذه؛ لأنني أظن يا أنسة سافرنيك أن من حق أي فتاة أن تتخذ موقفاً بشأن مثل هذه الأمور. إذا فهمت ما أعنيه. قلت لها أنا لست معتادة أن يقال لي شيء كهذا، كما أنني لا يسعني القول سوى أن خيالك مريض للغاية؛ أليس أكره التصرف بفظاظة، ولكنني أظن أنني كنت محقة هي أن أتخذ موقفاً، ألا تسمعين ذلك يا أنسة سافرنيك؟".

قالت هنريتا بحماسة مبالغ فيها ربما تجعل أي شخص يعرفها جيداً يشك في أنها لم تكن تنصت لما قيل: "أوه، طبعاً، طبعاً".

"قلت: وإذا قالت زوجتك شيئاً من هذا القبيل، فانا واثقة أن الأمر لن يكون مسميياً! أنا لا أعرف كيف ذلك يا أنسة سافرنيك، ولكن يبدو أن المشكلات تتبعني ربما أذهب، وأنا واثقة أنه ليس ذنبني. أعني أن الرجال شكاكون للغاية، أليس كذلك؟". وأطلقت العارضة ضحكة صغيرة لعوبة.

قالت لها هنريتا، بعينين شبه مغمضتين: "شكاكون بشكل مخيف!"

قالت في نفسها: "جميلة تلك الزاوية الموجودة أسفل الجفن، والزاوية الأخرى التي تصعد لتقابلها، ولكن زاوية الفك بها عيب... يجب أن أكشط هذا الجزء وأعيد عملها من جديد، الأمر محدد."

قالت بصوت مرتفع بصوتها الدافئ والمتعاطف:

"قطعا كان الأمر صعباً عليك جداً."

"أظن أن الغيرة ظلم كبير يا أنسة سافرنيك، كما أنها تنم عن ضيق أفق شديد، إن كنت تفهمين ما أعنيه. إنها مجرد حسد، إن جاز القول، لوجود من يتمتعون بمظهر أفضل ويبدون في سن أصغر منك."

قالت هنريتا، وهي تعمل على ضبط الفك، بعقل شارد: "نعم، طبعاً."

لقد تعلمت الخدعة منذ سنوات مضت، بأن تركز انتباهها على التفكير في عملها فحسب. قد تلعب لعبة ورقية، أو تدير حواراً ذكياً، أو تكتب خطاباً واضحاً، كل ذلك دون أن تستخدم سوى جزء بسيط من قدراتها العقلية الأساسية في أداء هذه المهمة. كانت عاقدة العزم الآن تماماً على أن ترى رأس شخصية نوسيك تتشكل أسفل أصابعها، فلم يخترق سيل الكلمات الحاقدة الصادرة من هاتين الشفتين الجميلتين الخيابا الأعماق لعقلها. نجحت في الإبقاء على استمرارية الحوار دون أدنى جهد. كانت معتادة التعامل مع المعارضات اللاتي يرغبن في الحديث، مثل هؤلاء المعارضات غير محترفات، وإنما الهاويات من من يتفجرن في الثرثرة وكشف أنفسهن، لشعورهن بعدم الراحة من عدم قدرتهن على أن يحركن ساكناً. وهكذا نجح جزء غير مهم من عقل هنريتا في التضائل معها والاستماع إليها والرد عليها، بينما علقت هنريتا الحقيقية في جزء عميق وسحيق للغاية من عقلها قائلة: "شخصية وضيفة للغاية، ولكن يا لهما من عيين... عيين جميلتين، جميلتين، جميلتين..."

بينما كانت مشغولة في نحت العيينين، تركت الفتاة تتحدث. كان بإمكانها أن تطلب منها أن تلتزم الصمت عندما وصلت لثبث الفم. كم من المضحك أن تفكر في أن كل هذا الكلام من الحقد يخرج من هاتين الشفتين البديعتين.

قالت هنريتا في نفسها بجئون مفاجئ: "أوه، اللعنة. أنا أقصد انحناء الحاجب! ما مشكلة ذلك الحاجب بحق السماء؟ أبرزت عظمة الحاجب أكثر من اللازم، إنها رقيقة، ليست سمكية..."

لراجعت مرة أخرى للخلف وأخذت تتنقل بناظريها بين الطين واللحم والدم الجالس على المنصة.

نايمت دوريس سوندرز كلامها قائلة:

"ثم قلت، حسناً، لا أرى حقاً السبب الذي يمنع زوجك من أن يعطيني هدية أو أواد، ولا أظن أنه يتبقي لك أن تلمحني بوجود شيء بيننا، كان عقداً لطيفاً يا أنسة سافرنيك، كان جميلاً حقاً، أجزم أن الرجل المسكين لم يستطع تحمل ثمنه، ولكنني أجد أن هذا لطف بالغ منه، وقطعاً لم أكن سأعيده إليه!"

لمتمت هنريتا قائلة: "لا، لا."

"ولا أظن أن هناك أي شيء مختريننا، أعني أنه ليس هناك شيء من هذا القبيل."

قالت هنريتا: "لا، أنا واثقة أنه لن يكون هناك..."

تباعد حاجبها. عملت طوال نصف الساعة التالية بشيء من الحنق. لطخ الطين جيبتها، وعلق بشعرها، وهي تعيده للخلف بسرعة يديها. كانت عيناها لمكان وحشية حادة صامتة. سيأتي... ستجفع في إظهاره...

الآن، في غضون ساعات قليلة، سوف تتجاوز ألمها: الألم الذي كان يتزايد طوال الأيام العشرة الأخيرة.

نوسيك: كانت نوسيك، استيقظت مع نوسيك، وتناولت الإفطار مع نوسيك، خرجت مع نوسيك. جابت الشوارع سيرا على الأقدام وهي قلقة ومنغلة، غير قادرة على تركيز ذهنها على أي شيء سوى وجه كفيف جميل في مكان ما تخيلته في عقلها، يحلق هناك ولكنه غير قادر على إظهار نفسه بوضوح. لقد أجبرت حوارات مع عارضات أزياء، وانتابتها حيرة بشأن المعارضات اليونانيات، وشعرت بعدم رضا عميق...

أرادت شيئاً: شيئاً يمنحها نقطة البداية، شيئاً يمنح التصوير الجزئي الذي توصلت إليه بشكل ما الحياة. لقد قطعت مسافات طويلة، وأصبحت بأن هناك شديد

أعجاباً. فقد اعترفت لـ هنريتا بأنها تمناني قصر البصر لدرجة تمنعها من رؤية أي شيء يبعد عنها ياردة واحدة.

أوسات هنريتا برأسها بعدما تفهمت الوضع، فهمت الآن السبب الحقيقي لتلك النظرة الخاوية والجميلة.

مر الوقت، وفجأة وضعت هنريتا أدواتها وفردت ذراعها عن آخرها.

قالت: "حسنًا، لقد انتهيت، أمل ألا أكون أرهقتك كثيرًا؟"

"أوه، لا، شكرًا لك يا أنسة ساهرنريك، كان ذلك مسليًا للغاية، أنا واثقة من ذلك، هل تعين أنا انتهينا حقًا، بهذه السرعة؟"

صمكت هنريتا.

"أوه، لا، لم تنته فعلاً. سأحتاج للعمل عليه قليلاً، ولكن دورك انتهى. لقد فهمت على ما أريد: لقد انتهيت من السطح."

نزلت الفتاة ببطء من على المنصة. وارتدت نظارتها فتلذت على الفور النظرة الكثيفة الغامضة التي تخفي سحر وجهها، وبقي الآن جمال بسيط ورخيص.

التفتت من هنريتا ونظرت إلى النموذج المصنوع من الطين.

قالت بريية، وخيبة الأمل بادية على صوتها: "أوه، إنها لا تشبهني كثيرًا، (أهم كذلك؟"

اهتسمت هنريتا.

"أوه، لا، فهي ليست بورتريه."

بالفعل، لم يكن هناك أي وجه للشبه على الإطلاق، فقط ركزت هنريتا على جمجمة العنبيين، وخطوط عظام الوجنتين، لكونهما الفكرة الأساسية لتصورها لـ نوسيك. لم تكن دوريس سوندرز، كانت فتاة كفيفة من الممكن كتابة قصيدة عنها. شمتاها متباعدتان كشفتي دوريس، ولكنهما لم تشبها شفتي دوريس. هذان تحدثان لغة أخرى، وتعبيران عن أفكار مختلفة عن أفكار دوريس.

لم تكن أي من ملامحها محددة. تذكرك بـ نوسيك، دون أن تراها ...

دون أن تمنع في ذلك، كان يقودها، ويعذبها ذلك الحنين الأبدي الملح - لأن ترى -

بدت في عينيها نظرة خاوية وهي تجوب الطرقات. لم تر شيئاً مما أحاط بها. كانت تعمل بجهد شديد، تعمل بجهد شديد طوال الوقت لتجعل ذلك الوجه يقترب أكثر... شعرت بإذنهك، تعب، يؤس...

وبعد ذلك - على نحو مفاجئ، اتضحت رؤيتها، ورأت بعينها البشرية الطبيعية قبالتها في الحافلة التي استقلتها بمقل شارد ودون اهتمام بوجهتها، رأيت - نعم: نوسيك! وجه طفولي بريء، شفتان وعينان متباعدتان بعض الشيء، مساحة خالية جميلة، عينان كفيفتان.

قرعت الفتاة الجرس وهبطت من الحافلة، وتبعها هنريتا.

أصبحت الآن هادئة وعملية للغاية. لقد نالت ما أرادت: انتهى ألم البحث المحير.

"أسمحي لي بكلمة. أنا نحاة محترفة وبصراحة، وجدت في رأسك ما كنت أبحث عنه بالضبط."

كانت ودودة وساحرة ومقنعة، فقد كان تعرف كيف تتصرف عندما تريد شيئاً ما.

شعرت دوريس سوندرز بالتشكك، والحذر، والمجاملة.

"حسنًا، حسنًا، لا أعرف، أنا واثقة. إذا كانت الرأس فحسب. بالطبع لم أفعل شيئاً كهذا من قبل."

تردد مناسب، وسؤال مهذب عن المال.

"أصبر أن تقبلي الاتعاب المناسبة التي يقدمها فنان محترف."

وهكذا جاءت نوسيك، وجلست على المنصة، مستمتعة بفكرة جاذبيتها، كما أنها ستخلد (رغم عدم إعجابها بنماذج عمل هنريتا التي رأتها في الأستديو الخاص بها) كما استمتعت أيضاً بانكشاف شخصيتها للمستمع الذي بدا أن تعامله وانتباهه كان شديداً.

على الطاولة المجاورة للعارضة كانت نظارتها... النظرة التي نادراً ما تستخدمها بسبب غرورها، فقد كانت تفضل أن تتحسس طريقها مثل المكفوفين

لقد حصلت عليه، نعم. ولكنها حصلت على شيء آخر أيضاً. شيء لم تمنحه أو  
أعطيته هدية... كان الهيكل جيداً. بالطبع نعم. ولكن من أين أتى ذلك الاقتراح  
الاجتماع البسيطة....

الاجتماع الذي صدر من مكان ما بعقل شرير حاد.

لم تكن تنصت. لم تكن تنصت بحق، ولكنه بطريقة ما شق طريقه بعدما مر  
من أدها فخرج من بين أصابعها وأعرب من نفسه في الطين.

و لم تكن. كانت تعرف أنها لم تكن. تستطيع أن تخرجه مرة أخرى...

الامت هنريتا وحدة. لعله كان خيلاً. نعم، بالطبع كان خيلاً. كانت تستشعر  
الاضلاع كبير حياله في الصباح. قالت في نفسها وهي مرعوبة:

"يا لصصف الإنسان..."

سارت عابسة حتى وصلت إلى نهاية الاستديو. توقفت أمام التمثال الذي

صممته

كان بمنزلة جيداً: قطعة جميلة مصنوعة من خشب شجر الكمثرى، محبب  
للمنحوتين. احتفظت به لسنوات طويلة، ادخرته لنفسها.

لما رآه إليه بعين الناقد. نعم، كان جيداً، ليس هناك شك في ذلك. أفضل  
منه سمعته طوال فترة طويلة، لقد صممه لمعرض إنترناشونال جروب. ذلك  
العرض من الشهير.

لما أصبحت صممه: التواضع، القوة الظاهرة في عضلات الرقبة، الكتفان  
المتجانسان، الوجه المرتفع بعض الشيء. وجه بلا ملامح، نظراً لأن العبادة  
التي صممتها.

نعم، الخضوع، الخشوع. وذلك الورع الذي يتجاوز. الحب الأعظم...

لقد هربت. قالت في نفسها، أتمنى فقط لو لم يغضب جون لهذه الدرجة.

لما هاجمها، أخبرها بشيء عنه، لم يكن يعرفه هو عن نفسه، حسبما ظنت.

لها بهدوء: "لا يمكنك أن تعرضي ذلك!"

فأجابته له بهدوء مماثل: "سأفعل."

قالت الأنسة سوندرز في ربيبة: "حسناً، أظن أنها ستبدو أفضل عندما تعملين  
عليها قليلاً... هل أنت واثقة أنك لست في حاجة لي؟"

قالت هنريتا: "لا، شكراً لك"، ثم قالت في نفسها (والشكر لله أنني لم أعد  
بحاجة لك). "كنت رائعة للغاية. أنا ممتنة لك كثيراً."

تخلصت من دوريس بحكمة، وعادت لتعد لنفسها قدحاً من القهوة السادة  
كانت متعبة، متعبة جداً. ولكنها كانت سعيدة - سعيدة ومطمئنة.

قالت في نفسها: "الحمد لله، أستطيع الآن أن أكون إنسانة من جديد."

ثم تحولت أفكارها إلى جون على الفور.

قالت: "جون". أتبعته دفة واضح من شفتيها، وتسارع نبضات قلبها جعل  
روحها تحلق من السعادة.

قالت: "غداً سأذهب إلى منزل هولمو... سوف أرى جون..."

جلست ساكنة في مكانها، مستلقية على مقعد طويل، تحتسي المشروب  
الساخن حالك السواد. احتسبت ثلاثة أكواب منه. شعرت بأنها تستعيد حيويتها.

كان شعوراً لطيفاً أن تعود لإنسانة مرة أخرى... وليس ذلك الشيء الآخر. من  
اللطيف أنها توقفت عن الشعور بالقلق والبلوس وكان هناك شيئاً يدفعها لذلك.

من اللطيف أن تصبح قادرة على أن تكف عن السير في الطرقات غير سعيدة.  
تبحث عن شيء ما، تشعر بالضيق ونفاد الصبر، لأنها لا تعرف بحق ما تبحث

عنه! والأين، حمداً لله، لم يبق أمامها سوى العمل الجاد. ومن يمانع في العمل  
الجاد؟

وضعت القدح الفارغ ونهضت وعادت إلى نوميكا، نظرت إليها لبعض الوقت.  
وبشكل تدريجي تسلل بعض العيوس إلى حاجبيها.

لم تكن. لم تكن.

ما العيب فيها؟

عينها الكفيفتان.

عينها الكفيفتان كانتا أجمل من أي عيتين يمكن رؤيتهما... عينان كفيفتان  
تطرقان قلبك لأنهما كفيفتان... هل حصلت على ذلك، أم لا؟

المهينة... أبحرت مع جون في البحر الأزرق ثم نزلت إلى غرفة تناول الطعام - ثم استمت له وهي تجلس قبالة على الطاولة - كأنهما تناولوا العشاء في مطعم هارون ووجي بياريس - جون المسكين، إنه غاضب جداً... الخروج في هواء الليل - والإحساس بتغيير سرعات السيارة - دون جهد، بسلاسة، والخروج بسرعة خارج لندن... وصولاً إلى شوفيل داو... والأشجار... ومنزل هولو... لوسي... جون... جون... جون... مرض ريدجواي... جون العزيز...

صرت إلى مرحلة اللاوعي الآن، ومنها إلى حالة من نعيم السعادة. ثم انتابها شعور حاد بعدم الراحة، وإحساس بالذنب استحوذ عليها. كان هناك شيء يضيء عليها عمله. شيء تهرت من عمله.

نوسيك؟

ببطء، وعلى مضض، نهضت هنريتا من فراشها. وأضاءت الأنوار، ثم اتجهت إلى الثمنال وأزالته عنه قطعة القماش.

أحدث نفساً عميقاً.

ليست نوسيك - ولكنها دوريس سوندرز!

انصهرها أتم مفاجئ. دافعت عن نفسها قائلة: "بإمكانني أن أصلحه - بإمكانني أن أصلحه..."

قالت لنفسها: "غبية. تعرفين تماماً ما يجب عليك عمله."

لديها لو لم تفعله الآن، على الفور. فلن تتحلى بالشجاعة غذاً لتفعله. الأمر هو بملح علاقتك بأقاربك؛ لحملك ودمك. كم هذا مؤلم؛ مؤلم للغاية.

فكرت أن القتل ربما تشمر بالشيء نفسه عندما يصاب أحد أطفالها بمرض في سطر لقلته.

أحدث نفساً بسرعة، نفساً عميقاً، ثم انزعجت الطين، ولوت الذراع، كان كتلة هشة جميلة، وأسقطته في صندوق الطين.

وقمت هناك تنفس من أعماقها، وهي تنظر إلى يديها المملختين بالطين، وهي لا تزال تشمر بتعب بدني وذهني. نظفت يديها من الطين ببطء.

ثم عادت ببطء إلى نوسيك. رأت أنه ليس هناك شيء فيها لا تستطيع تعديله. رشت التمثال ولفته بقطعة مبتلة من الملابس. يجب أن يبقى على هذا الوضع حتى يوم الاثنين أو الثلاثاء. لا حاجة للعجلة الآن. تلبثت الضرورة الملحة. كل الأسطح الضرورية متاحة الآن. كل ما تحتاج إليه هو الصبر.

ثلاثة أيام سعيدة تنتظرها بصحبة لوسي وهنري وميدج - وجون! تشابهت، ومدت نفسها كالقطعة التي تشد جسمها باستمتاع واسترسال، فأردت كل عضلة على آخرها. وعلى الفور أدركت كم كانت متعبة.

أخذت حماماً دافئاً، ثم ذهبت إلى السرير. واستلقت على ظهرها تحديق في نجمة أو اثنتين عبر فتحة السقف. ثم انتقلت بناظريها إلى الشعاع الوحيد الذي يظل دوماً: المصباح الصغير الذي يضيء القناع الزجاجي الذي يعد واحداً من أوائل أعمالها الفنية. قطعة واضحة نوعاً ما كما ارتأتها الآن. تقليدية فيما توحيه.

ظننت هنريتا أنه من حسن الحظ، أن الإنسان يطور من نفسه...

والآن، خلدت للنوم! فأفادح القهوة السادة التي احتستها واحداً تلو الآخر لم تكن توقفها إلا إذا كانت تريد أن تبقى مستيقظة. منذ وقت طويل فكرت في الإيقاع اللازم لاستحضار النسيان وقت الحاجة.

تأخذ الأفكار. تختارها من كل الأفكار الموجودة لديك، ثم تتركها تنساب من بين أصابع عقلك، بدلاً من أن تفكر فيها، ولا تتمسك بها أبداً، ولا تتأملها أبداً، لا تركز عليها... فقط تتركها تنساب برفق من عقلها.

في الخارج في الإسطنبول، سمعت صوت سيارة تزيد من سرعتها: سمعت من مكان ما حصاناً يصل. فأخذت الصوت معها إلى تدفق أفكار عقلها شبه الواعي.

ظننت أن ضجة السيارة كانت أشبه بصوت تمر... لونه أصفر وأسود... مخطط كأوراق شجر مخططة - أوراق وظلال - غابة حارة استوائية... وفي أسفل النهر - نهر استوائي واسع... ينتهي عند البحر... سفينة على وشك الإبحار... وأصوات أجشة تطلق عبارات الوداع - وجون إلى جوارها على سطح



عادت إلى السرير وهي تشعر بضراخ غريب، ورغم ذلك شعرت بشيء من السلام.

فكرت في نفسها بحزن أن نوسيكاً لن تعود مرة أخرى. لقد ولدت، وتلوت، وماتت بالفعل.

قالت هنريتا لنفسها: "غريباً كيف تتسلل أشياء بداخلك دون أن تعرف ذلك؟"

لم تكن تنصت - لم تكن تنصت حقاً - ولكن معرفتها بعقل دوريس الرخيص الحافظ الضيق تسرب إلى عقلها وأثر - دون أن تعي ذلك - على يديها.

والآن، أصبح الشيء الذي كان نوسيكاً - دوريس - مجرد طين - مجرد الماء الخام التي ستصحب - عما قريب - مدمجة في شيء آخر.

قالت هنريتا على نحو حالم لنفسها: "هل هذا إذن هو الموت؟ هل ما نسميه الشخصية مجرد تشكل له - تأثير أفكار شخص ما؟ أفكار من؟"

كانت هذه هي فكرة، مسرحية بير جينت، أليس كذلك؟ تذكرت ما قاله صاب الأوزار.

"أين أكون نفسي، الرجل الكامل، الرجل الحقيقي؟ أين أكون وكل ما في يشير إلى أنني صتيعة الله؟"

هل شعر جون بذلك؟ هل شعر بتعب شديد في تلك الليلة؟ إنه يالس جداً مرض ريدجواي... لن تجد كتاباً يطعمك على من يكون ريدجواي؟ قالت ثم نفسها: كم أنا غبية إنها تريد أن تعرف... مرض ريدجواي.

## الثالث

جون كريستو في غرفة الكشف، يتقحص المريضة قبل الأخيرة لهذا الصباح راقبها بعينيه المتعاطفتين والمشجعتين وهي تخوض في وصف مرضها التي تعانيتها وتشرحها له. كان يومئذ بين الحين والآخر برأسه على ممره بمسك تفهمه. طرح عليها بعض الأسئلة وأعطاه بعض التعليمات. فأضاء له المريضة بعض الشيء. كان الدكتور كريستو رائع فعلاً! كان يهتم بمرضاه. كان حريصاً عليهم بحق. مما يجعل مجرد حديث المرضى إليه مصدر لثمة السبب لهم.

أخرج جون كريستو ورقة وقربها منه وبدأ في الكتابة. رأى أنه من الأفضل بمطبخها مليناً للأعضاء. ذلك الدواء الأمريكي الجديد، المغلف بغلاف شفاف ومرق، بطريقة جذابة بلون برتقالي وردي، كما أنه باهظ الثمن، يصعب الحصول عليه. لا يحتفظ به أي صيدلي، ستضطر على الأرجح لأن تذهب إلى الصيدلية الصغيرة الكائنة في شارع واردور. كل هذا جيد، خاصة أنه من المحتمل أن يرفع من شأنه المعنوية لشهر أو اثنين، ثم سيحتاج للتفكير في شيء آخر. ليس بإمكانه أن يمد لها أي شيء. بنية جسمها ضعيفة، وليس من الممكن عمل شيء حيال ذلك. ليس بيدك عمل أي شيء. على العكس من الأم كرايتري العجوز...

مساح عمل. صحيح أنه مربح على المستوى المادي، ولكنه خال من أي شيء آخر يا إلهي. كم هو متعب! متعب من السيدات المرضيات ومن أوجاعهن.

أخرى في إنجلترا. كما أن منزل هولو أجمل منزل رآه على الإطلاق. سوف يتنزه يوم الأحد في الغابات مع هنريتا؛ فيصعدان معاً حتى يصلا إلى قمة التل ثم يمشيان عبر التلال. كان ينسى، عندما يسير مع هنريتا، أن هناك مرضى في أي مكان في العالم. حمداً لله أنه لا يواجه أية مشكلة مع هنريتا.

وبروح دعابة سريعة ومفاجئة قال:

"وهي لن تسمح لي بذلك أبداً، حتى إن وجدت مشكلاتاً".

مريض واحد ينتظره، يجب أن يقرع الجرس الموجود على مكتبه؛ ولكنه عندما القيام بذلك دون وجود ميرز واضح. كان متأخراً بالفعل، سيكون الغداء متأخراً في غرفة الطعام بالطابق العلوي. ستكون جيردا وطفله في انتظاره. يجب أن يواصل عمله.

ولكنه جلس هناك بلا حراك. كان متعباً، متعباً للغاية.

قال هذا التعب يزداد عليه مؤخراً. والسبب الحقيقي هو إحساسه المستمر بالمراد بالضيق الذي كان يعيه تماماً والذي عجز عن السيطرة عليه. فجيردا أصبحت تتحمل الكثير. فقط لو لم تكن مدعنة له لهذه الدرجة، مستعدة لأن يعرف بأنها المخطئة حتى عندما يكون الذنب ذنبه هو، طوال الوقت؛ مر بأيام كان كل شيء تقوله أو تفعله جيردا يتأمر عليه ليضعه. وجد أن فضائلها هي التي قوّعته. الأمر الذي كان يحزنه كثيراً. فصبورها، وإبتارها الآخرين وتنازلها عن عيانتها لتحقيق رغباته هو ما أثار سوء مزاجه، كما أنها لم تمتنع أبداً من أعماله وغضبه السريع، ولم تتمسك برأيها أبداً، بل كانت توافق على آرائه، لم تحاول أبداً أن تفرض كلمتها.

أفكار في نفسه: حسناً لهذا السبب تزوجتها، أليس كذلك؟ ما الذي تتذمر من بعد ذلك الصيف الذي قضيته في سان ميغيل؟..

شريب أن يفكر في ذلك، أن الصفات التي تضايقه في جيردا هي الصفات التي يثمنها بشدة في هنريتا. ما الذي يضايقه من هنريتا (لا، فهذه الكلمة غير مناسبة - فهي تثير بداخله شعوراً بالغضب وليس مجرد مضايقة)، ما أغضبه منها هو سداد رأيها الدائم وصحة ظننها. كان ذلك مختلفاً تماماً عن توجيهها نحو العالم بوجه عام. لقد قال لها ذات مرة:

تلطيف وتخفيف الألم، لا شيء سوى ذلك. كان يتساءل في بعض الأحيان عما إذا كان الأمر جديراً بالأهمية؛ ولكنه كان يتذكر يوماً رجل الدين كريستوفر وسلسلة الأسرّة الطويلة في مستشفى مارجاريت راسل وارنر، والسيدة كرايتري تواجهه بابتسامة خائبة من الأسنان كأنها كثيرة.

كان هو وهي يفهمان بعضهما البعض؛ كانت مقاتلة، وليست مثل السيدة المتراخية الكسولة التي كانت ترقد في السرير المجاور. كانت مثله، تريد الحياة، ولكنه وحده أعلم بالسبب؛ عند الوضع في الاعتبار الكوخ الفقير الذي تعيش فيه، مع زوج يماقر الكحوليات ومجموعة من الأطفال صباب المراس، وهي مضطرة لأن تعمل بجد كل يوم بلا توقف، فتتطلب أرضيات مكاتب لا حصر لها. عمل شاق متواصل وجاد، وقليل من المتعة ولكنها أرادت أن تعيش - كانت تستمتع بالحياة، مثل جون كريستو تماماً، الذي كان يستمتع بالحياة؛ لم تكن ظروف الحياة هي مصدر المتعة بالنسبة لهما، وإنما الحياة نفسها؛ حماسة الوجود. من الفريد أن يعجز المرء عن شرح ذلك، فكر في نفسه أنه يجب أن يتحدث مع هنريتا في هذا الأمر.

نفض من مكانه مراقباً مريضته إلى الباب. صافحها بدفء وود، على نحو مشجع. كان صوته مشجعاً أيضاً، مليئاً بالاهتمام والتعاطف. فخرجت من عتده وهي تنبض بالحياة، سعيدة إلى حد كبير، أشهد دكتور كريستو بهذا الأمر كثيراً بمجرد أن أغلق الباب من خلفها، نسيها جون كريستو، لم يكن منتبها لوجودها حتى عندما كانت معه في الغرفة؛ ولكنه قام بعمله فحسب، كل ذلك على نحو تلقائي، ورغم أن الأمر لم يتطلب منه قدرًا كبيراً من الجهد الذهني، أظهر قدرًا من القوة. كانت قوته تنبع من استجابته التلقائية للطبيب المعالج ولكنه رأى أن علاقته تستنزف.

قال في نفسه مرة أخرى: "يا إلهي، أنا متعب".

بقي أمامه مريض واحد ويعطى بمساحة صافية في العطلة الأسبوعية. فكر بامتنان في هذه العطلة الأسبوعية. الأوراق الذهبية مخضبة باللونين الأحمر والبيني، والحة الخريف الرطبة، الطريق المنحدر لأسفل الغابات؛ حرائق الغابة لوسية أكثر المخلفات قسراً وإبتهاجا؛ بعقلها الغريب الذي يستغرق في أوهام محيرة، إنه يفضل أن يكون في استضافة هنري ولوسي عن أي مضيف أو مضييف

"أظن أنك أكبر كذابة أعرفها".

"ربما".

"دائما ما تكونين مستعدة لأن تقول أي شيء للناس إذا كان كلامك يرضيه فقط".

"دائما ما أجد ذلك أهم".

"أهم من قول الحقيقة؟"

"أهم بكثير".

"إذن، لماذا لا تسمعينني مزيدا من الأكاديب بحق الله؟"

"هل تريدني أن أفعل؟"

"نعم".

"أنا أسفة يا جون، ولكنني لا أستطيع".

"يجب أن تعرفي ما أريدك أن تقولي له".

بحق الله، لا يجب أن يبدأ التفكير في هزيتا. سوف يراها بعد ظهيرة اليوم. كل ما عليه عمله الآن هو مواصلة عمله؛ أن يقرر الجوس ويرى آخر امرأة لعين مخلوقة أخرى مريضة (واحد على عشرة من الأمراض حقيقية، وتسعة أعضائها وسواس مرضية حسنا، لماذا لا يجب أن تستمع بصحتها المعتلة إذا كانت حريصة أن تسد ثمن ذلك؟ ولكن هذا السلوك يحقق التوازن في هذا العالم إذا ما قورن بسلوك السيدة كرابتري.

ولكنه جلس هناك بلا حراك.

كان متعبا؛ متعبا للغاية، بدا له أنه كان متعبا منذ فترة طويلة. كان هناك شيء يريد، يريد، يريد بشدة.

وهنا خطرت على باله فكرة: "أريد أن أذهب إلى الديار".

فاجاته هذه الفكرة كثيرا، من أين أتت تلك الفكرة؟ وماذا تعني؟ الديار؟ لم يكن لديه ديار أبدا. كان أبواد انجليزيين من أصل هندي، فنشأ متقلدا من عمه إلى عم، قاضيا إجازة مع كل واحد منهم. أول منزل دائم حصل عليه هو هذا المنزل المقام في شارع هارلي على ما يظن.

معل

هل تعامل مع هذا المنزل باعتباره داره؟ هن رأسه نافيا. كان يعرف أنه لا

لكن فضوله الطبي ثار بداخله، ما الذي كان يقصده بتلك العبارة التي حارب على باله حقا؟

"بدأن أعود إلى ديارتي.

فعلما هناك شيء ما، صورة ما.

المحس عينيه قليلا، قطعنا هناك خلفية ما.

موضح شديد. رأى في مخيلته المياد الزرقاء العميقة للبحر المتوسط، البحار، والصبار والطين الشوكي؛ شم رائحة تراب الصيف الحار، وتذكر إحساس الماء، الأياد يرتطم به بعد استلقائه على السطح في الشمس. سان ميغيل! اندهت. وانزعج بعض الشيء. لم يفكر في سان ميغيل لسنوات. طبعا لم يرد العودة إلى هناك. كل ذلك ينتمي إلى فصل قديم في حياته.

كان ذلك منذ اثني عشر - أربعة عشر - خمسة عشر عاما مضت. وقد فعل السواب؛ كان حكمه صائبا تماما! كان يحب فيرونیکا بجنون، ولكنه كان حبا سحيقا. فقد كان من الممكن أن يتبعه فيرونیکا جسدا وروحا، كانت أثنائية تماما، ولم تكن تملك الجراحة لتعترف بذلك؛ لقد اخترعت فيرونیکا أغلب ما كانت تريد. ولكنها لم تستطع اختراعه؛ فقد لاذ بالهروب. لقد عاملها على نحو سيئ من وجهة النظر التقليدية كما ظن. بمنتهى الصراحة، نبذها! ولكن الحقيقة أنه كان سيوي أن يعيش حياته الخاصة. وهو الأمر الذي لم تكن فيرونیکا لتسمح له به. كانت تريد أن تعيش حياتها هي، مصطحبة جون معها كشيء إضافي.

استعنت عندما رفض الذهاب معها إلى هوليوود.

قالت له بأذراء:

"إذا أردت أن تكون طبيبا بحق، فيمكنك أن تحصل على شهادتك من هناك على ما أظن. ولكن هذا غير ضروري على الإطلاق، ف لديك ما يكفيك لتعيش عنه، وسوف أصنع جبالا من النقود".

فأجابها باحترام:

س ماضية وذئب محدد. تفقدته بعينيها الرماديتين الصافيتين من خلال  
مطالعها الممتنة، وكانت تنظر لباقي الكون بالانتباه نفسه غير المتحيز.

لقد أراد سكرتيرة بسيطة جادة لا تحب الهراء، وحصل على سكرتيرة بسيطة  
لا تحب الهراء، ولكنه أحياناً وبشكل غير منطقي، كان يشعر بالاضطهاد! فوفقاً  
لها، فواعد الأعمال المسرحية والروائية: كان على بيريل أن تحب رب عملها،  
والله كان يعرف دوماً أنه لم يتجح في جذب انتباهها. لم يكن هناك حب، أو  
محبته بالذات؛ وكانت بيريل تتعامل معه باعتبارها بشراً يصيب ويخطئ كغيره  
من الناس. لم تبهرها شخصيته، ولم تتأثر بسحره، بل إنه كان يشك في بعض  
الأحيان فيما إذا كانت تحبه أساساً.

لقد سمعها ذات مرة تتحدث إلى صديقة لها على الهاتف وتقول لها: "لا، لا  
أعلمه حقاً أصبح أكثر أذنية مما كان عليه. لعله أصبح أكثر استهتاراً، لا يراعي  
مساخر الآخرين".

كان يعرف أنها كانت تتحدث عنه. فظل لمدة يوم كامل منزعجاً من هذا الأمر.  
رغم أن حماسة جيردا الدائمة كانت تزعجه، كان يسود بيريل في الثناء عليه  
بمهمته أيضاً. بل إنه رأى أن كل شيء تقريباً يزعجه...

هناك شيء خاطئ. زيادة العمل؟ ربما. لا، هذا مجرد عذر. نفاذ صبره  
المعزى، إحساسه المزعج بالإرهاق له دلالة أعمق. قال في نفسه: "هذا لن يني  
بالمرض. لا أستطيع أن أستمّر بهذه الطريقة. ما خطبي؟ فقط لو أجد طريقة  
للهرب..."

ها هي الفكرة نفسها تراوده مرة أخرى، الفكرة العمياء التي تعرب عن نفسها  
لمصطدم بفكرة الهرب الموجودة مسبقاً بداخله.

أريد أن أذهب إلى الديار...

اللجنة على كل ذلك، ٤٠٤ بشارع هارلي هو داره!

والسيدة فورستر كانت تجلس في غرفة الانتظار، سيدة متعبة، سيدة لديها  
الكثير من المال ووقت الفراغ مما يدفعها للتفكير في أوجاعها.

لقد قال له شخص ما ذات مرة: "قطعاً سمعت المرضى الأثرياء الذين  
يهومون دوماً أنهم مرضى. من المرضى حقاً أن يأتيك مرضى فقراء، الذين لا

"ولكنني حريص على عملي. سوف أعمل مع رادلي".

كان صوته - الذي كان صوت شاب متحمس - خائفاً تماماً.

استعصت فيرونيكا.

"هذا مضحك للغاية يا صديقي العزيز؟"

ردد جون ما قالته بغضب: "هذا مضحك يا صديقي العزيز. لقد أجريت بحثاً  
مهماً للغاية عن مرض برات".

فأعلمته بقولها: "ومن يأبه لمرض برات؟"، ثم قالت له إن الجو ساحر في  
كاليفورنيا، وأنه من الممتع أن ترى العالم. ثم أردفت تقول: "وسوف أكرهها  
بدونك. أريدك يا جون، أنا بحاجة إليك".

بعد ذلك تقدم لفيرونيكا باقتراح مذهل بأنه ينبغي عليها أن ترفض عرض  
هوليوود وتزوجه وتستقر في لندن.

ابتسمت لسماع هذا الاقتراح ولكنها كانت ثابتة تماماً. كانت ستذهب إلى  
هوليوود. ولكنها أحبت جون، ورأت أنه يجب أن يتزوجها ويذهب معها إلى هناك.  
وأنه ليس لديها أدنى شك في جمالها وقوتها.

رأى أنه ليس هناك ما يمكنه عمله سوى شيء واحد. وتفذه فعلاً. بعث إليها  
خطاباً يفسخ فيه خطبتها.

عانى كثيراً بعد ذلك؛ ولكنه لم يشك للحظة في حكمة القرار الذي اختاره.  
عاد إلى لندن وبدأ في العمل مع رادلي. وبعد عام تزوج من جيردا، التي كانت  
صورة معاكسة تماماً لفيرونيكا في كل شيء يمكن تخيله...

انفتح الباب ودخلت سكرتيرة بيريل كولينز.

"لا تزال السيدة فورستر موجودة".

قال باقتضاب: "أعرف".

"ظننت أنك نسيتها".

عبرت الغرفة وخرجت من الباب البعيد، وعينا كريستو تتبعان انسحابها  
الهائئ. فتاة عادية، ولكنها كفنة للغاية. ظلت معه طوال ست سنوات. لم ترتكب  
خطأ واحداً، لم ترتكب يوماً، أو تقلق أو تتعجل. وهي تتمتع بشعر أسود، وبشرة

يأتون إلا إذا كانوا يعاونون شيئا ما بالفعل". قالها وهو يتنسم ابتسامة عريضة مضحكة ففكرة الناس عن الفقراء الذين يعاونون فقرا مدقعا. كان عليهم أن يروا السيدة بيرستوك العجوز في خمس عيادات مختلفة - في نهاية كل أسبوع. وهي تأخذ زجاجات من الأدوية، ومراهم لظهورها وشرابا للحكة، ومليّنات، وأدوية للهضم. "طوال أربعة عشر عاما وأنا أتناول الدواء البني يا دكتور. وهو الدواء الوحيد الذي يقيدني. لقد وصف لي ذلك الطبيب الشاب الأسبوع الماضي دواء أبيض. لم يكن مفيدا على الإطلاق! هذا منطقي. ليس كذلك يا دكتور؟ أمضى أنثى اعتدت تناول دواء بني طوال أربعة عشر عاما، وإذا لم أتناول دوائي البني سواء كان شرابا أو اقراصا بيبه..."

سمع صوتها المنتحب الآن. إنها تتمتع ببيئة جسدية ممتازة، وصوت رنان كالجرس، مما يجعل كل الأدوية التي تتناولها عاجزة عن إلحاق أي ضرر بها. كانتا متشابهتين كثيرا، وكانهما اختان بحق. السيدة بيرستوك من توتنهايم والسيدة فورستر من باركليين كورت. تستمع إليهما وتكتب خواطر بقلمك على قطعة من الورق الكرتوني النابض، أو على بطاقة المستنقى كما تقتضي الحاجة...

يا إلهي، كان متعبا من العمل كله...

البحر الأزرق، والحة نبات الميموزا الجميلة، والرمال الدافئة... خمسة عشر عاما مضت. انتهى كل ذلك، وذهب لحاله، نعم انتهى حمدا لله. كان شجاعا بما يكفي ليضخ هذه الخطبة.

شجاع؟ تردد صوت مغرير صغير في مكان ما بداخله. حل هكذا تصفه؟ حسنا، لقد فعل الصواب. أليس كذلك؟ كان أمرا مؤلما للغاية. اللعنة على كل ذلك، لقد تعذب كثيرا ولكنه تجاوز كل ذلك، تحرر من سجنه. عاد لداره، وتزوج من جيردا.

حصل على سكرتيرة بسيطة وتزوج سيدة بسيطة. هذا هو ما كان يريد، أليس كذلك؟ لقد نال نصيبه من الجمال بالقدر الكافي. أليس كذلك؟ لقد رأى ما فعلته إنسانة مثل فيرونیکا بجمالها؛ ورأى تأثيره على كل رجل عرفته. لهذا أراد الأمان بعدما انفصل عنها. لقد أراد في الحقيقة... جيردا! أواد إنسانة تستمد

هيا معه، إنسانة تقبل قراراته. ليست لها قرارات خاصة بها. إنسانة ليست لها خاصة بها...

...لدي قال إن مأساة الحياة الحقيقية هي أن نحصل على ما نريد؟

...الجرس الموجود على مكتبه وهو غاضب.

...يفتح السيد فورستر.

...إلى ربيع ساعة لكي ينتهي من فحصها. حصل على نقود سهلة مرة... استمتع مجددا، وطر بعض الأسنلة، رطلانها، وتعاطف معها، وغرس فيها شيئا من قدرته الخاصة على مداواة الآخرين، ومرة أخرى كتب وصفة أحسنه الثمن.

...رحبت السيدة العصبية التي كانت قد دخلت غرفة الكشف بخطى بطيئة... سريعة ونابضة. بعدما توردت وجنتاها، وهي تشعر بأن الحياة قد تكون... بالاهتمام رغم كل صعوباتها

راجع جون كريستو في جلسته. أصبح حرا الآن؛ حرا لأن يصعد الطابق العلوي ويتنضم لزوجته جيردا ومظليه: حرا من مداواة المرضى وأوجاعهم... العطلة الأسبوعية.

لكنه كان لا يزال يشعر باحساس غريب يجعله غير راغب في أن يتحرك.

...براح غريب جديد عليه.

...ثان متعبا متعبا متعبا

"منح من حرق ملح البوريك لهب أخضر، أما ملح الصوديوم فينتج عن  
لهب أصفر".

"مفرب جيردا إليه عبر الطاولة بذهن مشتمت، ووجهه يغطيه النمش. لم تكن  
بها الدس فكرة عما يتحدث عنه.  
هل تعرفين ذلك يا أمي؟"  
"أعرف ماذا يا عزيزي؟"  
من الأملح".

على الفور، اتجهت عينا جيردا إلى زجاجة الملح. نعم الملح والفلفل موجودان  
على الطاولة. هذا جيد. لقد نسي لويس أن يحضرها الأسبوع الماضي فأنزعج  
هولاً لذلك. دائماً ما يكون هناك شيء....

قال تيرينس بصوت حالم: "إنه أحد اختبارات الكيمياء. أجد هذا مثيراً جداً".  
دمرت زينة - انتهت التي تبلغ من العمر تسع سنوات - بوجهها الجميل  
المرقق قائلة:

"أريد أن أتناول طعامي. ألا يمكننا أن نبدأ يا أمي؟"

"لحظة يا عزيزتي. يجب أن تنتظرا والدكما".

قال تيرينس: "بإمكاننا أن نبدأ. أبي لن يمانع في ذلك. تعرفين أنه ياكل  
الطعام بسرعة".

مرت جيردا رأسها.

هل أقطع الفخذ؟ ولكنها لم تصرف أبداً من أي جانب تدخل السكين. لعل  
لويس وضعها بالشكل الصحيح في الطبق، ولكن من الممكن ألا يكون قد فعل،  
و حين يتزعج دوماً من تقطيعها بالشكل الخاطئ، فكرت جيردا ملياً، دائماً ما  
تعملها بطريقة خاطئة. يا إلهي، كيف تقدم مرق اللحم، هل تسكب قليلاً منه  
على الفخذ، بالطبع سيصل الآن.

ظل عقلها يفكر ويفكر بتعاسة... وكأنها حيوان واقع في شرك.

ظل جون كريستو جالساً على كرسي الكشف، ينقر بإحدى يديه على الطاولة  
الموضوعة أمامه، وهو يدرك تماماً أن الغداء جاهز في الطابق العلوي؛ ولكنه

## الرابع

في غرفة الطعام الكائنة في الطابق الذي يملو غرفة الكشف، كانت جيردا كريستو  
تحدق في فخذ من لحم الضأن.

هل يجب أن تعيدها من جديد إلى المطبخ لتظل ساخنة، أم لا؟

إذا تأخر جون أكثر من ذلك فسوف تبرد، وتتخثر وسوف يكون ذلك مروعا.

ولكن على الصعيد الآخر، شادرت آخر مريضة، وسوف يصعد جون في أية  
لحظة. وإذا أعادت اللحم إلى المطبخ، فسوف يتأخر العشاء، وجون لا يطبق  
تأخره. "ولكنك تعرفين بالطبع أنني لن أتأخر..." ستسمع نبرة حق مكتوم في  
صوته التي تعرفها جيداً وتخشاها، كما أنها قد تتضح أكثر من اللازم، وتجف.  
وجون لا يحب اللحم تام النضج.

ولكنه على الصعيد الآخر لا يحب الطعام البارد أبداً.

إلى أي مدى سيجد الطبق الرئيسي لذيذاً وساخناً.

ظل عقلها متردداً بين هذا وذاك، وإحساسها باليأس والقلق يزداد أكثر وأكثر  
انحصر العالم بأسره على فخذ ضأن سيبرد في الطبق.

على الجانب الآخر من الطاولة جلس ابنها تيرينس، الذي يبلغ اثني عشر  
عاماً. قال لها:

وعلم ذلك لم يستطع أن يدفع نفسه للنهوض.

سان سيجل... البحر الأزرق... والراحة الميموزا... اشجار الفستق القرمزي  
تعلو الأوزاق الخضراء... الشمس الحارقة... الرمل... ياس الحب والمعاناة...

قال في نفسه: "يا الهي، ليس ذلك. لا أريد ذلك مرة أخرى أبدا! لقد انتهى ذلك..."

وفجأة: ثمنى لو لم يتعرف على فيرونیکا أبدا، ولم يتزوج من جيردا أبدا، ولم يلتق هنريتا أبدا.

وجد أن السيدة كرايستي كانت أفضلهم جميعا. مر بوقت عصيب الأسبوع الماضي بعد الظهور: ولكنه سعد كثيرا باستجابتها. بإمكانها أن تتحمل ذلك الآن. ثم حدث ارتفاع مفاجئ في نسبة السمية، وكانت نسبة سرعه الترسيب سلبية بدلا من أن تكون إيجابية.

استلقت السيدة العجوز هناك، زرقاء، تلتقط أنفاسها، تنظر إليه بعين شريرة يقهر.

"أنت تتعامل معي كما تتعامل مع فأر التجارب، أليس كذلك يا عزيزي؟ تجربة - أو شيء من هذا القبيل."

قال لها مبتسما: "أريدك أن تستردي عافيتك."

ابتسمت له على نحو مفاجئ وقالت: "أتعني أنك تجري تجربة لم تجربها من قبل؟ ليس لدي مانع. واصل عملك أيها الطبيب! يجب أن يكون هناك إنسان تجري عليه تجربة للمرة الأولى. أليس كذلك؟ أنا شخصيا لا أمانع في ذلك. منذ كنت صغيرة. لم يكن أمرا صعبا علي أبدا. كنت أبدا مثل الزنوج. ولم يكن تمهيط شعري سهلا أبدا، ولكن ها أنا، أستمع بالمتعة. بإمكانك أن تستمع معي، أستطيع أن أحمل ذلك."

وضع يده لجس نبضها: "تشعرين ببعض الألم. أليس كذلك؟" انتقلت الحيوية من يده إلى السيدة التي كانت مستلقية على السرير لثت.

"أشعر بإحساس مروع. أنت تضع يدك في الموضع الصحيح! هذا لا يميز وفقا للخطأ. أليس كذلك؟ لا مشكلة. لا تفقد شجاعتك. بإمكانك أن أحمل. بإمكانك أن أحمل كثيرا!"

الآن جون كريستو يتقدير:

"... بخير. أتمنى لو كان كل مرضاي مثلك."

بعد أن أحسن. هذا هو السبب: أريد أن أحسن. لقد عاشت أمي حتى ثمانين والثمانين من عمرها، كما نوفيت جدتي الكبرى على نحو مفاجئ. يمر يناهز التسعين. إننا نعيش أعمارا مديدة، هذا معروف عنا."

ما هو تقيس. تحيطه الشكوك والمخاوف. كان واثقا للغاية أنه على بدايه الصحيح. ولكن أين أخفا؟ كيف يقتل السمية ويحافظ. على المحتوى... وفي الوقت نفسه يعادل نسبة الباسراتين؟

كان واثقا من نفسه أكثر من اللارم. وكان واثقا أنه سيتخطى كل العقبات ثلاث.

ذلك. على خطى رجل الدين كريستوفر. غلبه إحساس شديد بالتعب، كره العمل الطويل البطيء المرهق. وفكر في هنريتا. فكر فيها فجأة. ثم في شخصها. وأما فكر في جمالها ونضارتها، صحتها وحيويتها المشعة، وهو الربيع التي تفوح من بين خصلات شعرها.

هذا إلى هنريتا مباشرة. بعدما أرسل رسالة هاتفية مقتضبة يخبره فيها أنه سرورها. دخل الاستديو مختالا بنفسه، وأحاطها بذراعيه، وضما بقوة على عناقتهما.

سمعت دجشة سريعة مفاجئة في عينيها. ثم حررت نفسها من بين ذراعيه. فدخله فدحا من القهوة. وبينما كانت تتحرك في الاستديو جيئة وذهابا. سمع عليه بعض الالسة بسلك عسوائي. سألتها عما إذا كان جاءها من العيادة؟

لم يرغب في الحديث عن العيادة. أراد أن ينفضي وقتا ممتعا مع هنريتا. أراد سس العيادة والسيدة كرايستي ومرض يريديجوي وكل من في الوجود.

ولكنه أجاب عن أسئلتها. أجاب عنها وهو غير راغب في ذلك في البداية. أصبح يجيئها بطلاقة أكبر. كان يسير في الاستديو جيئة وذهابا. مستخدما مجموعة كبيرة من التفسيرات والمصطلحات الطبية المعقدة. توقف مرة أو



قال هجاء: "أنا متعب. يا إلهي، أنا متعب للغاية".

الذي نفسه على السرير ونام. تام كالأموات.

وعندما استيقظ، وجد هنريتا تبتسم له في ضوء الصباح وتعد له الشاي.

مسم لها.

قال لها: "هذا لم يسر وفقًا للخطة أبدًا".

هل هذا مهم؟

لا. أنت إنسانة لطيفة يا هنريتا، ثم عاد ينظره إلى خزانة الكتب. إذا

مهمة بمثل هذه الموضوعات، فسوف أحضر لك مواد جيدة لتقرئها".

"أنا لست مهمة بهذه الموضوعات. أنا مهمة بك يا جون".

أعد المجموعة السينة وهو يقول: "لا يمكنك أن تقرئي لـ سكوبيل. هذا

أمر دجال".

صحتت من قوله. ثم يفهم لماذا يسليها نقده اللازم لـ سكوبيل.

لكن هذا هو ما كان يدهشه في هنريتا بين الحين والآخر. الطريقة

الماجنة التي تجعلها تضحك منه، الأمر الذي كان يزعجه كثيرًا.

لم يكن معنادا ذلك. فقد كانت جिरدا تعامل معه بجدية شديدة. أما فيرونكا،

فإنها لم تفكر يوما في أي شيء سواها؛ ولكن هنريتا كانت تقوم بحيلة بأن ترجع

بها للخلف. وتنتظر إليه بعينين شبيه مخمضتين. وعلى شفتيها ابتسامة صغيرة

ساحرة وكأنها تقول له: "لأنني نظرة ثاقبة على ذلك الشخص المضحك

أوه، هو جون... أريد أن أبعد عنه وأنظر إليه...".

كان يرى النظرة نفسها في عينيها عندما تنحصر أعمالها، أو أية لوحة فنية.

اللغة على كل ذلك. كانت نظرة موضوعية غير متحيزة. لم يكن يريد

معرفة أن تكون موضوعية. أرادها أن تفكر فيه فقط، وألا تسمح لعقلها بأن يبتعد

صه

قال غضبته الصغير، الذي ظهر مجددا: "هذا بالضبط ما اعترضت عليه في

موردا في الحقيقة".

حقيقة الأمر أنه كان غير منطقي أبدا. لم يعرف ما الذي يريد.

الثنين، في محاولة منه للتبسيط، في التوضيح:

"أفهم؟ يجب أن تحصلي على استجابة".

قالت هنريتا بسرعة:

"نعم. نعم. يجب أن تكون استجابة العلاج إيجابية، أفهم ذلك، أكمل".

قال بجدة: "وكيف لك أن تعرفي عن استجابة العلاج؟"

"أشريت كتابًا".

"أي كتاب؟ لمن؟"

تحركت نحو الطاولة الصغيرة، فزعرور.

"سكوبيل؟ سكوبيل ليس جيدا، كما أنه غير سليم أساسا. انظري هنا، إذا كنت

تريدين أن تقرئي، أنا لا -".

قاطعتها قائلة:

"أريد فقط أن أفهم بعض المصطلحات التي تستخدمها بالقدر الذي

يكفي لي لأفهمك دون أن تضطر لأن تتوقف وتشرح كل شيء كل مرة تحدثني

فيها. استمر. أنا أسمعك جيدا".

قال بشيء من الريبة: "حسنًا، ولكن تذكرني أن سكوبيل غير سليم". ثم

تابع حديثه. تحدث طوال ساعتين ونصف الساعة. يستعرض العقبات، ويحلل

الاحتمالات، ويشير لنظريات ممكنة. كان مستغرقا في كل ذلك لدرجة جعله غير

منتبه لوجود هنريتا. ورغم ذلك، عندما كان يتردد الأمر الذي حدث أكثر من

مرة، كانت تأخذه بذكاها السريع خطوة على الطريق، وكأنها أدركت ما كان يتردد

في متابعه شرحه قبل أن يدركه هو نفسه. أصبح مهتما الآن، وبدأ إيمانه بنفسه

يتراجع للخلف. كان محققا، كانت النظرية الأساسية صحيحة، وكانت هناك طرق

أكثر من طريق، لمقارنة أعراض التسمم.

بعد ذلك، على نحو مفاجئ، أصبح مرهقا. سوف يتوقف عن العمل الآن

ويواصل حديثه في صباح الغد. سوف يتصل بـ ذيل، ويطلب منه أن يمزج

المحلولين ويجرب ذلك. نعم، سيجرب. يا إلهي، لن يسقط على الأرض!

"أريد أن أذهب للديار". كم هذا سخيف، يا لها من عبارة سخيفة. لا بد (أي شيء).

في غضون ساعة أو ما شابه سوف يخرج من لندن. ناسيا مرضاه برانكس النسيئة "الخاطلة"... متسهما رائحة الغايات وأشجار الصنوبر وأوراق الخريف النديسة... مجرد حركة السيارة تهدئ أعصابه، وزيادة السرعة بسلاسة. يبدو جهده.

ولكنه فكر فجأة أن هذا غير ممكن لأنه عاجز عن القيادة لأنه يعاني... عضلياً بمعضمه، مما يحتم على جيردا القيادة، وجيردا، كان الله في عونها، لا تتمكن يوماً من القيادة، فكان جون يلتزم الصمت في كل مرة تغير فيها السرعة ويصرر بأسنانه، ويحاول ألا يقول أي شيء لأنه يعرف من خلال التجربة عندما يقول أي شيء تزداد حالة جيردا سوءاً على الفور. كم من القريب يحاول أي شخص أن يعلم جيردا تغيير السرعات، ولا حتى هنريتا، سوف يرسد إلى هنريتا، فلنا منه أن هنريتا قد تكون أفضل منه، خاصة أنه سريع الغضب.

أما هنريتا، فكانت تحب السيارات. كانت تحدث عن السيارات بكثافة موسيقية كالتي يتحدث بها الناس عن الربيع، أو أول زهرة لبن تلجبة.

"اليس جميل يا جون؟ ألا يصدر صيحات جميلة؟" فقد كانت هنريتا تتحدث عن سيارتها بصيغة المذكر. سوف يصعد تل بيل هيل بالسرعة التال دون أي جهد على الإطلاق، بمنتهى السهولة. استمع حتى إلى الطريقة التي يتحدث بها.

حتى ينفجر من شدة الغضب على نحو مفاجئ ويقول:

"ألا تعتقدين يا هنريتا أنه ينبغي عليك تولية بعض الاهتمام لي وأن تنس السياراة اللعينة للحظة أو اثنتين؟"

كان دائماً ما يخلج من انضجاره على هذا النحو.

لم يعرف أبداً متى ستظهر عليه حالات الانفجار تلك على نحو مفاجئ.

كانت تتعامل بالطريقة نفسها مع عملها. أدرك أن عملها كان جيداً، كان ممججاً به، ولكنه كرهه في الوقت نفسه.

شجار ثار بينهما كان لهذا السبب.

أالت له جيردا ذات يوم:

"اللب منى هنريتا أن تصنع لي تمثالاً".

ماذا؟ كانت دهشته تخلو تماماً من أي إطراء، "أنت؟"

أعم ماذا؟ ألبها في الاستديو غداً.

حتى الله لماذا تريد أن تصنع لك تمثالاً؟

أعم، لم يكن مهرباً عندما قال ذلك؛ ولكن لحسن الحظ لم تدرك جيردا هذه... بل إنها بدت راضية عنها، اعتراه شك في الطيبة التي تظهرها هنريتا... أما بالنسبة لـ جيردا، فلعلها لمحت لها أنها تريد أن ترسمها، أو شيئاً من... نسيلا.

بعد حوالي عشرة أيام، قدمت له جيردا بنبؤة المنصهر تمثالاً صغيراً لها من... نسيلا.

قال جميل: تمثالاً مثقن الصنع مثل سائر أعمال هنريتا، صور جيردا على... مبالى، وكان من الواضح أن جيردا نفسها كانت راضية عنه تماماً.

أظنه رائعاً فعلاً يا جون.

"هل هذا عمل هنريتا؟ إنه لا يعني أي شيء، لا يعني أي شيء على الإطلاق، يعرف ما الذي دفعها لصنع شيء كهذا".

"الطبع هو مختلف عن أعمالها الغامضة، ولكنني أراه جميلاً، أراه جميلاً... مديراً".

لم يقل أكثر من ذلك؛ فهو رغم كل شيء لم يرد أن يفسد على جيردا متعتها؛... ألت جد هنريتا عنه في أول فرصة سحت لذلك.

"لماذا أردت صنع تمثال كهذا لـ جيردا؟ إنه لا يليق بك، أنت التي دائماً ما... من أعمالاً جيدة".

أالت هنريتا ببطء:

"لا أظنه كان سيئا، كما أن جيردا بدت سعيدة به جداً".

"ألا ترين ذلك؟ ألا تشعرين بذلك؟ أين حساسيتك المعتادة؟"

قالت هنريتا بترو:

"أنت لا تفهم يا جون. لا أظن أن بإمكانني أن أجعلك تفهم... أنت لا تعرف معنى أن تريد شيئاً، أن تبحث عنه يوماً بعد يوم، تصميم الرقبة، تلك العضلات، القوة انحناء الرأس، الثقل المحيط بالذق، كنت أطلع لهذه الأشياء، أريدها في كل مرة أرى جيردا... حتى قررت في النهاية أن أحصل عليها!"

"مجردة من الميادى!"

"نعم أظن ذلك؛ ولكنك عندما تريد شيئاً، لهذه الدرجة، يجب أن تحصل عليه."

"أفمنين أنك لا تكثرين لمشاعر الآخر. لا تكثرين لـ جيردا..."

"لا تكن غيباً يا جون. لهذا السبب صنعت لها تمثالاً مصغراً، لكي أرضي حردا وأسعدما. أنا لست معدومة المشاعر!"

"ما فعلته يدل على أنك معدومة المشاعر!"

"هل تعتقد - بصراحة - أن جيردا سوف ترى نفسها في هذا التمثال؟" نظر إليه جون على مضض. للمرة الأولى غلب اهتمامه غضبه واستياءه. تمثال بيرس خاضع، تمثال لشخص يتعبد يسدو عليه خشوع غريب؛ وجهه مرفوع؛ ممي. أخرس، وزع، متعصب للغاية... قال لها:

"هذا التمثال الذي صنعته مخيف للغاية يا هنريتا!"

ارتفعت هنريتا قليلاً.

قالت له: "نعم، أظن ذلك..."

قال جون بحدّة:

"ما الذي كانت تنظر إليه - من هذا؟ هناك أمامها؟"

رددت هنريتا. قالت له بصوت له نبرة غريبة:

"لمست أدري؛ ولكنني أظن، أنها كانت تنظر إليك يا جون."

"جيردا سعيدة به. ويجب أن تكون كذلك. فهي لا تميز بين الفن والصور الملونة."

"لم يكن فناً سيئاً يا جون، كان مجرد تمثال تصويري؛ لا ضرر منه، كما أنه صورها بشكل جيد."

"أنت لا تضيقين وقتك في العادة في عمل كهذا..."

توقف عن الكلام، وهو يحدق في تمثال خشبي طوله خمسة أقدام تقريباً.

"مرحباً، ما هذا؟"

إنه لمعرض إنترناشونال جروب، من خشب الكمبري؛ تمثال العابد."

راقبته وهو يتفحصه، حدق فيه، وفجأة انتصخت عروقه والتفت إليها وهو في شدة الغضب.

"لهذا السبب أردت جيردا؟ كيف تجرئين؟"

"أتساءل ما إذا كنت قد رأيت..."

"رأيت؟ بالطبع رأيت، إنه هنا". وضع إصبعاً على عضلات الرقبة العريضة أوامات هنريتا برأسها.

"نعم، أردت الرقبة والكتفين، وتلك النظرة إلى أسفل - الخضوع - تلك النظرة المكسورة، إنها رائعة!"

"رائعة؟ انظري هنا يا هنريتا، لن ينطلي علي ذلك، اتركي جيردا وحالتها"

"جيردا لن تعرف، لن يعرف أي شخص. وأنت تعرف أن جيردا لن ترى نفسها في هذا التمثال، ولن يعرف أي شخص آخر. كما أنها ليست جيردا. ليست أي شخص."

"لقد عرفتها، ألم أفلح؟"

"أنت مختلف يا جون. أنت ترى الأشياء."

"إنه خدعها العين؛ لن ينطلي علي ذلك يا هنريتا؛ لن ينطلي علي ذلك. ألا ترين أنه من الصعب إيجاد مبرر لذلك؟"

"هل هذا صحيح؟"

كان أصد ما تخشاه هي لوسي أنجيكا تلعب بها التي لا تنهيا أبداً، جعلها غير المترابطة، ومحاولاتها الواضحة للتظاهر برقة القلب، ولكن هناك أموراً أخرى كانت تخشاها أيضاً. كانت هذه العطلة الأسبوعية بالنسبة لجيردا بمثابة يومين من الألم والعذاب؛ عليها أن تتحملهما من أجل جون.

أما بالنسبة لجون، فقد كان ينتظر هذه العطلة الأسبوعية بفارغ الصبر. قال وهو يشد جسمه بنبرة تنم عن متعة مطلقة:

"كم من الجميل أن أفكر في الذهاب إلى الريف في هذه العطلة الأسبوعية. ستمدك هذه العطلة كثيراً يا جيردا، إنها كل ما تحتاجين إليه".  
ابتسمت له بطريقة تلقائية، فقال لها بشجاعة غير أذنية: "ستكون إجازة رائعة".

شردت عيناها التعمستان في غرفة النوم؛ حيث رأت ورق الحائط كريمي اللون عليه علامة سوداء بالقرب من دولاى الملايس، ولذلك فالمزينة المصنوعة من خشب الماهوجني والتي تعلوها امرأة تميل للأمام بشدة، والسجادة الزرقاء المبهجة؛ اللوحة المرسومة بالألوان المائية لمحيصة المقاطمة. كل الأشياء المألوفة الموجودة في غرفتها والتي لن تراها ثانية قبل يوم الاثنين.

بدلاً من ذلك، ستأتي في الفد خادمة تتحرك بحريتها في الشقة، وتدخل غرفة النوم وتضع عربة شاي أنيقة بجوار السرير وترفع الستائر الثقيلة، ثم سميد ترتيب ملايس جيردا وطهايا، الأمر الذي تجده جيردا محرجاً وغير مربح على الإطلاق، سوف تستلقي بالنسبة. تتحمل هذه الأمور، وتحاول أن تريح نفسها بقولها: "صباح واحد أخيراً"، وكأنها طالبة في مدرسة تعد الأيام.

لم تكن جيردا سعيدة في المدرسة، فقد كانت تحتاج هناك إلى مزيد من الطمأنينة والثقة أكثر من أي مكان آخر. كان المنزل أفضل بالنسبة لها، ولكن حتى المنزل لم يكن جيداً للغاية. فقد كان كل من فيه يتصرف بسرعة أكبر منها وبشكل أكثر ذكاءً. كانت تعليقاتهم، وسرعاتهم، وعدم صبرهم، وعدم طبيعتهم مردي في أذنيها وكأنها عاصفة جليدية. "أوه، أسرع يا جيردا"، "أيتها الخرقاء، اعطني ذلك"، "أوه، لا تدعي جيردا قم بذلك، ستحتاج إلى سنوات لتفعل ذلك"، "ميردا لا تحسن القيام بأي شيء..."

## الخامس

في غرفة الطعام، ذكر الصبي تيري ملحوظة علمية أخرى.

"ملح الرصاص ينوب في الماء المارذ أسرع مما ينوب في الماء الساخن. وإذا أضفت يوديد البوتاسيوم ستحصل على راسب أصفر من يوديد الرصاص".

نظر لوالدته وكأنه ينتظر منها شيئاً، دون أن يكون لديه أي أمل حقيقي. كان الأبوان في رأي تيرينس الصغير، محبطين بطريقة مؤسفة.

"هل كنت تعرفين يا أمي -"

"أنا لا أعرف أي شيء عن الكيمياء يا عزيزي".

قال لها تيرينس: "بإمكانك أن تقرني عنها في الكتب".

كانت عبارة حقيقية بسيطة، ولكنها كانت تخفي حزناً من ورائها.

لم تستشعر جيردا ذلك الحزن. كانت غارقة في قلقها اليائس، مرة ثلوا الأخرى.

كانت تعمسة منذ استيقظت هذا الصباح، وأدركت أن قضاء العطلة الأسبوعية التي كانت تخشاها كثيراً لدى عائلة أنجيكا تلعب بها اقتراب، فالبقاء في منزل هولوا كان بمثابة كابوس بالنسبة لها. كانت دائماً ما تشمر بالحيرة والإهمال هناك.

ألم يدرك أي واحد منهم - جميعهم - أن هذه الطريقة كانت تجعلها أكثر بطئاً وغياً؟ سوف تزداد حالتها سوءاً أكثر وأكثر، وتصبح أكثر بلاهة في استخدام يديها، وأكثر بطئاً في التفكير، وأكثر ميلاً لأن تحقق ببلاهة لما يقال لها.

وفجأة، وجدت نفسها مخرجاً من كل ذلك. ساعدتها المصادفة البحتة، في أن تشر على السلاح الذي تدافع به عن نفسها.

كبرت لتصبح أكثر بطئاً، كما أن نظرتها الحائرة أصبحت جوفاء أكثر وأكثر. ولكنها الآن، عندما كانت تسمعهم يقولون بنقاد صير: "أوه جيردا، كم أنت غبية، ألا تفهمين ذلك؟"، استطاعت أن تتقبل نفسها قليلاً وترضى بمهرقتها السرية... فهي لم تكن بالغباء الذي يرونها عليه. فقد كانت في كثير من الأحيان عندما تتظاهر بعدم الفهم، تكون ملهمة بالآمر بالفعل، كما كانت كثيراً ما تبطئ نفسها عن عمد عندما تقوم بمهمة بنفسها أياً كانت، وكانت تبتسم لنفسها عندما تنتزع أي أصابع منها ما كانت تفعل.

كانت معرفتها السرية مصدر تعال وفخر بالنسبة لها. يبعث فيها الدفء والبهجة. بدأت تستمتع بنفسها بعض الشيء في كثير من الأحيان. نعم. كان من الممتع أن تعرف أكثر مما يظنون أنها تعرف. أن تكون قادرة على القيام بشيء ما. دون أن تدع الآخرين يعرفوا أن بإمكانها عمله.

كما كان لذلك ميزة، اكتشفتها على نحو مفاجئ، وهي أن الناس كانوا يقومون بالمهام نيابة عنها. وهذا بالطبع، وفر عليها الوقوع في كثير من المشاكل. وفي النهاية، إذا اعتاد الناس القيام ببعض المهام بدلاً منك، فليس عليك القيام بهذه المهام على الإطلاق، ولن يعرف الناس حينها أنهم يؤدونها على نحو سيئ. وهكذا - تدريجياً، تعود من جديد من حيث بدأت، تعود للشعور بأن بإمكانها النجاح في أداء هذه المهام مثلهم بالضبط في هذا العالم على اتساعه.

(ولكن جيردا خشيت ألا يفي ذلك بالفرص مع آل أنجيكاثل، فقد كان آل أنجيكاثل يسبقونها كثيراً لدرجة تمنعها بأن لا تسير معهم في الشارع نفسه. كما كانت تكره آل أنجيكاثل ولكن جون يحبهم، يحب التواجد هناك. فقد كان يعود للمنزل وهو أقل تعباً، وأحياناً أقل حدة وانفعالاً).

قالت في نفسها، جون العزيز. جون إنسان رائع. الجميع يراه كذلك. إنه طبيب ذكي، طيب للغاية مع مرضاه، يفتي نفسه في خدمتهم، وأيضاً اهتمامه بمرضاه في المستشفى، فضلاً عن قيامه بالكثير من الأعمال الإضافية التي لا يماضى أتعاباً عليها. كم يتقاضى عن كل مصلحه الشخصية، كم هو نبيل حقاً.

لطالما عرفت، منذ البداية، أن جون إنسان ذكي سوف ينجح في الوصول لأعلى المراتب. كما أنه اختارها، رغم أنه كان بإمكانه أن يتزوج من امرأة أخرى أكثر ذكاء. لم يجد غضاضة في بطئها وميلها للغباء وعدم جمالها الباهر. كان يقول لها: "سوف أعنتي بك". كان يقول لها بلطف، وبراعة، "لا تقلقي من أي شيء يا جيردا، سوف أعنتي بك...."

الصورة التي ينبغي أن يكون عليها أي رجل. جميل أن تفكر أن جون اختارها من بين كل نساء العالم.

فإن لها وعلى شقيقه اتسامة مفاجئة - جذابة للغاية لا تخلو من ترفع؛ همرفين أنتي أحب القيام بالمهام بنفسي يا جيردا".

حسنًا، هذا جميل. لطالما حاولت أن ترضخ له في كل شيء وحتى مؤخرًا، عندما أصبح صعب المراس وعصياً لأبعد درجة، رغم أنه يبدو كأنه ليس هناك أي شيء يرضيه. عندما أصبحت لا تحسن القيام بأي شيء لسبب ما. ولكن لا يملها أن تلومه، فهو مشغول للغاية، وغير أناني -

أوه، يا الهي هذه الضخلة! كان عليها أن تعيدها إلى المطبخ. ليس هناك أي أثر لـ جون. لماذا لا يمكنها - في بعض الأحيان - أن تحسن الاختيار؟ تلا طمئنتها تلك الأمواج العاتية مرة أخرى. الضخلة العظيمة الأسبوعية المروعة التي ستقضيها مع آل أنجيكاثل. شعرت بالأم حاد في جانبي رأسها. أوه، يا إلهي، سوف تعاني نوبة صداع من تلك التي تصيبها، ولكن جون يغضب كثيراً عندما تعاني الصداع. إنه لا يعطيها أي شيء لعلاجها، رغم أن هذا الأمر غاية في السهولة بالنسبة له، أو أنه طبيبها. ولكن كان يقول لها بدلاً من ذلك، "لا تفكري في ذلك. ليس هناك مشاكل من أن تسممي نفسك بتناول العقاقير. اخرجي وتزهي قليلاً".

الضخلة! حدثت فيها وهي تشعر بأن الكلمات تكرر نفسها في رأسها الذي يملها "الضخلة، الضخلة، الضخلة....".

ظهرت في عينيها دموع رثاء لنفسها. قالت لنفسها: "لماذا لا يسير أي شيء بشكل صحيح معي أبداً؟".

نظر تيرينس عبر الطاولة إلى والدته ثم حقق في الفخذ. قال لها: "لماذا لا يمكننا أن نتناول طعامنا؟ يا لغباء الكبار. ليس لديهم أي إحساس".

ثم قال بصوت عالٍ حذر:

"سوف أحضر أنا ونيكولسون مينور النيتروجليسرين في حديقة والده. إنهم يمشون في ستريتام".

قالت له جيردا: "هل ستذهب يا عزيزي؟ سيكون هذا جميلاً".

كان لا يزال لديها وقت، فقط إذا قرعت الجرس وطلبت من لويس أن يأخذ الفخذ إلى المطبخ الآن -

نظر إليها تيرينس باستغراب شديد. كان يشعر بغريزته أن تحضير النيتروجليسرين ليس بالمهمة التي يشجع الآباء أبناءهم عليها؛ ولكنه اهتم الفرصة التي كان وانصاً أنها ستكون قوية بأن يلبي له طلبه. وقد كان اختياره وحكمه على الأمور ناجحاً. فإذا حدثت أية مشكلة محتملة، إذا انفضح أمر إعدادهما للنيتروجليسرين، بإمكانه أن يقول بصوت المتضرر: "لقد أخبرت أمي".

ورغم ذلك، شعر بإحباط لم يعرف سببه.

قال في نفسه: "حتى أمي يجب أن تكون لديها معرفة بالنيتروجليسرين".

تنهد، وإحساس مروع بالوحدة لا يشعر به سوى طفل صغير يعترضه. والده ليس لديه صبر ليستمع له، ووالدته لا تنتبه لما يقوله دوماً. وزينة مجرد طفلة سخيفة.

صفحات من الاختبارات الكيميائية المثيرة. من يهتم بها؟ لا أحد!

دق الجرس! حدثت جيردا، كان باب غرفة كشف جون. كان جون يصعد السلالم.

دخل جون كريستو الغرفة على نحو مفاجئ وسريع، جالباً معه طبيعة خاصة فيها كثير من الطاقة. كان معتدل المزاج، جائعاً، قليل الصبر.

صاح وهو يجلس ويمسك سكين تقطيع اللحم بحماسة شديدة: "يا إلهي، كم أفره الأشخاص المرضى!".

قالت له جيردا على الفور بنبهة توبيخ: "أوه جون، لا تقبل شيئاً كهذا. سوف يفسدون أنك تعني ذلك".

انحنت برأسها قليلاً ناحية الطفلين.

قال لها جون كريستو: "أنا أعني ذلك. لا ينبغي أن يكون هناك مرضى".

قالت جيردا بسرعة إلى تيرينس: "والدك يمزح".

نحس تيرينس والده بالانتباه الفاتر نفسه الذي يوليه لكل شيء.

قال لها: "لا أظنه كذلك".

قالت جيردا، وهي تضحك قليلاً: "لو كنت تكره المرضى، لما أصبحت طبيباً يا عزيزي".

قال جون كريستو: "هذا هو السبب بالضبط. فليس هناك طبيب يحب المرضى. يا إلهي، هذا اللحم بارد. بحق الله لماذا لم تعيده إلى المطبخ ليأكل سائناً؟".

"حسناً يا عزيزي، لست أدري. ظننت أنك لن تتأخر".

فرع جون كريستو الجرس، وأطال القيام بذلك وهو غاضب. فجاء لويس على الفور.

"خذ هذا اللحم واطلب من الطاهي تسخينه".

كان يتحدث بفضافة.

قال له لويس: "حسناً يا سيدي". قالها بوقاحة غير ظاهرة، ولكنه نجح في التعبير بالضبط بهاتين الكلمتين عن رأيه في سيدته التي جلست على طاولة الامناء تحديق في قطعة اللحم وهي تبرد دون أن تتخذ أي إجراء.

واصلت جيردا كلامها على نحو غير مترابط:

"أنا أسفة يا عزيزي، هذا خطئي، ولكن في البداية، ظننت أنك لن تتأخر، ثم فاد، بعد ذلك إنني إذا أرسلتها من جديد...."

"كل - ذلك". قالها وهو يشير بيده لكل الأعمال الضنية المنتشرة في  
الاستديو.

وعلى الفور قال لنفسه: "مفضل! لماذا طلبت منها ذلك؟"، ثم قال لنفسه  
مجدداً: "أتمنى أن تقول: 'بالطبع' - أتمنى أن تكذب علي! فقط لو تقول:  
'بالطبع سأفعل'، فليس المهم ما إذا كانت تعني ذلك فعلاً أم لا! ولكن أتمنى أن  
أقول ذلك. يجب أن يهدأ بالي".

ولكنها لم تقل أي شيء لبعض الوقت. شردت بهمتيها على نحو حالم وغامض،  
ثم عيسيت قليلاً.

فالت له بترؤ:

"أظن ذلك. إذا كان ذلك ضرورياً".

"ضروري؟ ماذا تعنين بكلمة ضروري؟"

"لا أعرف بالضبط ما الذي أعنيه بها يا جون. ضروري مثل ضرورة إجراء  
مراجعة بتر".

"في الحقيقة، ليس هناك شيء مهم مثل إجراء عملية جراحية".

"أنت غاضب، ما الذي تريدني أن أقوله؟"

"أنت تعرفين بالقدر الكافي، كلمة واحدة تقني بالفرض. نعم، لماذا لا  
تفكر أن تقوليها؟ أنت تقولين للناس ما يكفي لإسعادهم دون أن تهتمي بما إذا  
كان هذا الكلام حقيقياً أم لا. فلماذا لا تفعلين ذلك معي؟ بالله عليك، لماذا لا  
تفعلين ذلك معي؟"

ثم ذلك، أجابته ببطء شديد فائتة:

"لا أعرف... حقيقة لا أعرف يا جون، لا أستطيع. هذا كل ما في الأمر. لا  
أستطيع".

أحد يسير جينة وذهاباً للحظة أو اثنتين، ثم قال لها:

"سوف تقوديني للجنون يا هنريتا. لا أضمر أبداً بأن لي أي تأثير عليك".

"لماذا تريد أن يكون لك تأثير علي؟"

"لا أعرف؛ ولكنني أريد ذلك".

قاطعها جون بنفاد صبر.

"أوه، ما أهمية ذلك؟ هذا غير مهم. لا يستحق أن نتحدثي بشأنه كل ذلك".

ثم سألتها:

"هل السيارة موجودة؟"

"أظن ذلك. كولي طلبها".

"إذن يمكننا أن نطلق بمجرد أن ننتهي من تناول الغداء".

عبر جسر ألبيرت، ثم مقاطعة كلابهام كومون - الطريق المختصر إلى  
كريستال بالاس - كرويدون - طريق بيرلي، ثم نتجنب الطريق الرئيسي، وتأخذ  
الطريق المؤدي إلى ميذرلي هيل - عبر جسر هافستون - ثم نخرج مباشرة من  
الضاحية - لنجد الغابات تحيط بنا من كل مكان - رائحة الخريف الزكية، ثم  
ننزل من قمة التل.

لوسي وهنري... هنريتا....

لم يزه هنريتا منذ أربعة أيام. عندما رآها آخر مرة، كان غاضباً. رأى تلك  
النظرة في عينيها، ليس بإمكانه وصف هذه النظرة بالضبط. ولكنها لم تكن  
شاردة، ولا منتبهة، نظرة رؤية شيء ما، شيء لم يكن موجوداً شيء (وهذا مرتبط  
الفرس) شيء مختلف في جون كريستو!

قال لنفسه: "أعرف أنها نحاعة. أعرف أن أعمالها الفنية جيدة. ولكن اللعنة  
عليها جميعاً، ألا يمكنها أن تنساها أحياناً؟ ألا يمكنها أن تفكر في بعض الوقت  
دون أن تفكر في أي شيء آخر؟"

كان ظالماً. وكان يعرف أنه ظالم. فتادروا ما كانت هنريتا تتكلم عن عملها، بل  
إنها في الحقيقة أقل هوساً به من أغلب الفنانين الذين عرفهم. وفي حالات نادرة  
للف غاية كانت تستغرق في التكبير في رؤية داخلية تفسد عليه اهتمامها الكامل به،  
ولكن دائماً ما أثار ذلك غضبه وحنقه.

قال لها ذات مرة، بصوت حاد وهاس: "هل تضحين بكل ذلك إذا طلبت منك  
ذلك؟"

عكس صوتها الدافئ دهشتها: "كل - ماذا؟"



لمهدت جيردا. لم تفهم يوماً لماذا لا يكثر طبيب، يقضي أغلب وقته في ملاعق أوجاع الآخرين، بصحة عائلته، فهو دائماً ما يسخر من اقتراحاتها الخاصة بالمرض.

قالت زينة بشيء من المجرفة: "لقد عطست ثماني مرات قبل الغداء".  
قال جون: "عطس من الحرارة".  
اجابه تيرينس قائلاً: "الجو ليس حاراً، فمقياس الحرارة الموجود في مسالة يوضح أن درجة الحرارة ٥٥".  
بهض جون من مكانه وقال: "هل انتهينا؟ حسناً، لنبدأ في رحلتنا. هل أنت مستعدة يا جيردا؟".

"لحظة يا جون، لدي بعض الأمور التي سأقوم بها".  
"مطبعا كان بإمكانك عملها من قبل. ماذا كنت تفعلين طوال الصباح؟".  
خرج من غرفة الطعام غاضباً. فأسرعت جيردا إلى غرفة نومها. كان قلبها ماضراً أن تكون سريعة بزيدها بطناً، ولكن لماذا لم يكن بإمكانها أن تكون ماضرة؟ لقد انتهى من إعداد حقيبته الخاصة ووضعها في الردهة. لماذا بحق الله

مهدمت زينة نحو، وهي تمسك ببعض البطاقات اللاصقة.  
"هل يمكنني أن أقرأ لك طالعك يا أبتى؟ أعرف الطريقة. لقد قرأته لأمي وديوي ولويس وجين والطامي".  
"حسناً".

سأهل كم ستقرب جيردا في الداخل. كان يريد أن يخرج من هذا المنزل المزعج، وهذا الشارع المزعج، وهذه المدينة المليئة بالآلام والأوجاع والمرضى. ان يدخل القابات ويتشمم رائحة أوراق الأشجار المبتلة، وانزال لوسي، كحكايل الجميل، التي تعطيك دوماً انطباعاً بأنها ليست إنسانة كغيرها من الناس.

كانت زينة تتعامل مع أوراق اللعب بحرص بالغ.

الذي ينقسه على كرسى.  
"أريد أن أكون في المرتبة الأولى".  
"أنت كذلك يا جون".  
"لا، وإذا مت فسيكون أول شيء تفعلينه، والدموع تنهمر من عينيك على وجهك، هو أن تبدلي في عمل تمثال لسيدة حزينة أو أي تعبير آخر ينم عن الألم والحزن".  
"لست أدري، لعل هذا ما سيحدث. هذا مزعج".  
جلست قبالة ناظرة إليه بميتين قلقتين.

## ٢

احترقت حلوى البودينج. رفع كريستو حاجبه اعتراضاً، وبدأت جيردا في سلسلة من الاعتذارات.  
"أنا أسفة يا عزيزي. لا أعرف لماذا تحدث مثل هذه الأمور. إنه ذنبى سأتناول أنا الجزء المحترق على السطح. وسأعطيك الجزء السفلي".

احترقت حلوى البودينج لأنه - جون كريستو - ظل جالساً في غرفة الكافيه لربع ساعة بعد انتهاء عمله، يفكر في هنريتا، والسيدة كرايتري، سامحاً لمشاعر الحنين السخيفة نحو سان مجيل أن نفهمه. كان الذئب ذنبه، كان غيباء من جيردا أن تتحمل اللوم عنه، جنون منها أن تحاول تناول الجزء المحترق. لماذا عليها دوماً أن تجعل من نفسها ضحية؟ لماذا حقد تيرينس فيه بتلك الطريقة البطيئة المهتمة؟ لماذا، أوه، لماذا ظلت زينة تشممه على نحو مستمر؟ لماذا انزعج الجميع على هذا النحو؟

صب جام غضبه على زينة.  
"بحق الله، لماذا لا تكفين عن التشمم؟".  
"لها مصابة بنزلة برد على ما أظن يا عزيزي".  
"لا، ليست مصابة. دائماً ما تتصورين أنهم مصابون بالبرد إنها بخير".

"هذا أنت في المنتصف يا أبي، شايب قلوب. دائماً ما يكون الشخص الذي يقرأ طالعه هو شايب قلوب. ثم أتعامل مع باقي البطاقات المقلوبة. اثنتان على يسارك واثنتان على يمينك، وواحدة فوق رأسك؛ الذي يسيطر عليك، وآخر أسفل قدميك؛ تسيطر أنت عليها. وهذه البطاقة تغطيك؟

أخذت زينة الآن نفساً عميقاً: "والآن، سوف نقلب الأوراق، على يمينك نحو الملكة الديناري؛ قريبة منك للغاية".

قال في نفسه: "هنريتا" بعدما استغرق في جدية زينة في التعامل مع الأمر "وبعد ذلك يأتي الولد السيأتي؛ إنه شاب هادئ".

"على يسارك الثمانية البستوني؛ إنه عدو سري. هل لديك عدو سري يا أبي؟"

"لا أعرف".

"وخلفه تأتي البنت البستوني؛ إنها سيدة أكبر بكثير".

قال لها: "الليدي أنجيكاكل".

"والآن، هذه هي التي تعلق رأسك ولها سيطرة عليك، البنت القلوبية".

قال في نفسه: "فيرونیکا؟ فيرونیکا؟" ثم قال بعد ذلك: "كم أنا مغفل فيرونیکا لم تعد تعني لي أي شيء الآن".

"وهذه الورقة التي تأتي أسفل قدميك وتسيطر عليها؛ البنت السيأتي"

دخلت جيردا الغرفة بسرعة.

"أنا مستعدة يا جون".

"أوه، انتظري لحظة يا أمي، أنا أقرأ لوالدي طالعه. تبقى آخر ورقة. أمم ورقة على الإطلاق يا أبي. الورقة التي تغطيك".

قلبت زينة الورقة بأصابعها الصغيرة، ثم شهقت على الفور.

"أوه، إنها الأصل البستوني؛ عادة ما تعني الموت - ولكن -".

قال جون: "والذلك سوف تدوس شخصاً ما في طريق الخروج من لندرا

تعالى يا جيردا، الوداع، الوداع؛ أنتما الاثنتين. أحسنا التصرف".

## السادس

ميدج هاركاسل درجات السلم في حوالي الحادية عشرة صباح يوم السبت، أوقفت إطاراتها في السرير ثم قرأت كتاباً، ثم غلبها النعاس قليلاً، حتى نهضت فرائشها.

التأسل بهذه الطريقة لطيف. كان ينبغي لها أن تأخذ إجازة منذ فترة؛ ليس ذلك شك في ذلك. فالسيدة ألفريج تزعجها كثيراً.

ثم حث من الباب الأمامي للمنزل إلى أشعة شمس الخريف الندية. كان السير هنري أنجيكاكل جالساً على مقعد ريفي يتصفح جريدة التايمز. نظر إلى راسم ويسم. كان مغرماً بميدج.

ثم حياها عزيزتي".

هل ناخرت؟"

قال لها السير هنري مبتسماً: "لم يَمُتْكَ الغداء".

لمس ميدج إلى جواره وقالت وهي تتنهد:

"أيه الوريث يا أنسة ميدج. يسمونه ميراث وقف. صحيح أن الأنسة لوسي هي الأنسة الوحيدة للسيد جيوفري، ولكنها لا يمكن أن ترثه لأنها أنثى. والسيد جيوفري زوجها مجرد قريب من بعيد. ليس ابن عم مثل السيد إدوارد."

والآن أصبح إدوارد يعيش في منزل إينزويك. يعيش هناك بمفرده ونادراً جداً نادياً معنا. كانت ميدج تتساءل في نفسها في بعض الأحيان عما إذا كانت لوسي دائماً هي ذلك؛ فدايماً ما كانت لوسي تبدو كأنها لا تكثر أبداً لأي شيء.

مع ذلك كان إينزويك منزلاً، وكان إدوارد مجرد ابن عم، يصرفها بأكثر من مجرد ابن عم. كان والدها، السيد جيوفري أنجيكاتل الكبير، "شخصية" عظيمة في البلدة. كما كان يتمتع بثروة ضخمة أيضاً، ألت غالبيتها إلى لوسي، لهذا كان إدوارد رجلاً فقيراً مقارنة بها، لديه ما يكفيه ليحافظ على المكان، ولكنه ليس قادراً على العناية ليحصل ذلك.

ثم يكن إدوارد ممن يحبون الأشياء الباهظة. لقد قضى بعض الوقت في مصلحة حكومية، ولكنه عندما ورث منزل إينزويك، استقال من عمله وأصبح مهندساً على أملاكه في العيش. كان يحب الكتب، ويجمع الطبعات الأولى منها، وكان يكتب بين الحين والآخر - وهو متردد بعض الشيء - بعض المقالات الصبورة الساخرة ليجري عليها استطلاعات رأي مفجورة. وقد طلب من هنريتا هيرنيك - التي كانت قريبة له من بعيد - الزواج ثلاث مرات.

عاشت ميدج تحت أشعة شمس الخريف تفكر في هذه الأمور. لم تفكر يوماً بذلك، كانت سعيدة أنها ستري إدوارد أم لا. بدت كأنها لم "تنس" تماماً. فليس من الممكن لأي إنسان أن ينسى شخصاً مثل إدوارد. إدوارد الذي عرفته في إينزويك هي الأنسة لها إدوارد الذي يقف من على طاولة مطعم في لندن ليحييها. لقد...

إدوارد منذ تفتحت عيناه كما تتذكر....

ناداه السيد هنري.

"ما رأيك في لوسي؟"

أجابته ميدج مبتسمة: "في أحسن حال. إنها كعادتها بالضبط."

أخرج السيد هنري غليوته وهو يقول: "مهم - نعم". ثم قال على نحو مفاجئ: "أعزفين يا ميدج، أحياناً يساورني القلق بشأنها."

"الجلوس هنا لطيف."

"تبدلين شاحبة."

"أوه، أنا بخير. جميل أن تتواجد في مكان ما لا يضم سيدات سمينات يحاولن ارتداء ملابس ضيقة لا تناسبهن!"

قال السيد هنري: "قطعاً هذا مروع". ثم صمت للحظة ونظر إلى ساعة يده وقال: "سيصل إدوارد في الساعة الثانية عشرة والرابع."

قالت ميدج: "حافاً؟ لم أز إدوارد منذ فترة طويلة."

قال السيد هنري: "إنه لم يتغير. تماماً مثلما كان في منزل إينزويك."

قالت ميدج: "منزل إينزويك؟ إينزويك؟" خلق قلبها لسماع الكلمة. تلك الأيام الجميلة التي قضتها في منزل إينزويك. الزيارات التي كانوا يتطلعون إليها قبلها بأشهر! "سأذهب إلى منزل إينزويك". كانت تظل مستيقظة ليالم بطولها تفكر في هذه الزيارات. وفي النهاية: يأتي اليوم الموعود! المحطة الصغيرة التي يتوقف القطار فيها: قطار لندن السريع الكبير، إذا أبلغت الحارس بذلك! السيارة الديمة تنتظر في الخارج. ثم قيادة السيارة، والدخول أخيراً من البوابة والصعود لأعلى عبر الغابات حتى تصل إلى الخلاء حيث المنزل الكبير الأبيض يرحب بك. والعلم جيوفري العجوز مرتدياً معطفه المصنوع من نسج التويد الخشن.

"الآن، أيها الصغار، استمعوا بوقتكم"، وكانوا يستمعون بوقتهم فعلاً كانت هنريتا تأتي من أيرلندا، وإدوارد من أيتون. أما هي، فقد كانت تأتي من مدينة صناعية مظلمة في الشمال. كانت أياماً أشبه بالعيش في الجنة.

ولكنها كانت تركز على إدوارد دوماً. إدوارد الطويل الرقيق الخجول الطيب على الدوام، ولكنه بالطبع لم ينتبه إليها كثيراً لوجود هنريتا معهم.

كان إدوارد - الذي كان منكشاً على نفسه على الدوام - يتصرف وكأنه زائر لهذا تعجيب كثيراً ذات يوم عندما قال لها تريمليت البستاني ذات يوم:

"سوف يزول المكان إلى إدوارد يوماً ما."

"ولكن لماذا يا تريمليت؟ إنه ليس ابن العم جيوفري."

نظرت إليه ميدج بعين الدهشة وقالت: "أقلق؟ لماذا؟"

هز السير هنري رأسه.

قال لها: "لوسي لا تعرف أن هناك أموراً لا يمكنها عملها".

حدثت ميدج فيه، فواصل كلامه:

"إنها دائماً ما تنجو من أية فعلة تفعلها - هذا أديها طوال الوقت". ثم أبتسم وأضاف: "لقد استهزأت من قبل بتقاليد منزل الحاكم، وأحدثت فوضى عارمة بين المدعوين في إحدى حفلات العشاء (وهذه، يا ميدج، جريمة شناعة) وقد أجلسيت أعداء لدودين بجوار بعضهم البعض على طاولة الطعام، وتجاوزت كل الحدود في التعامل مع مسألة لون البشرة؛ وبدلاً من أن تحدث شجاراً عنيفاً بين الجميع وتجلب العار إلى حاكم الهند، أراهن أنها ستجو من هذه الفعلة أيضاً؛ وبما لها من حيلة تلك التي تستخدمها - فهي تبسم دوماً في وجه الآخرين متظاهراً بأنها لم يكن لها يد في أي شيء؛ والأمر نفسه ينطبق على طريقة تصرفها مع الخدم: فهي تسبب لهم الكثير من المشكلات، ورغم ذلك يعيشونها".

قالت ميدج وهي غارقة في التفكير: "أعرف ما تعنيه، فالأشياء التي لا تقبلها من أي شخص آخر، لا تجد غضاضة في تقبلها إذا صدرت من لوسي، ما هذا، أتساءل؟ سحر؟ جاذبية؟".

هز السير هنري كتفيه.

"دائماً ما كانت تتصرف على هذا النحو منذ كانت فتاة، بل إنني أشعر في بعض الأحيان بأن الأمر يزداد سوءاً معها. أعني أنها لا تدرك أن هناك حدوداً لماذا يا ميدج، أشعر بأن لوسي قد نفلت بذاتها حتى إذا ارتكبت جريمة قتل" قالها وهو مستغرق في التفكير.

أخرجت هنريتا السيارة الديلج من المراب الكائن في الإسطبل، وبعد حوار في تماماً مع صديقها ألبرت، الذي كان يهتم بحالة سيارتها، أدارت المحرك.

قال لها ألبرت: "أظن أن العربى تسيير بسلاسة يا أنسة".

ابستمت له هنريتا، وخرجت من الإسطبل مستمتعة بالمتعة التي لا تنضب التي تستمتعها دوماً عندما تبدأ في قيادة السيارة بمفردها. فهي تفضل أن تكون بمفردها كثيراً عند القيادة، بهذه الطريقة، تستشعر متعة خاصة في القيادة.

كانت تستمتع بمهاراتها في القيادة في الشوارع المزدهمة، تستمتع باكتشاف طرق مختصرة جديدة للخروج من لندن. كانت تسيير في طرق اكتشفتها بنفسها، عندما كانت تقود السيارة في لندن، كانت تشعر بأن معرفتها بشوارعها لا تقل راحة عن أغلب سائقي السيارات الأجرة، أخذت الآن الطريق الشمالي الغربي الذي اكتشفته بنفسها مؤخراً، ولدت من حارات معقدة لشوارع الضاحية.

وصلت أخيراً إلى جسر شوفيل داو الطويل في الساعة الثانية عشرة والنصف. لطالما أحببت هنريتا المنظر من ذلك المكان تحديداً، فأوقفت سيارتها في المكان الذي بدأ الطريق يهبط عنده، أحاطتها الأشجار من كل مكان ومن حولها: أشجار تتحول أوراقها من اللون الذهبي إلى البني. بدأ العالم من حولها تحت أشعة شمس الخريف القوية ذهبياً رائعاً بشكل لا يوصف.

قالت هنريتا في نفسها: "أنا أحب الخريف، فهو أكثر ثراءً من فصل الربيع". وفجأة خطرت ببالها إحدى لحظات السعادة الشديدة التي عاشتها: إحساس جمال العالم، بالمتعة الشديدة التي تستمتعها في هذا العالم.

قالت في نفسها: "لا يمكن أن أسعد من جديد مثلاً أنا سعيدة الآن، لا يمكن". وقفت هنريتا هناك للحظة، تحديقاً في العالم الذهبي الذي بدا وكأنه يسبح ودوب في نفسه ليصبح ضبابياً غير واضح من شدة جماله.

نم نزلت بعد ذلك من قمة النل، نزلت إلى أسفل عبر الغابات، لتسيير في الطريق الطويل المنحدر المتجه إلى منزل هولو.

عندما دخلت هنريتا المنزل بسيارتها، كانت ميدج جالسة على جدار الشرفة المصير. فلوحت لها بيدها في سعادة. سعدت هنريتا كثيراً بروية ميدج التي كانت ليحبها.

خرجت الميدي أنجيكا تال من المنزل وقالت:

"أوه، ها قد وصلت يا هنريتا، عندما تنتهين من إدخال سيارتك إلى الإسطبل، واطعامها، سيكون الغداء جاهزاً".

قالت هنريتا وهي تقود سيارتها حول المنزل: "يا لها من ملاحظة ذكية من لوسي". فراققتها ميدج، على الدرجات، قالت لها: "أعلمين، دائماً ما أقهر بنفسي لأنني تخلصت تماماً من أجدادي الأيرلنديين الذين يكثرون من الحديث عن الخيول، فعندما تشغلين وسط أشخاص لا يتحدثون عن أي شيء سوى الخيول، سوف تضجرين بعدم الاهتمام بهم. والأّن تحدثني لوسي وكأنني أتعامل مع سيارتي مثلما أتعامل مع حصان بالضبط، وهذا صحيح فعلاً".

قالت لها ميدج: "أعرف، لوسي مهلكة للغاية. لقد قالت لي هذا الصباح إنه بإمكانني أن أتصرف بوقاحة كما يحلو لي طوال تواجدي هنا".

فكرت هنريتا في ذلك للحظة ثم أومأت برأسها وقالت:

"طبعاً بسبب المتجر".

"نعم، عندما يضطر المرء لقضاء كل يوم من حياته في صندوق صغير لعين، ألا وهو التصرف بلباقة مع سيّات وحجّات، ويناديهن سيدتي، ويجعل منهن وفورات، ويبتسم لهن ويتقبل كلماتهن اللينة مهما قلن له: حسناً، أحياناً يريد المرء أن يستخدم كلمات وقحة! أعلمين يا هنريتا، دائماً ما أتساءل لماذا يجد الناس أنه من المهيّن العمل "في خدمة الآخرين"، ولكن من المفخامة والاستقلالية أن تعمل في استغلالية في أي متجر. المرء يقابل إهانات أكبر عند العمل في أي متجر عما يلاقيه جادجون أو سيمونز في أي عمل منزلي".

"قطعاً الأمر محزن يا عزيزتي، أتمنى لو لم يكن عندك كبرياء وأصرار أن تكسبي قوتك بعرق يديك".

"على أية حال، لوسي ملاك، سوف أكون وقحة مع كل شخص في هذه المعطلة الأسبوعية".

قالت هنريتا وهي تخرج من السيارة: "من سيأتي؟".

"آل كريستو". ثم صمتت ميدج قليلاً ثم أزدت تقول: "وقد وصل إدوارد للتو".

"إدوارد؟ هذا جميل. لم أره منذ فترة طويلة، هل سيحضر أحد آخر؟".

"ديفيد أنجيكا تال، وينكره، تقول لوسي إنك ستكونين مفيدة كثيراً في التعامل معه. سوف تمنعينه عن قضم أظفاره".

قالت هنريتا: "يبدو ذلك بعيداً كل البعد عني. أنا أكره التدخل في شئون الناس، ولا أرغب في مراقبة عاداتهم الشخصية، ما الذي قالته لوسي؟".

"فضلاً عن ذلك! قالت إن لديه قفاحة آدم أيضاً".

سألتها هنريتا وهي مصدومة: "لا أظنها تنتظر مني أن أفعل شيئاً حيال ذلك أيضاً، أن أفعل شيئاً

أم أنني مخطئة؟"

"وأن تحسني التعامل مع جيردا".

"كم كنت سأكره لوسي لو كنت مكان جيردا!"

"وشخص يحل ألباز الجرائم سيأتي لتناول الغداء غداً".

"لن نلعب لعبة القتل، أم أننا سنفعل؟".

"لا أظن ذلك. أظن أنها مجرد استضافة لجار جديد".

تغير صوت ميدج قليلاً.

"ها هو إدوارد خرج ليقابلنا".

قالت هنريتا باندفاع مفاجئ يعكس عاطفة دافئة: "عزيزي إدوارد".

كان إدوارد أنجيكا تال طويل الغلابة ونحيفاً، تقدم نحو السيدتين الصغيرتين متسهماً.

"مرحباً يا هنريتا، ثم أرك منذ أكثر من عام".

"مرحباً يا إدوارد".

كم كان إدوارد لطيفاً! ابتسامته الساحرة، التجاعيد الصغيرة الموجودة في زاوية عينيه، وكل عظامه الصغيرة المدورة. قالت هنريتا في نفسها: "أظن أنني أحب عظامه كثيراً". فاجأها دفء عاطفتها تجاه إدوارد، كانت قد نسيت أنها أحبت إدوارد لهذه الدرجة.

بعد الغداء قال إدوارد: "أخرجين للسير معي يا هنريتا".

كانت سير إدوارد أشبه بركض خفيف.

صعدا التل الكائن خلف المنزل. اخذين طريقاً متعرجاً في الغابات. وجدتھا هنريتا مثل غابات إينزويك. إينزويك الجميل، يا لثمتعة التي عاشوها هناك وبدأت في الحديث مع إدوارد عن إينزويك. استرجعا معا الذكريات القديمة.

"أتذكر سنجابنا؟ السنجاب الذي كان فكه مكسوراً. وضعناه في قفص حتى تحسنت صحته؟".

"بالطبع. كان اسمه سخيفاً - ماذا كنا نسميه؟".

"تشو ليمونديلي - مارجوريانكس؟".

"بالضبط".

ضحكا معاً.

"والسيدة بوندي المعجوز، مديرة المنزل، دائماً ما كانت تقول لنا إنه سيصعد المدخنة في يوم ما".

"وكنا نغضب لذلك كثيراً".

"ثم فعل بعد ذلك".

قالت هنريتا بإيجابية: "فعلها. وضعت الفكرة في رأس السنجاب الصغير".

ثم تابعت تقول:

"المكان كله لم يتغير يا إدوارد؟ أم أنه تغير؟ دائماً ما أتخيله بالمظهر نفسه".

"لماذا لا نأتين وترينه يا هنريتا؟ لقد مضى وقت طويل للغاية لم تذهبي إلى هناك".

"أعرف".

تساءلت في نفسها عن السبب الذي جعلها تسمح لكل هذه الفترة بالمضي؟

كانت مشغولة ومهتمة بأحوال الناس وغارقة فيها...

"تعرفين أنك موضع ترحيب في أي وقت".

"كم أنت لطيف للغاية يا إدوارد".

قالت في نفسها، إدوارد العزيز، بعظامه اللطيفة.

قال لها على الفور:

"أنا سعيد أنك مفرمة بمنزل إينزويك يا هنريتا".

قالت على نحو حالم: "إينزويك أجمل مكان في العالم".

هناة بساقين طويلتين، شعرها بني غير مرتب... فتاة سعيدة ليست لديها أية فكرة عما ستفعله الحياة معها... فتاة أحببت الأشجار...

قالت في نفسها: "كم كنت سعيدة للغاية دون أن أعرف ذلك! أتمنى فقط لو...".

ثم قالت بصوت عال على نحو مفاجئ:

"هل يجدراسيل لا تزال هناك؟".

"أحرقها البرق".

"أوه، لا، يجدراسيل".

حزنت لذلك. كان يجدراسيل هو الاسم الذي كانت تطلقه على شجرة بلوط قديمة هناك. إذا كان البرق أحرق يجدراسيل، فليس هناك أي شيء آخر في أمان! هي الأفضل ألا تعود إلى هناك.

"هل تذكرين علامتك المميزة، علامة اليجدراسيل؟".

"الشجرة المضحكة لم تكن كأية شجرة كنت أرسمها على الورق؛ ولكنني دأرت أرسمها يا إدوارد؟ على الورق الجاف، في دفتر الهاتف، وعلى البطاقات البريدية. كنت أرسمها طوال الوقت. أعطيتي فلم رصاص".

أعطائها قلماً ودفترًا، فرسمت شجرة سخيفة وهي تضحك.



قال لها: "نعم، هذه هي يجدراسيل".

صعدا معاً التل حتى وصلا لقمة الطريق. فجلست هنريتا على جذع شجرة ساقط، وجلس إدوارد إلى جوارها.

نظرت لأسفل في الغابات.

"إنها تشبه إينزويك قليلاً، وكأنها إينزويك للجبب. أحياناً أنساهل. يا إدوارد، ألهذا السبب قدمت لوسي وهنري إلى هنا في رأيك؟"  
"ربما".

قالت هنريتا بهدوء: "لا يعرف المرء أبداً ما يدور في عقل لوسي". ثم أردفت: "ما الذي كنت تفعله يا إدوارد منذ رأيتك آخر مرة؟".

"لا شيء يا هنريتا".

"يبدو ذلك مسالماً للغاية".

"لم أحسن أبداً القيام بأي شيء".

رغمته بنظرة سريعة. أحست شيئاً في نبرة صوته: ولكنه كان يبتسم لها في

هدوء.

فاستشعرت مرة أخرى تلك العاطفة العميقة تجاهه.

قالت: "ربما. أنت حكيم".

"حكيم؟"

"حتى لا تفعل أي شيء".

قال إدوارد بتروء: "من الغريب أن تقولني ذلك يا هنريتا. أنت التي طالما كنت راجحاً".

"هل تظنني ناجحة؟ كم هذا غريب".

"ولكنك كذلك بالفعل يا عزيزتي. أنت هائلة. قطعاً أنت هخورة بنفسك، لا يمكن سوى أن تكوني كذلك".

قالت هنريتا: "أعرف. كثير من الناس يقولون لي ذلك؛ ولكنهم لا يفهمون، لا يفهمون أبسط شيء عن ذلك. وأنت أيضاً لا تفهم يا إدوارد. النحت ليس شيئاً خطئ له وتنجح فيه. ولكنه شيء يستحوذ عليك، شيء يزعجك، يسيطر عليك، فيسملر - عاجلاً أو آجلاً - للتصالح معه. وبعد ذلك، تحظى ببعض السلام البسرة، حتى تعود الكرة من جديد".

"هل ترغبين في أن تنعمي بالسلام يا هنريتا؟".

"أحياناً أظن أنني أريد أن أنعم بالسلام أكثر من أي شيء آخر في الحياة يا إدوارد".

"بإمكانك أن تنعمي بالسلام في إينزويك. أظن أنه بإمكانك أن تكوني سعيدة هناك، حتى لو اضطررت لتحملني. ما رأيك في ذلك يا هنريتا؟ أليس تأتي إلى إينزويك وتتخذني منه منزلاً لك؟ طالما كان ينتظرك، كما تعرفين".

أدارت هنريتا رأسها ببطء. قالت بصوت منخفض: "أتمنى لو لم أكن مفرمة لول لهذه الدرجة يا إدوارد، فهذا يصعب علي أن أرفض مجدداً".

"أذن ترفضين؟"

"أنا أسفة".

"لقد رفضت من قبل. ولكن هذه المرة، حسناً، ظننت أن الوضع سيكون مختلفاً. لقد كنت سعيدة يا هنريتا. لا يمكنك أن تنكري ذلك".

"أنا سعيدة للغاية".



"حتى وجهك، أصبح أصغر مما كان عليه هذا الصباح".  
"أعرف".

"كنا سعداء معاً، بحدیثنا عن اینزویك، والتفكير في اینزویك. ألا تریں ما یعنیه ذلك یا هنریتا؟"

"أنت من لا یرى ما یعنیه ذلك یا إدوارد! كنا نعيش في الماضي".  
"أحياناً یكون الماضي مكاناً جمیلاً للعیش فیه".

"لا یمكن للمرء أن یعود للوراء. هذا هو الأمر الوحید الذي لا یمكنك عمله أن تعود للماضي".

لزم إدوارد الصمت للحظة أو اثنتين، ثم قال بصوت هادئ، مبهج غیر عاطفی:  
"ما تعنینه حقاً هو أنه لا یمكنك الزواج منی بسبب جون کریستو".

لم تجبه هنریتا، فتابع إدوارد كلامه:

"هذا هو السبب، ألیس كذلك؟ لو لم یكن جون کریستو موجوداً في العالم لتوافقت على الزواج منی".

قالت هنریتا بمنتهی القسوة: "لا أستطیع أن أتخیل عالماً لیس فیه جون کریستو! هذا هو ما یجب أن تفهمه".

"إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا یطلق الرجل زوجته ثم تتزوجان بعد ذلك؟"  
"جون لا یرید أن یطلق زوجته. ولا أدري ما إذا كنت سأرغب في الزواج منه إن

فعل ذلك. الأمر لیس كما تتصوره یا إدوارد".

قال إدوارد بطريقة تعكس التفكير والتأمل:

"جون کریستو. هناك الكثير من جون کریستو في هذا العالم".

قالت هنریتا: "أنت مخطئ، قلیلون للغاية من یشبهون جون".

"إذا كان ذلك صحیحاً، فهذا جید! على الأقل، هذا ما أظنه".

نهض من مكانه وقال: "من الأفضل أن تعود إلى المنزل".

## السابع

بعد أن ركباً السيارة وأغلق لويس الباب الأمامي للمنزل القائم في شارع هادسي، شعر جیردا بألم النفي یعتصرها. ذلك الباب المغلق كان موصداً نهائياً. ما حدث سجنه، كانت هذه العطلة الأسبوعية المروعة بمثابة سجن لها. وكانت تلك أمور. الكثير من الأمور. كان یتنفی علیها أن تفعلها قبل مغادرتها. هل ما لبثت صنبور دورة المياه؟ والملاحظة الخاصة بالمغسلة، لقد وضعتها، ولكن لم یصعها؟ هل سیكون الطفلان في حال جیدة مع الأنسة؟ كانت الأنسة - كانت هل تبرئیس على سبیل المثال، سیفعل أي شيء تطلبه منه الأنسة؟ المریبات المرسیات لا تبدو أبداً لهن أية سيطرة.

استقلت مقعد القيادة، والبؤس لا یزال یعتصرها، ثم وضعت مفتاح التشغيل. مرتبة مرة تلو الأخری. قال لها جون، "سوف تملأ السيارة على نحو أفضل یا إدوارد! إذا أدت المحرك".

"أوه، یا إلهی، هذا غیاء منی". رفقته بنظرة سريعة منتبهة. لو غضب جون لذلك مباشرة، ولكنه كان مبتسماً، الأمر الذي أراحها كثيراً.  
قالت جیردا في نفسها بلحمة من لمحات الذكاء التي لا تخلو منها: "هذا لا یسهل سعید بندهایه إلى آل أنجیکاتل".

ممكین جون، یعمل بجد شدید! حیاته لیس له، یفنیها في خدمة الآخرين! لیس من المعجیب أن یطلع لهذه العطلة الأسبوعية. استعاد عقلها الحوار الذي

من جون وجه زوجته المتوتر الباس بنظرة جانبية سريعة.

قال في نفسه: "كل شيء يخيف جيردا". حاول أن يتخيل ما كان سيشعر به إذا كان سيعيش في هذه الحالة. ولكن نظراً لأنه لم يكن رجلاً واسع الخيال، لم يمدح أن يتصور الوضع على الإطلاق.

أصرت جيردا على وجهة نظرها: "دائماً ما أحاول أن أبهر الطفلين بحياة عادية، التضحية بالذات، والإخلاص في مساعدة الآخرين وتخفيف الأهموم عنهم، والرغبة في خدمة الآخرين، إنها حياة نبيلة، أنا فخورة أنك تفني وقتك ومالكك دون أن تخصص نفسك".

فاملعها جون كريستو قائلاً:

"ألم يخطر ببالك أبداً أنني أحب الطب، وأنتي أجده متعة كبيرة، وليس بحاجة؟ ألا تعلمين أن الطب ممتع؟".

قال في نفسه، لا، فجيردا لن تدرك أبداً أمراً كهذا إذا أخبرها بالسيدة ماري ومستشفى ماجريت راسل ورد لن ترى فيه سوى ملاك رحمة يساعد الأمراء الذين يعانون فقراً مدقعاً.

قال بصوت منخفض للغاية: "الانشغال بمكافحة السموم".

مالت جيردا ناحية وقالت: "ماذا؟".

هر رأسه.

إذا أخبرها بأنه يحاول "إيجاد علاج للسرطان"، فسوف تجيبه، بإمكانها أن تهم بحملة عاطفية صريحة. ولكنها لن تفهم أبداً إعجابه الغريب بتعقيدات مرض ريدجواي، بل إنه تسلك إن كان سيجعلها تفهم حقيقة مرض ريدجواي. أما "فكر في نفسه بعدما ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة: خاصة ونحن لسنا الواقفين منه تماماً! إننا لا نعرف حقاً لماذا تضمحل قشرة الدماغ؟".

ولكن خطر بباله فجأة أن تيرينس - رغم أنه طفل - قد يظهر اهتماماً بمرض ريدجواي. لقد أعجبته نظرة الإعجاب التي رمقه بها قبل أن يقول: "أظن أن أبي يعني ذلك".

أصبح تيرينس مؤخراً غير مفضل لديهم طوال الأيام القليلة الماضية بعدما هرب ماكينة إعداد القهوة بعدما تصور أن بإمكانه أن يعد الأمونيا من خلالها.

دار على الفداء، قالت وهي تحرك مقود السيارة بشكل مفاجئ، الأمر الذي جعل السيارة تقفز بسرعة من الرصيف:

"أندري يا جون، ليس عليك حقاً أن تتحدث عن كرهك للمرضى. جميل منك أن تستخف بكل ما تفعله، وأنا أفهم ذلك. ولكن الطفلين لن يفهما؛ تيري على وجه الخصوص عقله يصدق كل ما يسمعه حرفياً".

قال جون كريستو: "هناك أوقات أشعر فيها بأن تيري إنسان حقيقي، ليس مثل زينة! إلى متى تظل الضئيلات كتلة من التظاهر والتصنع؟".

أطلقت جيردا ضحكة صغيرة هادئة. كان جون كما تعرف يشاكسها. ولكنها أصرت على موقفها. كانت جيردا تتمتع بعقل متماسك.

"أنا أؤمن حقاً يا جون بأنه من المفيد أن يدرك الطفلان الإيثار والتضاني التي تقتضيه حياة أي طبيب".

قال كريستو: "أوه، يا إلهي!"

الحرقت جيردا للحظة. كانت إشارة المرور التي كانت تقشرب منها خضراء منذ فترة طويلة. تصورت أنها سوف تتحول للون الأحمر قبل أن تصل إليها. فبدأت في إبطاء سرعتها، ولكن الإشارة ظلت خضراء. نسي جون كريستو قراره أن يلزم الصمت وألا يعلق على قيادة جيردا، فقال لها: "لماذا تتوقفين؟".

"ظننت أن الإشارة سوف تتحول إلى -".

وضعت قدمها على دواسرة الوقود، فتحركت السيارة للأمام قليلاً. قبل الإشارة مباشرة، فتوقفت السيارة بعدما عجزت عن الانتقال لهذه السرعة المفاجئة. تحولت الإشارة.

انطلقت السيارات القادمة من الطريق المعاكس بسرعة.

قال لها جون بلطف:

"أنت أسوأ ساقلة في العالم يا جيردا".

"دائماً ما أجد إشارات المرور مخيفة للغاية. فالمرء لا يعرف متى سوف تتغير بالضبط".

فأنا يقودان السيارة الآن على طريق شوفيل داون، فكانت غابات الخريف  
أمامه تحيط بهما من كل اتجاه.

صاح جون: "جميل أن أخرج من لندن وأدخل هذا المكان. فكيف في الأمر يا  
جورج؟ أغلب أوقات ما بعد الظهيرة ننحس في غرفة المعيشة المظلمة نتناول  
الخبز والأناوار مضاعة في بعض الأحيان".

استحضرت صورة غرفة المعيشة المظلمة بعض الشيء في مخيلتها كأنها  
الآن عذب جميل. أوه، فقط لو أجلس هناك الآن.  
قالت بطريقة بطولية: "الريف يبدو جميلاً".

ولما التل المنحدر، لم يكن لدهيما مضر الآن. لم يتحقق ذلك الأمل الغامض  
الذي جمعهما شيء ما من متابعة رحلتها فيقنهما من هذا الكابوس. وصلا إلى  
المنزل.

ارتاحت قليلاً عندما دخلت المنزل فرائت هنريتا جالسة على السور مع ميدج  
ومهما راجل طويل نحيف. شعرت بأنها تعتمد على هنريتا كثيراً، التي كانت تأتي  
بها نحو غير متوقع لتتقنها. إذا ما ازداد الوضع سوءاً.

سعد جون برؤية هنريتا هو الآخر. بدت رؤيته لها النهاية المناسبة لمشاهد  
المرحبة البديعة تلك: أن يهبط من أعلى التل ليجد هنريتا في انتظاره.

كانت ترتدي معطفاً أخضر مصنوعاً من التويد الخشن والتنورة التي كان  
يحب أن يراها ترتديها، والتي كان يجدها تناسبها أكثر من ملابس لندن. كانت  
تبدو سافياً الطويلتين أمامها. فراها ترتدي جداءً بنياً ملمعاً بعناية.

ببدا لا ابتسامات مريضة، وأدرك كل منهما حقيقة سعادته بحضور الآخر. ثم  
درو جون أن يتحدث مع هنريتا الآن. فقط استمتع بشعوره بتواجدها هناك، لأنه  
كان يعرف أن هذه العطلة الأسبوعية ستكون عديمة الجدوى وخاوية بدونها.

خرجت الليدي أنجيكا من المنزل واستقبلتهما. كانت تتعامل مع جيردا  
بهدوء مبالغ فيه أكثر من تعاملها مع أي ضيف آخر.

"من اللطيف للغاية أن أراك يا جيردا! مضى وقت طويل، وجون!"

أمونيا؟ طفل ظريف، لماذا أود أن يحضر الأمونيا؟ أمر مثير بعض الشيء.

ارتاحت جيردا من صمت جون. سوف تعتاد القيادة بصورة أفضل إذا لم  
يقاطعها بكلامه معها. كما أنه لو استغرق في التفكير فلن ينتبه إلى الصوت  
المزعج الذي تحدثه عند تغيير السرعات (لن يبطئ سرعتها أبداً إذا كان ذلك  
في إمكانها).

كانت جيردا تعرف أنها تغير السرعات في بعض الأوقات على نحو جيد (رغم  
أنها لم تكن تفعل ذلك بدقة أبداً)، ولكن هذا لم يحدث أبداً في أثناء تواجد جون  
معه. ولكن إصرارها القلق على أن تفعل ذلك على نحو جيد هذه المرة كانت له  
نتيجة سلبية للغاية، فكانت يدها المرتعشة تغير السرعات بصورة أكثر من اللازم  
أو بقدر غير كاف، وبعد ذلك كانت تحرك ذراع التروس بسرعة على نحو آخرق  
فكان يصرخ اعتراضاً.

توسلت إليها هنريتا منذ سنوات مضت: "ادفعيه للأمام يا جيردا. ادفعه  
للأمام". ثم أردفت تقول: "ألا تستشعرين بالطريقة التي يريدك أن تحركيه بها  
إنه يريدك أن تحركيه بهدوء، افتحي يدك حتى تشعري به: لا تحركيه فحسب،  
اشعري به".

ولكن جيردا لم تتمكن أبداً من استشعار أي شيء من ذراع التروس. فإذا كانت  
تحركه أكثر أو أقل من اللازم في الاتجاه الصحيح فيجب أن يرضخ لها! ينبغي  
أن تصمم السيارات كذلك حتى لا تحدث ذلك الضجيج المروع.

وجدت جيردا وهي تصعد مضطربة ميرشام أن قيادتها بوجه عام ليست سيئة  
للفاية. كان جون لا يزال مستغرقاً في أفكاره، فلم ينتبه إلى سوء تغييرها للسرعات  
في كرويدون. وعندما ازدادت سرعة السيارة، تحولت إلى السرعة الثالثة وهي  
متفائلة، فتراجعت السيارة على الفور. فاستيقظ جون بطبيعة الحال من أحلام  
اليقظة التي كان غارقاً فيها.

"بحق الله، ما الهدف من تغيير سرعتك وأنت تسييرين في منحنى؟"

لزمّت جيردا الصمت. لم تسر بسرعة كبيرة، فهي لم ترغب في أن تصل  
إلى هناك بشدة. وهذا صحيح فعلاً، فهي تفضل أن تستمر في القيادة لساعات  
وساعات، حتى لو فقد جون صبره عليها!

كان من الواضح أنها تحاول أن تظهر أن جيردا هي الضيفة التي تنتظرها على نار، وأن جون مجرد مصاحب لها. ولكنها فضلت في أن يؤتي بتمارد، بل جعلت جيردا تشعر بالجمود وعدم الارتياح.

قالت لوسي: "تمرهان إدوارد؟ إدوارد أنجيكاكل؟"

أوما جون برأسه لـ إدوارد وقال له: "لا، لا أظن ذلك".

سقطت أشعة شمس بعد الظهيرة على شعر جون الذهبي وزرقة عينيه، كان يبدو كأنه إسكندنافي وصل لثوه إلى الشاطئ في مهمة احتلال. كان صوته الداهي والرنان يسحر الأذان، فاستحوذ بشخصيته الجذابة على المشهد برمته لم يؤثر هذا الدفاء وهذه الموضوعية على لوسي؛ ولكنه أشعل في الحقيقة سحرها الغريب الخلاب. أما إدوارد، فإنه بدا فجأة على العكس من الرجل الآخر، شاحباً، قصير القامة بعض الشيء، وكأنه خيال ظل.

اقترحت هنريتا على جيردا أن تدخلوا وتلقيا نظرة على حديقة المطبخ.

قالت لها وهي ترشدها إلى الطريق: "قطعاً لوسي تنصر على أن تربنا الحديقة الصخرية وأوراق الخريف المتناثرة في كل مكان؛ ولكنني دائماً ما أجد حدائق المطابخ لطيفة وجميلة. بإمكان المرأة أن تجلس في رقعة الخیار، أو يدخل إلى الصوبة إذا كان الجو بارداً، فلا يجد من يزججه، كما يكون لديه ما يأكله".

وجدتا بالفعل بعض البازلاء، التي أكلتها هنريتا نيئة، ولكن جيردا لم تهتم بها كثيراً. فقد سعدت لكونها هربت من لوسي أنجيكاكل، التي وجدتتها منتهدة لها أكثر من المعتاد.

بدأت في الحديث مع هنريتا بطريقة حيوية. بدت كل الأسئلة التي تطرحها هنريتا أسئلة تعرف جيردا إجاباتها، وبعد عشر دقائق شعرت جيردا بتحسن شديد وبدأت تشعر بأن العطلة الأسبوعية لن تكون سيئة للغاية.

كانت زينة ستذهب إلى درس الرقص الآن، مرتدية ثوباً جديداً، أسهت جيردا في وصفه. كما أنها وجدت متجراً جديداً لبيع منتجات جلد رابع. فسألته هنريتا عما إذا كان من الصعب أن تعد لنفسها حقيبة يد. وأن جيردا يجب أن تعلمها ذلك.

هي الحقيقة. وجدت أنه من السهل للغاية أن تسعد جيردا، وبما للاختلاف أهمل الذي يبدو عليها عندما تكون سعيدة؟

قالت هنريتا في نفسها: "إنها تريد من يحتضنها ويحن عليها".

جلستا معاً في الركن المخصص لزراعة الخیار حيث تعطيك الشمس - التي كانت قريبة منهما - إحساساً بأنه يوم صيفي.

ثم ساد صمت، فقدت جيردا التعبير الذي كان يعكس رباطة جأشها. انحنى ماها، جلست هناك، كأنها تجسّد للبؤس، ثم فزرت من مكانها عندما حدثتها ريمسا.

سألته هنريتا: "إذا كنت تكرهين الحضور لهذه الدرجة، فلماذا أتيت؟"

أسرعت جيردا تقول:

"أنا، هذا غير صحيح! أعني، ما الذي جعلك تظنني -"

صمتت قليلاً، ثم أردفت تقول:

"جميل حقاً أن أخرج من لندن، كما أن الليدي أنجيكاكل لطيفة للغاية".

"لوسي؟ إنها ليست لطيفة على الإطلاق".

بدت جيردا مصدومة بعض الشيء.

"أوه، ولكنها كذلك. دائماً ما تكون غاية في اللطف معي".

"لوسي تتمتع بأخلاقيات حميدة، وبإمكانها أن تكون لطيفة وكريمة. ولكنها لسانة قاسية. أظن أن السبب أنها ليست لسانة عادية، لا تعرف كيف يفكر ويشعر الأشخاص العاديون. وأنت تكرهين التواجد هنا يا جيردا، تعرفين أنك تكرهين ذلك، فلماذا تأتين إلى هنا إذا كنت تشعرين بذلك؟"

"حسناً، جون يحب ذلك -"

"لا بأس أن يحب جون ذلك، ولكن بإمكانك أن تدعيه يأتي بمفرده؟"

"إنه لن يرغب في ذلك، لن يستمتع بالقدوم من دوني. جون يؤثر الآخرين على نفسه، وهو يرى أنه من المفيد لي أن أذهب إلى الريف".

قالت لها هنريتا: "الريف جميل. ولكن ليست بك حاجة لأن تقضيه لدى آل أنجيكاثل".

"أنا، أنا لا أريد أن أشعر بأنني جاحدة".

"عزيزتي جيردا، علام ستحبيننا؟ دائماً ما أجد آل أنجيكاثل عائلة بغيضة جميعنا تحب التواجد معاً ونحدث ثقة خاصة بنا. لا أستغرب أبداً أن يرفض الغرباء في قتلنا".

ثم أردفت تقول:

"أظن أنه وقت العشاء. لنعد إلى المنزل".

كانت تراقب وجه جيردا وهي تنهض وتحدق في المنزل وهي تسير نحوه.

قالت هنريتا بجزء من عقلها الذي كان يفكر دوماً: "مثير أن أرى بالضبط كيف يبدو وجه امرأة متدينة في سبيلها لأن تضحي بنفسها دائماً عن عقيدتها". بمجرد أن غادرتا حديقة المطبخ. سمعنا إطلاق نار، فقالت هنريتا: "يبدو أن مذبحه آل أنجيكاثل بدأت".

اتضح أن السير هنري وإدوارد كانا يتحدثان حول الأسلحة النارية ويبرهنان على حديثهما باستخدام مسدسين. كانت هوية هنري أنجيكاثل هي استخدام الأسلحة النارية، وكانت لديه مجموعة كبيرة منها.

أحضر معه العديد من المسدسات وبعض بطاقات التصويب على الأهداف وكان هو وإدوارد يطلقان النار عليها.

"مرحباً يا هنريتا، أتريدان أن تجربي إطلاق النار إذا ما هاجمك لص؟".

أخذت هنريتا المسدس وقالت:

"هذا صحيح، نعم، أصوب على هذا النحو".

طالاً

قال السير هنري: "لقد أخطأت الهدف".

"أتجربين يا جيردا".

"أوه، لا أظن أنني -".

"هيا يا سيدة كريستو. الأمر غاية في السهولة".

أطلقت جيردا المسدس وهي مرعوبة مخمضة عينيها. فأتجهت الطلقة لمكان ما. مما حدث مع هنريتا.

قالت ميدج وهي تقترب نحوه: "أوه، أريد أن أجرب ذلك".

قالت بعدما جربت إطلاق النار بضع مرات: "الأمر أصعب مما تتصور، ولكنه مع للغاية".

مرجت لوسي من المنزل. ومن خلفها شاب طويل عابس لديه فتاحة آدم.

قالت لهم: "ها هو ديفيد".

أخذت المسدس من ميدج. عندما حيا زوجها ديفيد أنجيكاثل، وأعادت تعبئته، دون أن تنيس بكلمة أطلقت ثلاث رصاصات بالقرب من مركز الهدف.

قالت لها ميدج: "أحسنت يا لوسي. لم أكن أعرف أنك تجيدين التصويب".

قال السير هنري يشجاعة: "لوسي دائماً ما تقتل رجلها".

ثم أضاف بعدما استرجع حادثة معينة: "لقد أفادنا ذلك ذات مرة. أتذكرين".

عزيزتي العصابة التي هاجمتنا ذات مرة ونحن في الجانب الآسيوي لعصيق لومسورة هجم عليّ اثنان منهما وأمسك بركبتي".

سألت ميدج: "وماذا فعلت لوسي؟".

"أطلقت رصاصتين في أثناء شجارنا. لم أكن أعرف أنها تحمل مسدساً من لاساس. فأصابتهما إصابة بالغة في ساقه، وأصابته الآخر في كتفه. لقد هوى بحياتي بأعجوبة. لم أعرف كيف لم تصبني".

ابتسمت له الليدي أنجيكاثل وقالت له بلطف:

"أظن أن المرء يجب أن يخاطر دوماً. والمرء يفعل ذلك بسرعة كبيرة دون أن يفكر كثيراً في ذلك".

قال السير هنري: "عاطفة تستحق الإعجاب يا عزيزتي. ولكنني أشعر دوماً بالحزن أنني كنت المخاطرة التي خضتها".

تسمر في مكانه وقال لها: "لماذا تقولين ذلك؟"

نظرت إليه هنريتا بتساؤل.

"لم أقصد شيئاً معيَّناً من كلامي."

تابع جون سيره من جديد، ولكن بخطوات أبداً بكثير.

قال لها: "في الحقيقة، أنا متعب، أنا متعب للغاية."

استشمرت التعب الواضح في صوته.

"كيف حال السيدة كرايتري؟"

"ما زلنا في الأيام الأولى، ولكنني أعتقد يا هنريتا أنني تعلمت السيطرة على الأمور. إذا كنت محقاً - بدأ في السير بخطى أسرع - "ستحدث ثورة في كثير من أفكارنا؛ علينا أن نعيد التفكير في مسألة إقراض الهرمونات برمتها - "أتعني أنه سوف يكون هناك علاج لمرض ريدجواي، وأن الناس لن تموت بسببه؟"

"هذا من قبيل المصادفة."

قالت هنريتا في نفسها: "يا لغرابية الأطباء" من قبيل المصادفة!

"علمياً، هذا يفتح كل الاحتمالات الممكنة!"

أخذ نفساً عميقاً ثم قال: "ولكن من المفيد أن نتوقف عند هذا الحد؛ من المفيد أن نحصل على بعض الهواء المنعش، جميل أن ألقاك" منحها ابتسامة سرية مفاجئة. "كما أنه مفيد لـ جيردا أيضاً."

"جيردا بالطبع. إنها ببساطة تحب القدوم إلى منزل هولو."

"بالطبع هي كذلك، بالمناسبة، هل قابلت إدوارد أنجيكاثل من قبل؟"

قالت له هنريتا على نحو جاف، "لقد قابلته مرتين."

"لا أذكر. إنه واحد من أولئك الأشخاص الغامضين، المبهمين."

"إدوارد عزيز علي. لطالما أغرمت به."

"حسناً، لا تدعينا نضيع الوقت في الحديث عن إدوارد؛ لا أحد من أولئك الأشخاص يستحق ذلك."

## الثامن

بعد تناول الشاي، قال جون لـ هنريتا: "أخرجين معي للتنزه قليلاً"، فقالت الليدي أنجيكاثل إنها يجب أن تربي جيردا الحديقة الصخرية رغم أن هذا الوقت من العام غير مناسب لذلك بالطبع.

وجدت هنريتا أن التنزه مع جون مختلف كل الاختلاف عن التنزه مع إدوارد وكل شيء قد تفعله معه.

فهي نادراً ما تفعل أي شيء مع إدوارد سوى التنزه، كانت تجد أن الخروج مع إدوارد ممل. أما مع جون، فكان يجعلها تبذل كل ما في وسعها لتتابع رحلتها. وبمجرد أن وصلوا إلى شوفيل داو، قالت وهي منقطعة الأنفاس: "إنه ليس سباقاً يا جون!"

تمهل قليلاً وضحك من قولها.

"هل أسير بخطى أكبر من خطواتك؟"

"بإمكانني أن أفعل أيضاً، ولكن هل هناك حاجة لذلك؟ ليس هناك قطار يجب أن نلحق به. لماذا تتمتع بهذه الطاقة الوحشية؟ هل تهرب من نفسك؟"

قالت هنريتا بصوت منخفض:

"أحياناً يا جون، أخاف عليك".

"تخافين عليّ، ماذا تمنين؟"

نظرت إليه بوجه تملّكه الدهشة.

"أنت كثير النسيان، ومن ثم، نعم، أعمى".

"أعمى؟"

"أنت لا تعرف - لا ترى - لا تشعر إلى حد غريب! لا تعرف ما يشعر ويفكر فيه بقية الناس".

"أظن أن العكس هو الصحيح".

"أنت ترى ما تتفكر إليه فحسب. أنت أشبه؛ أشبه بكشاف النور. توجه شعاعاً قوياً على المكان الذي يهمك، ولكنك لا ترى أي شيء وراءه أو من حوله، سوى الظلام الدامس".

"عزيزتي هنريتا، ما كل ذلك؟"

"هذا خطير يا جون. أنت تفترض أن الجميع يحبك، وأنهم سيحسنون التعامل معك. أشخاص مثل لوسي على سبيل المثال".

قال لها، متعجباً: "ألا تحبيني لوسي؟ لطالما كنت مقرماً بها".

"ولهذا تفترض أنها تحبك، ولكنني لست واثقة من ذلك. وجيردا وإدوارد، أوه، وميدج وهنري. كيف تعرف مشاعرهم نحوك؟"

أمسك يدها للحظة وقال لها: "وهنريتا؟ هل أعرف ما الذي تشعر به؟ على الأقل - أنا واثق منك".

انزعجت يدها بسرعة من يده.

"ليس بإمكانك أن تثق في أي شخص في هذا العالم لهذه الدرجة يا جون".

ارتسمت على وجهه جدية شديدة.

"لا، لن أصدق ذلك. أنا واثق منك، وواثق من نفسي. على الأقل -". تغيرت ملامح وجهه.

"ما الخطب يا جون؟"

"أعرفين ماذا قلت اليوم؟ إنه شيء سخيف للغاية". "أريد أن أذهب للديار".

مدها ما قلت، وليست لدي أدنى فكرة عما أعنيه بذلك".

قالت هنريتا بترؤ: "طبعاً كانت تراودك صورة هي هناك".

قال بحدة: "لا شيء، لا شيء على الإطلاق".

## ٢

على العشاء في تلك الليلة، جلست هنريتا بجوار ديفيد، ومن آخر الطاولة أرسلت لها لوسي بحاجيتها الرقيقين التماساً، وليس أمراً، ف لوسي لا تصدر أوامر أبداً. كان السير هنري يبتذل قصارى جهده مع جيردا ونجح إلى حد كبير. أما هو: بوجهه الحاضر، فكان يتتبع قصصات ووثبات عقل لوسي الذي يتنقل من موضوع لآخر. أما ميدج، فكانت تتحدث بطريقة رسمية تماماً مع إدوارد، الذي كان شارد الذهن أكثر من المعتاد.

كان ديفيد يحدق بسخف ويفتت الخبر الخاص به على نحو يعكس التوتر.

لقد جاء ديفيد إلى منزل هو لو وفي داخله قدر كبير من عدم الرغبة. حتى الآن، لم يقابل السير هنري أو الليدي أنجيكا كل، ولم يكن راضياً عن الإمبراطورية منحتها. بل إنه كان مستعداً ليعترض على أقاربه، كان يحتقر إدوارد - الذي لم يكن يعرفه - لأنه هاو. أما بقية الضيوف الأربعة فتفحصهم بعين ناقدة، وجد في نفسه أن أقاربه مروعون للغاية، يتوقعون منه أن يتحدث مع الناس، وهو الأمر الذي يكرهه.

كان يجد ميدج وهنريتا سخيقتين. وكان يجد الدكتور المدعو كريستو أحد المسمومين في شارع هارلي. بكل تصرفاته ونجاح علاقاته الاجتماعية. أما زوجته، فكان من الواضح أنه لا يضعها في اعتباره أساساً.

حرك ديفيد رقبته داخل ياقة قميصه وتمنى بشدة أن يعرف جميع الحاضرين. لم يستصغّرهم كثيراً، جميعهم بحق عديمو الأهمية، جديرون بالإهمال.

عندما كرر هذا الكلام لنفسه ثلاث مرات، شعر بتحسين. ظل يحملق فيهم بسخط، ولكنه استطاع أن يترك خبزه وحاله.

وجدت هنريتا - رغم أنها أخلصت في استجابتها لحاجب لوسي - صموية في البدء. فقد كانت ردود ديفيد المقتضية اللفظة في نزوة غطرستها. حتى لجأت في النهاية لطريقة استخدامها من قبل مع الشاب معقود اللسان.

بدأت هنريتا - عن عمد - في التحدث بشكل مفاجئ عن ملحن معاصر، لمعرفة أن ديفيد لديه معرفة فنية وموسيقية واسعة.

نجحت خطتها، الأمر الذي أسعدها كثيرًا. فقد رفع ديفيد نفسه لأعلى من وضع الاسترخاء الذي كان عليه؛ حيث كان مستلقيًا على عموه الفقري. ثم يعد يتحدث بصوت منخفض وتمتعة غير مفهوم، كما أنه توقف عن تفتيت خبزه.

قال بصوت مرتفع، وبسرة واضحة، مثبتًا عينه على هنريتا: "هذا يوضح أنك لا تعرفين أول شيء عن الموضوع".

منذ ذلك الوقت وحتى انتهاء العشاء، ظل ديفيد يحاضرهما بكلمات واضحة وساخرة، بينما تبنت هنريتا موقف الطالب المجتهد الحريص على تلقي العلم.

أرسلت لوسي أنجيكا تال نظرة شكر، فابتسمت ميدج لنفسها.

تمتعت الليدي أنجيكا تال تقول: "ذكاء شديد منك يا عزيزتي"، وهي تقود هنريتا إلى غرفة المعيشة. "فكرة مروعة أن تري أنه إذا كانت المعلومات قليلة هي رعوس الناس، فإنهم يستخدم أيديهم! هل تفضلين لعبة هارتس أو بريدج أورو؟ أو لعبة غاية في البساطة مثل أنيغال جراب؟".

"أظن أن ديفيد سيشرح بالإهانة من لعب أنيغال جراب".

"لعلك محقة، إذن للعب بريدج. أنا واثق أنه سيشرح أن بريدج لعبة لا قيمة لها، بعد ذلك يمكنه أن يرمقنا بنظرة احتقار".

أعدوا طاولتين. لعبت هنريتا مع جيردا ضد جون وإدوارد. لم يعكس تشكيل مجموعتي اللعب أفضل تصور لها؛ ولكنها أرادت أن تفصل جيردا عن لوسي، وعن جون أيضًا إن أمكن، ولكن جون أصر على هذا التشكيل. وشكل إدوارد بعد ذلك مع ميدج فريقًا.

لم تجد هنريتا المناخ مريحًا، ولكنها لم تعرف بالضبط سبب عدم شعورها بعدم الارتياح. على أية حال، إذا منحتهم البطاقات استراحة، كانت تريد لجيردا أن تفوز. لم تكن جيردا لاعبة سيئة في لعبة البريدج - فقط كانت تظهر مستوى متوسطًا عندما تبعد عن جون، ولكنها كانت لاعبة متوترة تسيء الحكم على الأمور، وليست لديها معرفة حقيقية بقيمة الورق المتاح لديها. أما جون فكان بحسن اللعب - على العكس منها - ولكنه كان واثقًا من نفسه أكثر من اللازم، وبالنسبة لإدوارد، كان لاعبًا جيدًا للغاية حقًا.

انقضى المساء، وفريق هنريتا يلعب في الصورة نفسها. ارتفعت النقاط أكثر مما هو متوقع بالنسبة للفريقين، وساد توتر غريب في اللعبة لم يستشعره سوى شخص واحد.

كانت اللعبة بالنسبة لجيردا مجرد لعبة بريدج استمتعت بها كثيرًا للمرة الأولى. شعرت بتمتعة كبيرة حقًا، بعدما ارتاحت من اتخاذ قرارات صعبة نظرًا لأن هنريتا كانت تزايد بأوراق أعلى وتلعب الورقة التي في يدها.

في اللحظات التي كان جون يعجز فيها عن إبداء التوجه التقدي الذي كان يقلل من ثقة جيردا بنفسها أكثر مما يتصور، عندما كان يصيح: "لماذا لعبت هذه الأسباب بحق الله يا جيردا؟"، كانت هنريتا تصلح الوضع بقولها: "هراء يا جون، بالطبع كان عليها أن تلقي الورقة الآسياتي! كان التصرف الوحيد الممكن".

أخيرًا وبشق الأنفس، نجحت هنريتا في رفع مجموع نقاط فريقها.

"لقد فزنا، ولكنني لا أظن أننا سنجني المزيد من هذا الفوز يا جيردا".

قال جون بصوت مبتهج: "مجرد حظ".

نظرت هنريتا لأعلى بحدة. كانت تعرف نبرته، تلاقت عيناها فتنظرت لأسفل.

نهضت من مكانها واتجهت إلى المدفأة، وتبعها جون. قال لها من باب الحديث: "أنت لا تنظرين يومًا - عن عمد - في أوراق اللاعبين، أليس كذلك؟".

قالت هنريتا بهدوء: "لعلي كنت واضحة قليلًا. كم هو مهين أن ترغب في الفوز بلعبة؟".



"تعنين أنك أردت أن تفوز جبرداً في الجولة، رغبة منك في إبعاد الآخرين. وأنت لم تفعلي ذلك لمجرد الغش".

"كم تسيء اختيار كلماتك! وأنت محق تماماً كالعادة".

"يبدو أن زوجتي تشاركك رغباتك".

أدركت هنريتا أنه لا حظ حقيقية الوضع. تساءلت في نفسها عما إذا كانت مخطئة. كان إدوارد بارعاً للغاية، ليس من الممكن إمساك شيء عليه، ومن الصعب التغلب عليه. فعندما كان يبدو أنه سيخسر، كانت تعلم أنه سيفوز. وعندما كان يبدو أنه سيفوز، كانت تثق أن فوزه مضمون.

ألقى ذلك هنريتا، كانت تعرف أن إدوارد لن يلعب أوراقه لمجرد أنها هنريتا. قد تربح، فقد كان يتمتع بالروح الرياضية الإنجليزية لأبعد مدى. قالت في نفسها، إنه مجرد نجاح آخر لـ جون كريستو غير قادر على تحمله.

شعرت بحماسة مفاجئة، شعرت بأنها استيقظت. لم يعجبها الحفل الذي أقامته لوسي.

بعد ذلك، وعلى نحو درامي غير متوقع، دخلت فيرونیکا كراي من النافذة المصممة على الطراز الفرنسي، وكأنه دخول مسرحي غير واقعي.

كان مصراع النافذة موارباً، غير محكم الإغلاق، فقد كانت أسمية دافئة. ففتحتهما فيرونیکا على وسعهما، ودخلت منهما ووقفت هناك واللبل يحيط بها، مبتسمة. حزينية بعض الشيء، ساحرة تماماً، منتظرة تلك اللحظة المحددة لكي تبدأ في الكلام. حتى تتأكد أن الجمهور يتابعها.

"يجب أن تعذروني لقدومي على هذا النحو. أنا جارتك يا سيادة أنجيكا، ألكس في ذلك الكوخ السخيف المسمى دوفيكوتس، وحدثت كارثة مروعة للغاية! انتسعت ابتسامتها، وأصبحت مضحكة أكثر.

"ليس لدي كبريت! ليس لدي أي عود كبريت في المنزل! ومساء السبت غباء شديد مني. ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ لقد جئت إلى هنا مباشرة لكي أطلب مساعدة الجار الوحيد على بعد أميال".

التزم الجميع الصمت للحظة، فقد كان تأثير فيرونیکا كذلك دوماً. كانت جميلة، ليست جميلة تماماً، ليست رائعة الجمال، ولكنها جميلة يا تقرر الذي

يجعل رؤيتها تأخذك خصلات شعرها المتلألئ، فمها المنحني، فرو الشملب الرمادي الذي يحيط بكتفها، والثوب المخملي الطويل الأبيض الظاهر من تحتها.

أخذت تنتقل بناظريها من واحد لآخر، على نحو ساحر ومسل!

قالت: "وأنا أدخل السجائر مثل المدخنة! ولا عني لا تعمل! كما أنني أريد أن أشعل الفرن لأعد الطعام". ثم أصاحت بيدها وهي تقول: "أشعر بأنني ممفاه للغاية".

تقدمت لوسي نحوها وعلى شفيتها ابتسامة خفيفة.

قالت لها: "لماذا، بالطبع -"، ولكن فيرونیکا كراي قاطعتها.

كانت تنظر إلى جون كريستو. ارتسم على وجهها تعبير ينم عن الذهول الشديد، والسعادة البالغة. تقدمت نحوه خطوة، مادة يديها.

"جون! جون كريستو! أليس هذا أغرب شيء؟ لم أرك منذ سنوات وسنوات وسنوات! ثم أجدها هنا، على نحو مفاجئ".

وضعت يده بين يديها الآن. كانت دافئة ومتلهفة له. التفتت برأسها قليلاً نحو الليدي أنجيكا.

"إنها أجمل مفاجأة على الإطلاق، جون صديق قديم، قديم جداً. جون هو أول رجل أحببته على الإطلاق! كنت مغرمة بك يا جون".

كانت تضحك الآن، وكأنها امرأة حركها تذكراها السخيف لحبها الأول.

"دائماً ما كنت أرى جون رائعاً".

تقدم السير هنري بلباقة وأدب - نحوها.

يجب أن تتناول شرباً. أحضر لها كأساً بمهارة. قالت الليدي أنجيكا:

"عزيزتي ميدج، اقرعي الجرس".

عندما حضر جادجون، قالت له لوسي:

"علبة كبريت يا جادجون، هل لدى الطاهي القدر الكافي منها؟".

"لقد أحضرنا علبة جديدة منه اليوم يا سيدتي".

"إذن أحضر نصفها يا جادجون".

"أوه، لا يا سيدة أنجيكا، تكفي عبوة واحدة".

اعترضت فيرونیکا على كلامها وهي تضحك. تناولت شرابها الآن وكانت تبسم للجميع. قال لها جون كريستو:  
"هذه زوجتي يا فيرونیکا".

ابتسمت لجيرا التي كانت مندهشة للغاية وقالت لها: "جميل أن ألتق".

أحضر جادجون الكبريت، بعدما وضعه في طبق فضي.

أشارت الليدي أنجيكا لفيرونیکا كراي بإيماءة فأحضر الطبق إليها.

"أوه، سيدة أنجيكا، العزيزة، لن أأخذ كل ذلك".

كانت إيماءة لوسي ملكية ولكنها فشلت في استجداء القدر الكافي من الانتباه.  
"من المزعج ألا يكون لديك سوى شيء واحد من شيء ما. بإمكاننا أن نوفر الاحتياطي منه بكل سهولة".

قال السير هنري بابتهاج:

"أيعجبك السكن في دوفيكوتس؟".

"أعشقه. إنه منزل جميل، بالقرب من لندن، إلا أنني أشعر بعزلة جميلة".

وضعت فيرونیکا كأسها. ورفعت فرو الثعلب الذي كان يحيط بكتفها لأعلى.

ثم ابتسمت للجميع.

"شكراً جزيلاً لكم! أنتم غاية في اللطف". قالت هذه العبارة وهي تتنقل بناظريها بين السير هنري والليدي أنجيكا، وتسبب ما إدوارد، ساعود الآن إلى المنزل بالغنيمية يا جون". ألقت له ابتسامة بريئة ودودة "أتمنى لو ترافقني في طريق العودة، أريد أن أسمع كل ما فعلته طوال هذه السنوات منذ آخر مرة رأيته. رغم أن ذلك يجعلني أشعر بأنني عجوز للغاية بالطبع".

تحركت ناحية النافذة، وجون كريستو يتبعها. رمت الجميع بابتسامة أخيرة ساحرة.

"أنا غاية في الأسف أنني أزعجتكم بهذه الطريقة الغبية. شكراً جزيلاً لك سيدة أنجيكا".

خرجت مع جون. والسير هنري واقف بجوار النافذة الفرنسية ينظر إليهما.  
قال: "ليلة لطيفة دافئة".

تأملت الليدي أنجيكا.

تمتمت تقول: "أوه عزيزي، يجب أن تذهب للسيرير. هنري يجب أن تذهب ويرى أحد أفلامها السينمائية، أنا واثقة أن أداءها سيكون رائعاً هذه الليلة".

صعدا الطابق العلوي. قالت لـ ميج وهي تتمنى لها ليلة سعيدة:

"أداء رائع؟".

"ألا تظنين ذلك يا عزيزتي؟".

"أرى يا لوسي أنك تصورت أنه من الممكن أن يكون لديها بعض الكبريت في صرلها طوال الوقت".

"عشرات الميوات على ما أتصور؛ ولكن ليس علينا ألا نحسن التعامل مع البحيران، كما أن أداءها كان رائعاً".

أغلقت الأبواب الموجودة في الردهة، وانخفضت الأصوات بعد تمنى ليلة سعيدة. قال السير هنري: "سأترك النافذة الفرنسية من أجل كريستو". ثم أغلق باب غرفته.

قالت هنريتا لجيرا: "كم هي ممثلة ظريفة، دخلت على نحو درامي رائع!".  
وبعدما تقاءبت، أرذفت تقول: "أشعر برغبة شديدة في النوم".

تحركت فيرونیکا كراي بسرعة في الممر الضيق في الغابات الكستنائية.

خرجت من الغابات إلى مكان مفتوح بالقرب من حمام السباحة. كان هناك مناج صغير حيث كان آل أنجيكا يتجلسون في الأيام المشمسة عندما تهب رياح باردة.

وقفت فيرونیکا كراي في مكانها. التفتت نحو جون كريستو.

ثم ضحكت، وأشارت بيدها إلى سطح حمام السباحة الذي تغطيه أوراق الأشجار.

سألته: "لا يشبه البحر المتوسط كثيراً، أليس كذلك يا جون؟".

عندئذ علم ما الذي كان ينتظره، علم أنه طوال تلك الخمسة عشر عاماً التي

ابتعد فيها عن فيرونیکا، كانت لا تزال معه. البحر الأزرق، رائحة نبات الميمورا الجميلة، والرمال الدافئة... ابتعدت عنه، ضاعت منه، ولكنه لم يتسها بحق. كان كل ذلك يعني شيئاً واحداً: فيرونیکا. كان شاباً في الرابعة والعشرين من عمره، غارقاً في الحب، ولكنه هذه المرة لن يهرب مجدداً.

## التاسع

خرج جون كريستو من الغابات الكستنائية متجهاً إلى المنحدر الأخضر المجاور المنزل. كان القمر ساطعاً، وكان المنزل غارقاً في ضوء القمر ببراعة غريبة. بواحه التي تغطيها الستائر. نظر إلى ساعة يده التي كان يرتديها.

كانت الساعة الثالثة صباحاً. أخذ نفساً عميقاً، بينما يبدو عليه القلق. لم يعد شاباً في الرابعة والعشرين من عمره غارقاً في الحب. بل إنه أصبح رجلاً مصحراً عملياً في الأربعين من العمر، يتمتع بعقل واضح وحصيف.

كان مفضلًا بالطبع، مفضلًا لعيناً تماماً، ولكنه لم يتدم على ذلك فقد أدرك لأن. أنه سيد نفسه. كان أشبه بمن يجبر حملاً ثقيلاً لسنوات، ولكنه تحرر الآن من هذا الثقل. أصبح حراً.

أصبح حراً، عماد لنفسه جون كريستو؛ وعلم أن فيرونیکا كراي لم تعد تعني جون كريستو. الطبيب المتخصص الناجح المقيم بشارع هارلي - أي شيء، كل ذلك كان في الماضي. ولأن هذا النزاع لم يسو أبداً، لأنه عانى دوماً بشكل مهيمن من خوفه أنه "مرب" بكل ما تعنيه الكلمة، لم تقارقه صورة فيرونیکا أبداً. وقد جاءته الليلة وكأنه خرج من حلم، وتقبل هو ذلك الحلم، والآن - حمداً لله - عاد منه سالمًا. عاد إلى الحاضر؛ والساعة الآن الثالثة صباحاً، ومن المحتمل أن يكون قد أقعد الأمور إلى حد بالغ.

طريقاً أقصر ويدخل المنزل من باب الحديقة الجانبي، وتسمع صوت إغلاق باب الحديقة البسيط محدداً الصوت الذي سمعه لتوه.

وعلى الفور، ألقي نظرة على النوافذ العليا. هل تحرك مصراع النافذة هذا، هل أزيحت الستائر قليلاً لكي ينظر شخص ما من النافذة، ثم أسدلت بعد ذلك حرفة هنريتا.

هنريتا! هنريتا! لا، صاح قلبه في دعر مفاجئ. لا يمكنني أن أخسر هنريتا! أراد فجأة أن يرمي نافذتها بمجموعة من الحصى، وينادي عليها.

"أخرجني يا حبيبتي. أخرجني الآن وتزهي معي عبر الغابات إلى شوفيل داون لتستمعي إلي: تستمعي لكل شيء أصبحت أعرفه الآن عن نفسي، ويجب أن تعرفيه أنت أيضاً، إذا لم تكوني تعرفينه بالفعل."

أراد أن يقول لـ هنريتا:

"أنا أبداً من جديد. حياة جديدة تبدأ اليوم. لقد تخلصت من كل ما أعاقني ومعني من الحياة وأزحته عن طريقي. كنت محقة في حديثك معي اليوم عندما سألتني عما إذا كنت أهرب من نفسي. هذا ما كنت أفعله طوال سنوات. لأنني لم أكون أبداً ما إذا كانت قوة أو ضعفاً هي التي أبعدتني عن فيرونیکا. كنت خائفاً من نفسي، خائفاً من الحياة، خائفاً منك."

فقط لو استطاع أن يوقظ هنريتا ويجعلها تخرج معه الآن، ليتنزها معاً في الغابات حيث يمكنهما مشاهدة شروق الشمس معاً وهي تشق ظلمة الليل.

قال لنفسه: "أنت مجنون". ارتعش جسمه، كان الجو بارداً الآن، وأواخر سبتمبر. سأل نفسه: "ما خطبك بحق الله؟ لقد تصرفت على نحو جنوني الليلة واحدة. إذا أفلتت بعملك هذه، فأنت محظوظ للغاية". ما الذي سأفعله لـ جيردا إذا ظلت في الخارج طوال الليل وعدت إلى المنزل في الصباح أحمل اللبن؟"

ما الذي سيقوله آل أنجيكاثل عن تصرفه هذا؟

ولكن هذا التساؤل لم يبقه للحظة. قال أنجيكاثل يتبعون توقيت جرينتش عندما تفعل لوسي أنجيكاثل. وبالتالي لـ لوسي أنجيكاثل، دائماً ما يبدو الشيء غير العادي عادياً ومنطقياً تماماً.

ظل مع فيرونیکا لمدة ثلاث ساعات. دخلت الميناء وكأنها بارجة، وانتزعه من وسط دائرته وأخذته معها بعيداً، كأنه غنيمتها. تساءل في نفسه عن تصور الحاضرين لما حدث.

على سبيل المثال، ما الذي ستظنه جيردا؟

وهنريتا؟ (ولكنه لم يهتم كثيراً بهنريتا. شعر بأن بإمكانه - إذا اقتضته الحاجة الملحة - أن يشرح لـ هنريتا، ولكن ليس بإمكانه أن يشرح لـ جيردا أبداً) ولكن لم يرد؛ قطعاً لم يرد أن يخسر أي شيء.

ظل طوال حياته رجلاً يتحمل عدداً معقولاً من المخاطر - مخاطر مع المرضى، مخاطر في العلاج، مخاطر في الاستثمارات. لم تكن مخاطر خيالية، وإنما مخاطر تجاوزت هامش الأمان قليلاً.

إذا خمنت جيردا! إذا انتاب جيردا أقل قدر من الشك...

ولكن هل ستفعل؟ إلى أي مدى يعرف جيردا؟ في الحالة الطبيعية، قد تصدق جيردا أن الأبيض أسود إذا قال لها ذلك. ولكن في مسألة كهذه...

كيف بدا عندما سار خلف فيرونیکا بقامتها الطويلة المنتصرة وخرجاً معاً من ذلك الباب؟ ما الذي ظهر على وجهه؟ هل رأوا في وجهه ملامح صبي متم، عاشق؟ أم أنهم رأوا رجلاً يتصرف بدافع الواجب واللباقة؟ لم يعرف. لم تكن لديه أدنى فكرة.

ولكنه كان خائفاً، خائفاً على الهدوء والنظام والأمان في حياته. لقد فقد عقله - رأى أنه فقد عقله تماماً الأمر الذي أغضبه كثيراً - ثم ارتاح لفكرة معينة لن يصدق أي شخص بالطبع، أنه من الممكن أن يكون فقد عقله لهذه الدرجة كان الجميع نياماً في أسرهم، هذا أمر واضح. وظلت النافذة الفرنسية لفرقة الاستقبال نصف مفتوحة، تركت ليدخل منها. نظر لأعلى مرة أخرى على المنزل النائم البريء. بدا - بشكل ما - بريئاً أكثر من اللازم.

وفجأة حدق بتمعن، سمع، أو تخيل أنه سمع، صوتاً بسيطاً لإغلاق باب.

التفت برأسه بسرعة. إذا كان شخص ما قد نزل إلى حمام السباحة، وتبعه إلى هناك، إذا كان شخص ما قد انتظره وتبعه، كان من الممكن أن يأخذ هذا الشخص

ولكن جيردا - لسوء الحظ - ليست أنجيكا تيلية.

يجب أن يتعامل مع جيردا، ومن الأفضل له أن يدخل ويتعامل مع جيردا بأسرع وقت ممكن.

على فرض أن جيردا هي التي كانت تتبعه هذه الليلة.

لا، فالأشخاص الطيبون لا يفعلون شيئاً كهذا، ولكونه طيباً، كان يعرف تماماً ما يفعله الأشخاص النبلاء، الحساسون، الذين يصعب إرضاؤهم، المحترمون على الدوام. يتصنون على الأبواب، ويفتحون الخطابات ويتجسسون ويتطفلون - ليس بدافع موافقتهم على تصرفات كهذه ولو للحظة - وإنما لعدم قدرتهم على مقاومة الفضول البشري الذي يحدث بداخلهم نوعاً من الألم.

قال في نفسه: "شياطين مساكين، شياطين مساكين من الإنس". كان جون كريستو يعرف جيداً كبراً عن المعاناة البشرية. لم يكن يشفق على الضعف كثيراً، ولكنه كان يشفق على المعاناة، لأنه كان يعرف جيداً أن الأقوياء هم من يعانون. لو عرفت جيردا -

قال لنفسه: "هراء، ولماذا تعرف؟ لقد صعدت إلى السرير ونامت بسرعة وهي ليست ذات خيال خصب، لم تكن كذلك يوماً".

دخل من النافذة الفرنسية وفتح المصباح، ثم أغلق النافذة. بعد ذلك أظلم النور، وغادر الغرفة، وعثر على مصباح آخر في الردهة، ثم صعد السلالم بسرعة وخفية. وجد مصباحاً آخر مطفئاً في الردهة. وقف بجوار باب غرفة نومه للحظة. واضعاً يده على المقبض، ثم أداره ودخل الغرفة.

كانت الغرفة مظلمة، ولكنه سمع صوت أنفاس جيردا المنتظمة. تحركت عندما دخل الغرفة وأغلق الباب. وصل صوته لأذانهما، فقالت بصوت مشوش وغير واضح وهي شبه نائمة.

"أهذا أنت يا جون؟"

"نعم."

"ألم تتأخر كثيراً؟ كم الساعة الآن؟"

قال بسلاسة:

"ليست لدي فكرة. آسف لأنني أبقتك. اضطررت للذهاب مع المرأة وتناول شراب معها".

تحدث بصوت مضجر نائم.

لمتتم جيردا قائلة: "أوه؟ تصبح على خير يا جون".

أحدثت ضجة وهي تتقلب على السرير.

كل شيء على ما يرام! كان محظوظاً كالعادة. كالعادة أخافته فكرة كم يسعفه الحظ في كثير من الحالات! مرة ثلث الأخرى تعثره لحظة يمسك فيها نفسه ويقول: "إذا سار هذا الأمر على نحو خاطئ". ولكنه لم يسر على نحو خاطئ! ولكن في يوم ما بالطبع، سوف يتغير حظه.

خلع ثيابه بسرعة واستلقى على سريره. كم كان الطالع الذي قرأته تلك الليلة ظريفاً. "واحدة فوق رأسك؛ تمثل من يسيطر عليك، وأخرى أسفل قدميك؛ تمثل من تسيطر أنت عليها..." فيرونيكا! وقد أحسنت السيطرة على العمل.

قال في نفسه بنوع من الرضا المتوحش: "ولكن ليس بعد الآن يا فتاة. لقد انتهى ذلك. لقد تخلصت منك الآن!".

قال في نفسه إنها أمرة كعادتها. رأى ألا يذهب. ثم فكر بعد ذلك أن بإمكانه الذهاب والانتهاه من هذا الأمر. سوف يذهب على الفور.

أخذ الطريق المقابل لنافاذة المكتبة، وهر من جانب حمام السباحة الذي كان في مركز المنزل تنفرع منه عدة طرق تؤدي لمختلف الاتجاهات، أحدها في اتجاه التل المؤدي للغابات، وطريق آخر مليء بالزهور أعلى المنزل، وواحد من المزرعة، وآخر يؤدي إلى ممر ضيق وهو الذي سار فيه الآن. وعلى مسافة أمتار قليلة من الممر كان الكوخ المسمى دوهيكوتس.

كانت فيرونیکا تنتظره. تحدثت إليه عبر نافذة المبنى شبه المغطى بالخشب. "ادخل يا جون. الجو بارد هذا الصباح".

كانت المدفأة مشتعلة في غرفة الجلوس، التي كانت مفروشة بأثاث أبيض فاتح مصنوع من نبات بخور مريم.

نظر إليها هذا الصباح بعين التقويم، فرأى الاختلافات التي يدت عليها عن الفتاة التي كان يعرفها، فهو لم يتمكن من رؤيتها جيداً الليلة الماضية.

بصراحة أصبحت أجمل من ذي قبل. فقد صارت تفهم جمالاتها أكثر، وتعتني به وترعاه بكل شكل ممكن. شعرها الذي كان ذهبياً غامقاً، أصبح رمادياً، وتغير شكل حاجبيها، الأمر الذي كسا تعبيرات وجهها قدراً أكبر من العاطفة.

جمال فيرونیکا لم يكن جمالاً غريباً أبداً. تذكر أنها تأملت من قبل باعتبارها واحدة من "ممثلاتنا المفكرات". حصلت على شهادة جامعية ولديها عروض مسرحية لـ سترينديبيرج وشكسبير.

فكر الآن فيما لم يكن واضحاً له تماماً فيما مضى: إنها امرأة أنانية تحب "أنها بشكل غير طبيعي أبداً. كانت متعade فرض رأيها، ثم استغمر إصراراً هو لا ذلياً قبيحاً يتوارى خلف جسمها الجميل الرشيق.

قالت فيرونیکا له وهي تمطيه عليه سجانر: "أرسلت في طلبك لأننا يجب أن نتحدث. يجب أن نتخذ استعداداتنا. أعني لمستقبلنا".

أخذ سيجارة منها وأشعلها. ثم قال بلطف بالغ: "وكن هن لنا مستقبل؟".

## العاشر

نزل جون في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي. كان الإفطار على منضدة الطعام. طلبت جيردا إرسال إفطارها إلى غرفتها وكانت قلقة بعض الشيء خشية أن يحدث ذلك "مشكلة لأي شخص".

ولكن جون أكد استحالة أمر كهذا. فأمنال آل أنجيكانتل ممن لديهم كبير خدم وخدم لا يمانعون في أمر كهذا على الإطلاق.

شعر بعطبية ورقة شديدة نحو جيردا هذا الصباح. بدا أن كل التوتر والضيق الذي كان ينتابه مؤخراً تلاشى واختفى.

كان السير هنري وادوارد قد خرجا في رحلة صيد، كما علم من الليدي أنجيكانتل وكانت هي تحمل سلة الحديقة وترتدي القفازات الخاصة بها. ظل يتحدث إليها لبعض الوقت حتى اقترب منه جادجون ومعه خطاب موضوع على صينية.

"لقد وصل هذا الخطاب حالاً وتسلمته باليد يا سيدي".

أخذه بعدما رفع حاجبيه قليلاً.

فيرونیکا

دخل المكتبة متبخرًا ثم فتح الخطاب.

أرجو أن تأتي هذا الصباح. يجب أن أراك.

فيرونیکا.

نظرت إليه شزراً.

"ماذا تعني يا جون؟ بالطبع لنا مستقبل. لقد أضعنا خمسة عشر عاماً وليس بنا حاجة لأن نضيع مزيداً من الوقت".

جلس.

"أنا أسف يا فيرونیکا، ولكن أخشى أن تكوني فهمت الوضع كله بشكل خاطئ. لقد استمتعت بمقابلتك من جديد كثيراً. ولكن حياتك وحياتي لا يلتقيان في أي مكان. إنهما مختلفتان للغاية".

"هراء يا جون. أنا أحبك وأنت تحبني. لطالما أحببنا بعضنا البعض. كنت غنيماً بشكل لا يصدق فيما مضى! ولكن لا تفكر في ذلك الآن. فحياتنا في غنى عن المزيد من الخلافات. لا أريد أن أعود إلى الولايات. عندما أنهى من الفيلم الذي أعمل عليه الآن، سوف أمثل مسرحية على مسرح لندن. حصلت على عرض رائع؛ كتيه لي الدرتون. سوف يحقق نجاحاً مذهلاً".

قال بأدب: "أنا واثق من ذلك".

أردفت تقول بصوت لطيف متنازل: "يمكنك أن تواصل ممالك كطبيب. سمعت أنك صرت طبيباً مشهوراً".

"فتاتي العزيزة، أنا رجل متزوج. لدي طفلان".

قالت فيرونیکا: "وأنا بدوري متزوجة أيضاً في الوقت الراهن. ولكن كل هذه الأمور يسهل ترتيبها. أي حمام بارع بإمكانه أن يصلح كل شيء". ابتسمت له ابتسامة ساحرة. "لطالما أردت أن أتزوجك يا حبيبي. لا أعرف حتى لماذا أكن لك كل هذا الحب، ولكنني كذلك بالفعل".

"أنا أسف يا فيرونیکا، ولكن ليس هناك حمام بارع بإمكانه أن يصلح أي شيء. حياتك بعيدة كل البعد عن حياتي".

"ليس بعد الليلة الماضية؟".

"أنت لست طفلة يا فيرونیکا. لقد تزوجت عدة مرات. ولديك كثير من الأحياء. ما الذي تعنيه الليلة الماضية؟ لا شيء على الإطلاق، وأنت تعرفين ذلك".

قالت وهي لا تزال حائرة وصبورة معه: "أوه عزيزي جون. لو كنت رأيتك وهكذا: عندما كنت في غرفة المعيشة! لقد كنت في سان ميغيل مرة أخرى".

تنهد جون وقال لها:

"لقد كنت في سان ميغيل. حاولي أن تفهمي يا فيرونیکا. لقد جئت لي من الماضي. وقد كنت أنا الآخر في الماضي، ولكن اليوم، اليوم مختلف. أنا رجل فبرت خمسة عشر عاماً. رجل لا تعرفينه أساساً. وأستطيع أن أقول: إنك لن تحبيه كثيراً لو عرفته الآن".

"هل تفضل زوجتك وطفلك علي؟".

كانت مذهولة بحق.

"رغم أن الأمر قد يبدو غريباً عليك، ولكنني كذلك".

"هراء يا جون، أنت تحبني".

"أنا أسف يا فيرونیکا".

قالت بارتباب:

"ألا تحبني؟".

"من الأفضل أن تكون واضحين تماماً في الكلام عن هذه الأمور. أنت امرأة محبلة للغاية يا فيرونیکا، ولكنني لا أحبك".

جلست ثابتة في مكانها دون حراك، وكأنها تمثال من الشمع. فجعله ثباتها وعدم حراكها يشعر ببعض القلق.

عندما تحدثت من جديد، أطلقت سماً حاول تجنبه.

"من هي؟".

"هي؟ من تعين؟".

"السيدة التي كانت تقف بجوار المدفأة بالأمس؟".

قال في نفسه: هنريتا. كيف وصلت إلى هنريتا بحق الله؟ قال لها بصوت عال:

"عمن تتحدثين؟ ميدج هاردكاسل؟".

"ميدج؟ الفتاة السمراء المملة، أليس كذلك؟ لا، لا أعنيها. ولا أتحدث عن زوجتك، أعني تلك الشيطانة الوقحة التي كانت تستند إلى المبداهة! أنت ترفضني بسببها! لا تتظاهر بأن أخلاقك تجاه زوجتك وطفليك هي السبب، إنها تلك السيدة".

نهضت من مكانها واقتربت منه.

"ألا تفهم يا جون، أنني منذ عدت إلى إنجلترا منذ ثمانية عشر شهرا، وأنا أفكر فيك؟ لماذا تتصور أنني اخترت هذا المكان الغبي؟ ببساطة لأنني علمت أنك تأتي إلى عائلة أنجيكا كل كثيرا في العطلات الأسبوعية".

"إذن ما حدث الليلة البارحة كان من تخطيئك؟".

"أنت ملكي يا جون. لطالما كنت كذلك".

"أنا لست ملكاً لأحد يا فيرونیکا. ألم تعلمك الحياة حتى الآن أنه لا يمكنك أن تملكى جسد وروح إنسان آخر؟ لقد أحبيتك عندما كنت شاباً. أردت أن تشاركيني حياتي. ولكنك لم تفعلي ذلك".

"كانت حياتي وعملي أهم بكثير من حياتك وعملك. أي شخص يمكنه أن يكون طبيبا".

فقد صبره قليلاً.

"هل حققت النجاح الباهر الذي كنت تتنظرينه؟".

"أعني أنني لم أصل لأعلى المراتب. سأفعل! سأفعل!".

نظر إليها جون كريستو باهتمام مفاجئ، فآثر.

"لا أصدق أنك ستفعلين. هناك نقص فيك يا فيرونیکا. دائما ما تخطفين وتنتزعين الأشياء، لست كريمة بحق. أظن هذه مشكلتك".

نهضت فيرونیکا من مكانها، وقالت بصوت هادئ:

"لقد رفضتني منذ خمسة عشر عاماً. ورفضتني من جديد اليوم. سأجعلك تندم على ذلك".

نهض جون من مكانه واتجه ناحية الباب.

"أنا أسف يا فيرونیکا لو كنت جرحتك. أنت جميلة جداً يا عزيزتي، وقد أحبتك من قبل كثيراً. ألا يمكننا أن نترك الوضع عند هذا الحد؟".

"لماذا يا جون. لن نتركه عند هذا الحد، افعل ما يحلو لك. أظن: أظن أنني أفرح أكثر مما تصورت أنه بإمكانني أن أكره أي شخص".

هر كتفيه وقال لها:

"أنا أسف. لوداع".

سار جون ببطء في الغابات. وعندما وصل إلى حمام السباحة جلس على الممعد الموجود هناك. لم يبتاه أي ندم على الطريقة التي تعامل بها مع فيرونیکا. وجد فيرونیکا عملاً قنياً فاسداً، لطالما كانت عملاً قنياً فاسداً، وافصل شيء فعله على الإطلاق هو أنه تخلص منها في الماضي. الله وحده هو الا يعلم بما كان سيحدث له لو لم يفعل ذلك!

كالعادة، انتابه ذلك الإحساس غير العادي بأنه يبدأ حياة جديدة، حياة لا مبداهة الماضي أو يعوقها. كان من الصعب حتماً أن يعيش معها في العام أو المامين الماضيين. قال في نفسه: مسكينة جيردا يايتارها وقلقها المستمر لكي ترضيه. سوف يصبح أكثر لطفاً معها في المستقبل.

ولعله الآن سوف يستطيع أن يتوقف عن الاستسناد على هنريتا. فلا يمكن لأي إنسان أن يستأسد عليها، فهي لم تخلق لذلك. هاجمتها عواصف، ولكنها وهمت ثابتة. تتأمل، وعيناها تنظران إليه من بعيد.

قال في نفسه: "سوف أذهب إلى هنريتا وأخبرها".

نظر لأعلى بحدّة، بعدما أزعجه صوت صغير غير متوقع. كانت هناك طلقات في الغابات بأعلى. كما سمع الضوضاء الصغيرة المعتادة للأحراش، والطيور، وساقط الأوراق الحزين. ولكن هذا الصوت كان مختلفاً، سمع طفلة خافتة تبدو عملية للغاية.

وعلى نحو مفاجئ، استشعر جون خطراً حقيقياً، منذ متى وهو جالس هنا نصف ساعة؟ ساعة؟ كان هناك شخص يراقبه. شخص.

وتلك الطقطقة - بالطبع كانت -



التفت بسرعة، كان رجلاً استجاباته سريعة للغاية: ولكنه لم يكن سريعاً بالقدر الكافي. اتسعت عيناه من الدهشة، ولكن لم يكن أمامه وقت ليصدر أي صوت.

انطلقت الرصاصات، فسقط على الأرض، ممدداً على حافة حمام السباحة انسأب دم هاتم ببطء من جانبه الأيسر وأخذ يتراكم ببطء على حافة حمام السباحة، ومن هناك اختلط اللون الأحمر بلون المياه الزرقاء.

## الحادي عشر

١

الال هيركيول بوارو آخر ذرة تراب من على حدائه. ارتدى ملابسه بعناية ليحضر ليمة الغداء التي دعي لحضورها، وسعد بالنتيجة.

كان يعرف جيداً نوع الملابس التي يمكن ارتداؤها في الريف يوم الأحد في إنجلترا، ولكنه لم يفضل التمسك بالتقاليد الإنجليزية. فضل تصويره الخاص اللانافة المدنية. لم يكن رجلاً نبيلاً إنجليزياً في الريف. كان هيركيول بوارو!

اعترف لنفسه بأنه لم يكن يحب الريف بحق. ولكنه سوف يستسلم ويقضي العطلة الأسبوعية في كوخ ريفي؛ وهو ما أثنى عليه كثير من أصدقائه. وافق على شراء ريس تهيفين، رغم أن الشيء الوحيد الذي أعجبه فيه هو شكله، الذي كان مريضاً تماماً وكأنه صندوق. لم يكن يهتم بالمناظر المحيطة رغم أنه كان يعلم تماماً أنها رائعة جميلة. ولكنها رغم ذلك لم تكن متماثلة تماماً حتى تروقه. لم يهتم كثيراً بالأشجار في أي وقت؛ لأنها معتادة على الدوام إسقاط أوراقها على نحو غير منظم. بإمكانه أن يتحمل أشجار الحور والأزوكاريا، ولكن أشجار الزان والبلوط لم تحرك فيه أية مشاعر. مثل هذا المنظر الطبيعي يستمتع به أكثر من سيارة في رحلة بعد الظهر. تصبح قانلاً: "يا له من منظر بدیع!" ثم يعود إلى فندق جيد.

فتح الباب جادجون الرائع، الذي استحسنة بوارو. ولكن استقباله لم يكن مثلما كان بوارو يتعمى. "السيدة في الجناح القريب من حمام السباحة يا سيدي، هلا أتيت من هنا؟".

كان حرص الإنجليز على الجلوس في الخارج يضايق هيركيول بوارو. ولكن إذا كان المرء يجب أن يتحمل مثل هذا الشيء القريب في عز الصيف، كما رأى بوارو، فيجب أن يحمي نفسه من هذه الشمس بنهاية سبتيمبر. كان الطقس ممتعاً بالطبع، ولكنه كان لا يخلو - مثل أيام الخريف على الدوام - من رطوبة. فم كان سيسعد إذا قاده كبير الخدم إلى غرفة جلوس مريحة، وبأحبذا لو حد فيها مدفأة صغيرة، ولكن مع الأسف قاده الخادم عبر النافذة الفرنسية إلى منحدر من المروج الخضراء، ومنه إلى حديقة وعرة، ثم عبر بوابة صغيرة ومحصار ضيق طويل تحفه أشجار كستناء صغيرة زرعت منذ فترة قصيرة.

اعضاد أنجيكا تل دعوة ضيوفهم في الساعة الواحدة، وعند اعتدال الطقس، عاشوا يتناولون العصير والشراب في الجناح الصغير القريب من حمام السباحة. وكان الغداء يعد في الساعة الواحدة والنصف، حتى يكون أكثر الضيوف غير الملتزمين بمواعيدهم قد وصلوا إلى المنزل، الأمر الذي يسمح لطاهي الليدي أنجيكا تل الممتاز بأن يعد المخبوزات وغيرها من الأطعمة الشهية دون كثير من الارتباك.

لم تسر الخطة بشكل مرض بالنسبة لهيركيول بوارو.

قال لنفسه: "لحظات قليلة، وأكون قد عدت تقريباً إلى المكان الذي جئت منه".

سار بوارو خلف جادجون بقامته الطويلة ووعيه يزداد لقدمه بداخل حذائه، في تلك اللحظة، سمع صرخة صغيرة أمامه بقليل، فزادت الصرخة بشكل ما احساسه بعدم الرضا. كانت متناثرة، وغير ملائمة بشكل ما. لم يصنف الصرخة، ولم يفكر فيها بشكل حقيقي، وعندما فكر فيها بعد ذلك، وجد صعوبة في أن يذكر المشاعر التي كانت تعبر عنها. أهي فرح؟ دهشة؟ خوف؟ كل ما أمكنه أن يحزم به هو أنها اقترحت - بما لا يدع مجالاً للشك - شيئاً غير متوقع.

أفضل شيء في ريستهيفين كما تصور، هو حديقة الخضراوات الصغيرة التي تمتد في صفوف كما زرعتها فكتور، البستاني البلجيكي الذي يعمل لديه. وفي ذلك الوقت، ألفت فراذكويز - زوجة فكتور - نفسها للعناية بمعدة سيداه.

مر هيركيول بوارو على البوابة، وتهدأ، ثم ألقى نظرة أخرى على حذائه الأسود اللامع، وضبط قممته الرمادية التي اشتراها من هامبرج، ونظر لأول الطريق وأخره.

ارتعش قليلاً من رؤية دوفيكوتس. فقد شيد منزلي دوفيكوتس وريستهيفين بناءً على منافسون، بعد أن حصل كلاهما على قطعة أرض صغيرة. ثم استولى مؤسسة التراث القومي للحفاظ على جمال الريف على جزء من أراضيهم. وظل المنزلان يمثلان مدرستين فكريتين مستقلتين. كان ريستهيفين أشبه بصندوق له سقف، معاصر للغاية ولكنه كان كتباً بعض الشيء، أما دوفيكوتس فكان ثوراً يجمع بين الطراز المعاصر حيث تم كساء نصفه بالأخشاب والطراز القديم في مساحة صغيرة قدر المستطاع.

تحدث هيركيول بوارو مع نفسه عن الطريقة التي سيدخل بها منزل هولو. كان يعرف أن هناك مرتفعاً صغيراً بعض الشيء يؤدي إلى بوابة صغيرة وطريق. وكان الدخول بهذه الطريقة غير الرسمية يوفر عليه قطع طريق يمتد حوالي نصف ميل. ولكن هيركيول بوارو، المتمسك بأداب التشریفات، قرر أن يأخذ الطريق الأطول ويدخل المنزل بالطريقة الصحيحة من المدخل الأمامي.

كانت هذه هي زيارته الأولى إلى السير هنري والليدي أنجيكا تل. قال في نفسه إن المرء لا يجب أن يأخذ طرقاً مختصرة دون دعوة، خاصة إذا كان مدعوأ لدى أناس لديهم مكانة اجتماعية. كان مسروراً بدعوتهم إياه، الأمر الذي يجب أن يعترف به.

تمتم يقول لنفسه: "أنا متكبر قليلاً".

تكون لديه انطباع جيد عن آل أنجيكا تل منذ كان في بغداد؛ وخاصة عن الليدي أنجيكا تل، قال لنفسه: "سيدة محترمة".

كان تقديره للوقت الذي يستغرقه السير إلى منزل هولو دقيقاً. كانت أمامه دقيقة واحدة بالضبط على موعده عندما قرع جرس الباب الأمامي. سعد بوصوله، فقد كان متعباً بعض الشيء. ثم يكن مغرمًا بالسير.

حقاً، كان الأمر يرمته غيباً للغاية؛ غير ظريف على الإطلاق! ألم تكن الملكة هينوريا هي من قالت: "لم تنسل؟" شعر برغبة شديدة في أن يقول الشيء منه "أنا هيركيول بوارو، لم أقبل".

سارت الليدي أنجيكا تل نحو الجثة. وتبعها هو - وهو يشعر بجاذجون الذي كان بنفس بقوة من خلفه. قال في نفسه: "هذا الشخص ليس طرفاً في هذا العرض". على الجانب الآخر من حمام السباحة، انضم إليهما الشخصان لا حران. أصبح الجميع على مقربة من بعضهم البعض، ينظرون إلى الجثة الملقاة على حافة حمام السباحة بشكل مسرحي.

وعلى نحو مفاجئ، بصدمة رعب، بعدما اعتراه إحساس من التشويش كالذي ظهر على شاشة السينما قبل أن تتضح الصورة، أدرك هيركيول بوارو أن هذا المشهد التمثيلي فيه شيء من الحقيقة.

فما كان ينظر إليه، كان رجلاً يحتضر إن لم يكن ميتاً.

لم يكن سائلاً أحمر اللون ذلك الذي كان يتساقط في حمام السباحة. لقد ملق النار على هذا الرجل، أطلق النار عليه منذ وقت قريب للغاية.

ألقي نظرة سريعة على المرأة التي وقفت هناك، ممسكة بمسدس. كان وجهها هالياً تماماً. لا يعكس مشاعر من أي نوع، بدت مذهولة، تميل للخفاء.

قال في نفسه: "غريب".

نساء في نفسه، هل جردت نفسها من كل المشاعر، كل العواطف، عندما أطلقت النار؟ هل فقدت كل مشاعرها، ولم يبق منها سوى هيكل منهن؟ قال في نفسه، قد يكون الأمر كذلك.

ثم ألقي نظرة على القتيل، وحقق فيه جيداً. كانت عينا الرجل لا تزالان مصوحتين. كانتا شديدي الزرق، فيهما تعبير لم يتمكن بوارو من قراءته، ولكنه وصفه لنفسه بأنه نوع من الوعي الشديد.

وعلى نحو مفاجئ، أو هكذا أحس بوارو، شعر بأن الشخص الوحيد الحي فعلاً من بين كل هذه المجموعة - هو الرجل الذي كان على حافة الموت.

خرج جادجون من بين أشجار الكستناء. كان يتحرك، بجانيه. ليسمح لبوارو بأن يمر، وكان في الوقت نفسه يتحجج تمهيداً ليقول: "سيد بوارو، سيدتي" بالثبيرة المناسبة الخاضعة التي تعكس الاحترام، عندما تصلب على نحو مفاجئ ثم شفق، كان صوتاً لا يخرج عن كبير الخدم.

تقدم هيركيول بوارو إلى المنطقة المفتوحة المحيطة بحمام السباحة فتصلب هو الآخر وتسمر في مكانه على الفور، بشيء من الانزعاج.

هذا كثير، كثير للغاية بحق! لم يتوقع مثل هذا الرخص من آل أنجيكا كال السير في طريق طويل، والإحباط الذي استشره في المنزل، والآن هذا! حسن الفكاهة الخاص بالإنجليز ولكن في غير موضعه!

انزعج كثيراً وشعر بسأم، كم شعر بقدر كبير من السأم. لم يكن الموت بالنسبة له مسلياً. وما هم أعداؤه - من باب المزاح - جثة هامدة.

كان ينظر إلى مشهد قتل مصطنع للغاية. بجانب حمام السباحة، وضعب الجثة، ملقاة على جانبها بشكل مصطنع، وسائل أحمر يتساقط، يبطء على حافة حمام السباحة. كان جسداً ضخماً، لرجل أفقر وسيم، ويجوار الجثة وقفت امرأة قصيرة، قوية البنية، في منتصف العمر، ممسكة في يدها مسدساً، وعلى وجهها تعبير باهت.

شارك في هذا المشهد ثلاثة ممثلين آخرين. على الجانب البعيد من حمام السباحة، وقفت سيدة شابة طويلة القامة، بشعر بني يشبه لون أوراق الخريف. كانت تمسك سلة في يدها ممتلئة بأزهار الأضاليا. وعلى مسافة أبعد قليلاً، وقفت رجل طويل غير واضح وكان يرتدي معطف الصيد، ويحمل بندقيته، وعلى يساره بالضبط، وجد مضيفته الليدي أنجيكا تل تحمل في يدها سلة بيض.

اتضح لهيركيول بوارو أن هناك العديد من الطرق المختلفة التي تؤدي إلى حمام السباحة، وأن كل شخص من هؤلاء الأشخاص وصل من طريق مختلف.

كان الأمر كله محسباً بعناية ومصطنعاً.

تهدأ أخيراً، ماذا يتوقعون أن يفعل؟ هل عليه أن يتظاهر بتصديق هذه "الجريمة"؟ هل يجب أن يصرخ من الخوف؟ أم تراه يجب أن ينحني ليهنئ مضيفته على هذا العرض: "أها، عرض ممتاز، ما الذي أعدته لي هنا؟".

نوع من السلطة المترددة، اقتربت منها الشابة الصغيرة الطويلة ذات الشعر  
البيسي وقالت لها:  
"اعطني هذا يا جيردا".

وببراعة، قبل أن يتمكن بوارو من التدخل أو الاعتراض، أخذت المسدس من  
يد جيردا كريستو.

سار بوارو خطوة للخلف.

"لا يجب أن تفعل ذلك يا أنسة -".

حدقت السيدة الشابة بتوتر فيه. انزلق المسدس من بين أصابعها. كانت  
تتمدد بجوار حمام السباحة، فسقط فيه المسدس محدثاً رذاذاً في المياه.

انفتح فمها وأطلقت صرخة تنم عن رعب: "أوه"، ثم اتجهت برأسها ناحية  
بوارو تنظر إليه في اعتذار.

قالت له: "كم أنا غبية. أنا آسفة".

لم يتحدث بوارو للحظة. كان يحرق في عيني بنديقتين صافيتين، التقتا  
بعميقه الثابتتين تماماً، فتساءل في نفسه عما إذا كان شكه اللحظي غير مبرر.

قال بهنو:

"لا يجب التعامل مع الأشياء سوى في أضيق حد ممكن. يجب أن يترك كل  
شيء على حاله كما هو بالضبط حتى تأتي الشرطة وتأمين المكان".

حدثت حركة بسيطة بعد ذلك. بسيطة للغاية، تنم عن عدم الراحة.

تمتعت الليدي أنجيكاثل تقول بكرة: "بالطبع، أظن، نعم الشرطة -".

قال الرجل الذي كان يرتدي معطف الصيد بصوت هادئ لطيف: مشوب بكرة  
بصعب إنكاره: "أخشى يا لوسي ألا يكون هناك مفر من ذلك".

في تلك اللحظة من الصمت والإدراك، سمع صوت وقع أقدام وأصوات، واثقة  
من نفسها، بخطى سريعة ومبتهجة، أصوات غير ملائمة.

على الطريق الأمامي المؤدي للمنزل جاء السير هنري أنجيكاثل وميدج  
هاردكاسل يتحدثان ويضحكان معاً.

لم يستشعر بوارو من قبل مثل هذا الانطباع القوي بالحياة والنشاط. كان  
بقية المجموعة شاحبين وكانهم ضلال أشخاص، ممثلين في عمل دراما غريب  
ولكن هذا الرجل كان حقيقياً.

فتح جون كريستو فمه وتحدث. كان يتحدث بصوت قوي، غير متدهش، وعلى  
عجل.

قال: "هنريتا"

ثم شخص بصره، وسقط رأسه بجواره.

جثا هيركيول بوارو بالقرب منه ليتأكد أنه مات بالفعل، ثم وقف على قدميه،  
ونفض التراب عن سرواله بطريقة ميكانيكية.

قال: "نعم، لقد مات".

## ٢

تكسرت أجزاء الصورة، واهتزت قليلاً ثم أعادت تركيز نفسها. صدرت ردود  
أفعال فردية الآن: أحداث تافهة. كان بوارو منتبهاً لنفسه، اتبه أن عينيه وأذنيه  
الكبيرتين تسجل ما يحدث، مجرد تسجيل.

كان واعياً ليد الليدي أنجيكاثل ترخي قبضتها على السلة التي كانت تحملها،  
وجادجون يتقدم للأمام، فالتقطها منها بسرعة.

"اسمحي لي يا سيدتي".

تمتعت الليدي أنجيكاثل على نحو ميكانيكي طبيعي للغاية قائلة:

"شكراً لك يا جادجون".

ثم قالت بشيء من التردد:

"جيردا -"

تحركت السيدة التي كانت تحمل مسدساً للمرة الأولى. نظرت لكل من  
حولها. وعندما تحدثت، عكس صوتها ما بدا وكأنه ارتباك شديد.

قالت: "لقد مات جون، مات جون".

بمجرد أن رأى منظر المجموعة المحيطة بحمام السباحة، توقف التسمي هنري على الفور، وصاح في دهشة:

"ما الخطب؟ ماذا حدث؟"

أجابته زوجته، "جيردا - ثم سكنت على الفور وقالت: "أمتي - جون -"

قالت جيردا بصوت منخفض مرتبك:

"لقد زمني جون بالرصاصة. لقد مات."

ابتعد الجميع عنها وهم محرجون.

ثم قالت الليدي أنجيكا تل بسرعة:

"عزيزتي، أظن أنه من الأفضل أن تذهبي و... تستلقي. لعل من الأفضل أن يذهب الجميع إلى المنزل؟ بإمكانك يا هنري أن تبقى هنا مع السيد بوارو، وتنتظر الشرطة."

قال السير هنري: "أظن أن هذه أفضل خطة ممكنة". ثم التفت نحو جادجون وقال له: "هلا تتصل بالشرطة يا جادجون؟ أبلغهم فقط بما حدث هنا. وعندما يصل رجال الشرطة، أحضرهم إلى هنا مباشرة."

أحنى جادجون رأسه قليلاً وقال: "حسنًا سير هنري". بدأ شاحناً للغاية ولكنه كان لا يزال الخادم المطيع.

قالت الشابة الصغيرة الطويلة: "تعال يا جيردا"، ثم وضعت يدها على ذراع السيدة الأخرى، أخذتها دون مقاومة في الطريق المؤدي إلى المنزل. سارت جيردا وكأنها في حلم، وتراجع جادجون قليلاً ليسمح لهما بالممرور. ثم تبعهما حاملاً سلة البيض.

التفت السير هنري بسرعة إلى زوجته وقال: "والآن يا لوسي، ما كل هذا؟ ما الذي حدث بالضبط؟"

دفعت الليدي أنجيكا تل يديها الغامضتين، في إيماء جميلة تنم عن قلة حيلة، استشعر هيركيول بوارو سحرها وجاذبيتها.

"لا أعرف يا عزيزي، كنت في حظيرة الدجاج، سمعت طليقة رصاص يدت قريبة للغاية، ولكن لم يخطر ببالي أن شيئاً كهذا حدث". كانت لوسي تروق الجميع

لا يعرف! ثم قطعت الطريق المؤدي لحمام السباحة لأجد جون مستلقاً هناك، وجردا تقف فوقه، ومعهما المسدس. ثم وصلت هنريتا وإدوارد في اللحظة نفسها، هربا، من هناك."

أوصأت برأسها ناحية الجانب البعيد من حمام السباحة، حيث الطريقان المؤديان للغابات.

سنتح هيركيول بوارو.

"من هما، المدعو جون والمدعوة جيردا؟" ثم أضاف معتذراً: "إن سمحت لي،

التفت إلى الليدي أنجيكا تل تعتذر بسرعة وتقول: "أوه، بالطبع، لقد سمعت، ولكن المرأة لا يقوم بتقديم الناس عندما يكون هناك قاتل، جون هو جون كريستو، طبيب. وجيردا هي زوجته."

"والسيدة التي دخلت مع السيدة كريستو إلى المنزل؟"

"ابنة عمي: هنريتا سافرونك."

صدرت حركة، حركة بسيطة للغاية من الرجل الذي كان على يسار بوارو.

قال بوارو في نفسه: "هنريتا سافرونك"، ولم يعجبه سماع ذلك، ولكن - في النهاية - لا بد أن أعرف..."

(لقد قال الرجل وهو يحتضر "هنريتا"، قالها بطريقة غريبة للغاية، طريقة ذكرت بوارو بشيء ما، بحادثة... ولكن ما هي؟ لا مشكلة، سوف يتذكرها).

تابعت الليدي أنجيكا تل كلامها، مصممة أن توفي واجباتها الاجتماعية.

"وهذا ابن عم آخر لنا: إدوارد أنجيكا تل، والآسنة هارديكاسل."

تنص بوارو تعريفه بالموجودين بالإنهاء مهذبة، شعرت ميدج على نحو مماثل بأنها تريد أن تضحك على نحو هستيري، ولكنها سيطرت على نفسها بصموية.

قال السير هنري: "والآن يا عزيزتي، أظن أنه من الأفضل - كما اقترحت - أن نعود إلى المنزل. سوف أتحدث قليلاً مع السيد بوارو."

نظرت الليدي أنجيكا تل إليهما وهي تفكر.

فإن الجناح مقامًا على جانب حمام السباحة البعيد عن المنزل، ومن خلال أبوابه المفتوحة كان بإمكانهما رؤية حمام السباحة والجنة والطريق المؤدي إلى المنزل الذي سيأتي منه رجال الشرطة.

كان الجناح مفروشًا بشراء بأرائك مريحة وسجاجيد محلية الصنع. وعلى مربة شاي حديدية مطلية كانت هناك كنوس وزجاجة من الشراب.

قال السير هنري: "أريد أن أعرض عليك شرابًا، ولكنني أظن أنه من الأفضل ألا ألمس أي شيء حتى تصل الشرطة، رغم أنني لا أتصور أنهم سيجدون ما يهمهم هنا. ولكن من الأفضل أن نكون في أمان. أرى أن جادجون لم يحضر المصير بعد. كان ينتظر وصولك."

جلس الاثنان بحدز شديد على كرسيين من الخيزران بالقرب من الباب حتى سمعنا من رؤية الطريق المؤدي للمنزل.

خيم الصمت على المكان. فقد كان من الصعب التحدث في وضع كهذا.

ألقي يوارو نظرة على المكان. لم يلتفت نظره أي شيء غير عادي. كان هناك هروة لعب رمادية باهظة مفاة ياهمال على ظهر أحد الكراسي. تساءل لمن كانت. فقمامتها، التي تدعو للتفاخر لم تكن متناغمة مع أي من الأشخاص الذين را هم حتى الآن. لم يتخيلها على سبيل المثال تحيط بكتفي الليدي أنجيكاثل.

الفتقته. كانت تتم عن مزيج من الرخاء وعمل دعاية للذات؛ وهما سمتان يمدتان عن أي شخص رآه حتى الآن.

قال السير هنري بنبرة استئذان: "أظن أن التدخين ممكن."

قبل أن يخرج السيارة، تشمم يوارو الهواء.

عطر فرنسي - عطر فرنسي باهظ.

ظل شذاه في المكان، ولكنه كان هنا، لم تقترب الرائحة هي الأخرى في عقله بأي شخص من سكان منزل هولو.

بمجرد أن اتكا للأمام ليشعل سيجارته من ولاعة السير هنري، وقعت عينا سوارو على كومة صغيرة من علب الكبريت، ست عبوات، موضوعة على طاولة صغيرة بالقرب من إحدى الأرائك.

كانت تفصيلية بدت غريبة للغاية بالنسبة له.

قالت: "أتمنى أن تستلقي جيداً. هل هذا الاقتراح مناسب؟ حقيقة لم أعرف ماذا أقول، أعني أنني لم أمر بوقف مماثل. ماذا أقول لامرأة قتلت زوجها منذ لحظات؟"

نظرت لهما وكأنها تمني أن تحصل على إجابة موثقة لسؤالها.

ثم سارت في الطريق المؤدي للمنزل. وتبعتهما ميدج، وأخيرًا إدوارد.

بقي يوارو مع مضيئه.

تنحنح السير هنري. بدا غير واثق مما عليه يجب أن يقوله.

قال أخيراً، "كان كريستو شخصاً بارعاً، شخصاً بارعاً للغاية."

استقرت عينا يوارو مرة أخرى على القتييل. كان لا يزال لديه انطباع أن القتييل فيه حياة أكبر من التي كانت في الأحياء.

تساءل في نفسه عما أعطاه هذا الانطباع.

رد بأدب على السير هنري.

قال له: "ماساة كهذه مؤسسة للغاية."

قال السير هنري: "أنت معتاد مثل هذه الأمور أكثر مني. لا أظن أنني اقتربت من قبل من جريمة قتل. أمل أن أكون فعلت الصواب حتى الآن؟"

قال يوارو: "كان تصرفاً صحيحاً تماماً. أعني اتصالك بالشرطة، وحتى تصل، ليس أمامنا شيء نفعله سوى أن نتأكد من عدم اقتراب أي شخص من الجنة أو العبت بالأذلة."

بمجرد أن انتهى من كلامه، ألقي نظرة على حمام السباحة حيث رأى المدسد مستقراً في قاع الحمام، غير واضح تماماً بسبب المياه الزرقاء.

قال في نفسه إن الدليل فسد بالفعل، قبل أن يتمكن هو من منع حدوث ذلك. ولكن لا، كانت مجرد حادثة.

تتمم السير هنري يقول على مضض:

"هل يجب أن نبقى واقفين هنا؟ الجو بارد بعض الشيء. هل هناك مشكلة أن ندخل إلى الجناح الملحوق به؟"

وافق يوارو، الذي كانت قدمه مبتلة وكان يرتعش من البرودة، على هذا الاقتراح

"دالما ما تراعي الظروف يا إدوارد. وهناك ديفيد أيضاً، لقد لاحظت أنه تناول الكثير من الطعام على العشاء الليلة الماضية. دالما ما يبدو الأشخاص الألباء بحاجة لكمية كبيرة من الطعام، بالمناسبة: أين ديفيد؟"

قالت ميدج: "صعد إلى غرفته، بعدما سمع ما حدث".

"نعم. حسناً. كان ذلك تصرفاً ثقيلاً منه. أجزم بأنه يشعر بالحرج. بالطبع أية جريمة - قولوا ما شئتم - ولكن أية جريمة قتل أمر محرّج؛ فهي تزعج الخدم ومطعم الروتين المعتمد لنيوم. كنا سنتناول البط على الفداء؛ ولكن لحسن الحظ، من الممكن أن نتناوله بارداً وبظل لثدياً. ماذا نفعل مع جيردا في رأيكم؟ هل نهدم لها بشيء تأكله في غرفتها؟ ربما قليل من الحساء؟"

قالت ميدج: "حقاً، لوسي عديمة المشاعر". ثم أحست بوخز ضمير وفكرت أنه ربما لأنها مرهقة المشاعر، أصابتها صدمة؛ ألا تقول الحقيقة العارية إن الكوارث تحيط بمثل هذه التساؤلات الصغيرة التافهة والتكهنات؟ هلوسي لم يعمل سوى بأنها عبرت عن الأفكار التي تخالج الجميع. أم أنها تذكرت الخدم وفلفت بشأن الوجبات. وصحيح أننا نشعر بالجوع. كانت هي نفسها تشعر بالجوع في تلك اللحظة؛ شعرت أنها جائعة، ومريضة في الوقت نفسه. مزيج غريب.

ومما لا شك فيه انتشار إحساس بالحرج لعدم معرفة كيفية التصرف مع سيدة هادئة، بسيطة، كان يتم الإشارة إليها بالأمس فقط بـ "جيردا المسكينة". صبح من المحتمل أن تقف بعد وقت قصير في منصة المتهمين بالقتل.

قالت ميدج في نفسها: "هذه الأمور تحدث لغيرنا من الناس، ولكنها لا يمكن أن تحدث لنا".

ألقت نظرة على آخر الغرفة حيث كان إدوارد جالساً. قالت في نفسها: "مثل هذه الأمور لا يجب أن تحدث مع شخص مثل إدوارد؛ شخص أبعد ما يكون من العنف". استراحت بالنظر إلى إدوارد. إدوارد الذي كان ساكناً للغاية، منطقيًا للغاية، طيباً وهادئاً للغاية.

دخل جادجون الغرفة، وتحدث مع سيدته في سرية وبصوت منخفض للغاية.

"لقد أعددت بعض الشطائر والقهوة في غرفة الطعام يا سيدتي".

## الثاني عشر

قالت الليدي أنجيكا تال: "الساعة الثانية والنصف".

كانت في غرفة المعيشة، مع ميدج وإدوارد. ومن وراء باب غرفة السير هنري المغلق سمعت صوت تمّمة. كان هيركيول بوارو، والسير هنري، والمفتش جرانج هناك.

تنهبت الليدي أنجيكا تال وقالت:

"أعرفين يا ميدج، ما زلت أشعر بأنه ينبغي أن أعد شيئاً للفداء. قد يبدو الجلوس حول الطاولة كأن شيئاً لم يحدث، أمر عديم الرحمة؛ ولكن في النهاية، لقد دعونا السيد بوارو على الفداء، وأغلب الظن أنه جالس. قد لا يكون قتل جون كريستو المسكين بهذه الطريقة أمراً مزعجاً بالنسبة له كما ألعنا. ويجب أن أقول إنه رغم أنني لا أشعر برغبة في الأكل، قطعاً هنري وإدوارد جائعان للغاية بعد رحلة صيد استمرت طوال الصباح".

قال إدوارد أنجيكا تال: "لا تشغلي نفسك بي يا لوسي يا عزيزتي".

"أوه، شكرًا لك يا جادجون".

قالت لوسي أنجيكاثل عندما غادر جادجون الغرفة: "حقًا جادجون رائع. لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونه. دائمًا ما يعرف الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله. فقليل من الشطائر تفي بالفرض بدلًا من الفداء؛ كما أنه لا عيب في ذلك. إذا كنت تفهمين ما أعنيه".

"أوه، لوسي لا تفعلين".

وعلى نحو مفاجئ، شعرت ميدج بدموع داغنة تنساب على وجنتيها، فاندحست الليدي أنجيكاثل وقالت لها بصوت منخفض:

"عزيزتي المسكينة، كان ذلك أكبر من أن تحمليه".

عبر إدوارد الغرفة وجلس بجوار ميدج، ثم طوقها بذراعه وقال لها:

"لا تقلقي يا ميدج الصغيرة".

دفنت ميدج رأسها في كتفه وأجهشت بالبكاء وارتاحت لذلك. تذكرت كم كان إدوارد لطيفًا معها عندما توفي أرنهيا في إينزويك في إحدى عطلات عيد الربيع. قال إدوارد برفق: "كانت صدمة. هل يمكنني أن أحضر لها شرابًا يا لوسي؟"

"على طاولة الطعام في غرفة الطعام. لا أظن -".

توقفت عن الكلام عندما دخلت هنريتا الغرفة. وقفت ميدج. شعرت بأن جسد إدوارد تصلب وتسمر في مكانه.

تساءلت ميدج في نفسها عما تشعر به هنريتا. كانت تشعر بعدم رغبة في النظر لابن عمها، رغم أنه لم يكن هناك ما تراه. بدت هنريتا عداؤية. دخلت الغرفة راغمة ذقنها، محمرة الوجه، بسرعة كبيرة.

صاحت الليدي أنجيكاثل: "أوه، ها قد جئت يا هنريتا. كنت أتساءل. رجال الشرطة مع هنري والسيد بوارو. ماذا أعطيت لجيردا عَصِيرًا؟ أم شايًا وأسيرينا؟".

"أعطيتها بعض العصير، وزجاجة ماء ساخن".

قالت الليدي أنجيكاثل موافقة: "هذا ما ينصحون به في فصول الإسعافات

لأول مرة؛ أعني زجاجة الماء الساخن، عند التعرض لصدمة، فهناك اتجاه سائد هذه الأيام بعدم تناول المهدئات، ولكنني أضلها مجرد موضة. فدلًا ما كنا نأكل العصير عند معاناة صدمة ونحن أطفال في إينزويك، ولكنني لا أظن أن الأمر كان صادمًا بالفعل مع جيردا. لا أعرف حقًا ما يشعر به المرء إذا ما قتل من قبل حياته؛ فهذا أحد الأمور التي ليس من الممكن تخيلها، ولكن هذا الأمر لا يحدث صدمة. أعني، أعني أن عنصر المفاجأة غير موجود هنا".

احترق صوت هنريتا الأجواء الهادئة بنبرتها الباردة كالثلج.

قالت: "لماذا أنت واثقة لهذه الدرجة أن جيردا هي التي قتلت جون؟".

ساد صمت للحظات، استثمرت ميدج تغيرًا غريبًا في الأجواء. عم اضطراب وإممال ثم نوع من الترقب الحذر في النهاية.

ثم قالت الليدي أنجيكاثل، وصوتها يكاد يكون مجردًا من أية نبرة:

"بدا ذلك واضحًا. ما رأيك أنت؟".

"ليس من الممكن أن تكون جيردا وصلت إلى حمام السباحة فوجدت جون مسلقيًا هناك، ثم التقطت المسدس، قبل وصولنا إلى المكان؟".

ساد صمت مرة أخرى، ثم سألتها الليدي أنجيكاثل:

"هل هذا ما قالته جيردا؟".

"نعم".

لم تكن موافقة بسيطة. كانت هناك قوة تحركها، فخرجت وكأنها طلفة مسدس.

رفعت الليدي أنجيكاثل حاجبها، ثم قالت شيئًا ليست له أي علاقة بما يقال:

"هناك شطائر وقهوة في غرفة الطعام".

توقفت عن الكلام بعدما شهقت عندما رأت جيردا كريستو تدخل من الباب المفتوح. قالت على عجل وبطريقة اعتذارية:

"أنا، لم أستطع أن أبقي مستلقية أكثر من ذلك. أشعر بقلق شديد، قلق مروع".



صاحت الليدي أنجيكا تل قائلة:

"يجب أن تجلسي، يجب أن تجلسي على الفور".

نقلت ميج من على الأريكة، وأجلست جيردا هناك، ثم وضعت وسادة أسفل ظهرها.

قالت الليدي أنجيكا تل: "عزيزتي المسكينة".

شدت على هاتين الكلمتين، ولكن عبارتها بدت خالية من أي معنى.

سار إدوارد نحو النافذة ووقف هنا ينظر للخارج.

أعادت جيردا شعرها المبعثر للخلف بعدما رفعتة من على جبينها. وتحدثت بنبرة قلقة مرتبكة.

"أنا، لقد بدأت أدرك ما حدث للتو. أعرفون، لم أتمكن من الشعور بأي شيء - وما زلت لا أشعر - بأن هذا حقيقي - أن جون - مات". ثم بدأت ترتعش قليلاً: "تري من الذي قتله؟ من بإمكانه أن يقتله؟".

أخذت الليدي أنجيكا تل نفساً عميقاً، ثم أشاحت برأسها بحدة. انفتحت باب غرفة السير هنري، ودخل الفرقة بصحبة المفتش جرانج: الذي كان ضخم الجثة عريض المتكبين، ذا شارب متشائم متجه لأسفل.

"هذه زوجتي أيها المفتش جرانج".

أحنى جرانج رأسه وقال:

"كنت أتساءل سيدة أنجيكا تل، عما إذا كان بإمكانك أن أتحدث قليلاً مع السيدة كريستو".

توقف عن الكلام عندما أشارت الليدي أنجيكا تل ببدا ناحية الأريكة.

"سيدة كريستو؟".

قالت جيردا بنشام:

"نعم، أنا السيدة كريستو".

"لا أريد أن أزعجك يا سيدة كريستو، ولكنني أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة. بإمكانك بالطبع أن تطلبي حضور محاميك إذا كنت تفضلين ذلك".

تدخل السير هنري قائلاً:

"أحياناً يكون من الأفضل يا جيردا -"

فقاطعته جيردا بقولها:

"محام؟ لماذا محام؟ لماذا يجب أن يعرف أي محام أي شيء عن موت موني؟".

سعل المفتش جرانج، أو شك السير هنري على الحديث، فتدخلت هنريتا تقول:

"المفتش يريد أن يعرف ما حدث بالضبط هذا الصباح".

التفتت جيردا نحوه. تحدثت بصوت متسائل:

"بدا الأمر كله وكأنه كابوس؛ وليس حقيقة. ثم أستطيع أن أصرخ أو أن أفعل أي شيء. لا أشعر بأي شيء على الإطلاق".

قال جرانج مهدداً إياها:

"هذا تأثير الصدمة يا سيدة كريستو".

"نعم، نعم. أظن ذلك. ولكن كما ترى كان الأمر كله مفاجئاً، خرجت من المنزل في اتجاه حمام السباحة -"

"متى كان ذلك سيدة كريستو؟".

"كان قبل الساعة الواحدة، قبل الواحدة بدقيقة أو اثنتين. أعرف ذلك لأنني طيرت تلك الساعة. وعندما وصلت إلى هناك، وجدت جون، مستلقياً، والدم يدهق على حافة حمام السباحة".

"هل سمعت صوت رصاص يا سيدة كريستو؟".

"نعم - لا - ليست أعرف. علمت أن السير هنري والسيد أنجيكا تل خرجا في رحلة صيد. أنا، رأيت جون فقط -"

"نعم سيدة كريستو".

"جون - والدم - والمسدس. أمسكت المسدس -"

"لماذا؟".

"عذراً".

اصطناعية؛ فهم بوارو الكلمة للحظة. نعم كان هناك شيء اصطناعي فيها.

وفان -

جاء رجل ببذلة سياحة إلى المفتش.

قال له: "ها هو الممدس يا سيدي".

أخذ جرانج الممدس الذي كان الماء يقطر منه بحذر.

قال له: "ليس هناك أمل في التعرف على بصمات الأصابع الآن، ولكن لحسن

الحظ أن هذه النقطة لم تعد مهمة في هذه القضية. كانت السيدة كريستو

لمسك الممدس بالثقل عندما وصلت يا سيد بوارو. أليس كذلك؟"

"بلى".

قال جرانج: "الخطوة التالية هي تحديد الممدس. أظن أن السير هنري

بماكانه أن يفعل ذلك من أجلنا. لقد حصلت عليه من مكتبه، كما أتصور."

أنقى نظرة على حمام السباحة.

"والآن، لتراجع ما حدث ليتضح كل شيء. الطريق الموجود أسفل حمام

السباحة يأتي من المزرعة؛ حيث قدمت الليدي أنجيكا قاتل. وجاء السيد إدوارد

البيكا قاتل والأنسة سافرنيك من الغابة؛ ولكنهما لم يأتيا معاً. فقد جاء من

الطريق الأيسر، وجاءت هي من الطريق الأيمن الذي يؤدي إلى العمر الطويل

إلى المنزل المكسو بالأزهار. ولكن الاثنين كانا يقفان على الجانب البعيد من

حمام السباحة عندما وصلت؟"

"نعم".

"وهذا الطريق المجاور للجناح، يؤدي إلى الركن الخاص بالبنزور. حسناً،

سوف نسير من هناك."

وبينما سار في هذا الطريق، تحدث جرانج دون انفعال، ولكن بمعرفة وبعض

النشأوم.

قال: "لم أعمل في الكثير من هذه القضايا. عملت في قضية العام الماضي،

بالقرب من أشراید. كان رجلاً عسكرياً متقاعدًا، مهنة مميزة. كانت زوجته لطيفة

"لماذا أمسكت الممدس يا سيدة كريستو؟"

"أنا، لست أدري".

"لم يكن عليك أن تلمسيه، ألا تعرفين ذلك؟"

بدت جبردا غامضة، وكان وجهها خالياً من أي تعبير: "ولكنني فعلت، أمسكت به بيدي".

نظرت لأسفل الآن إلى يديها وكأنها تخيل رؤية الممدس بينهما.

التفتت بسرعة إلى المفتش، وتحدثت بصوت حاد وحزين على نحو مفاجئ.

"من قتل جون؟ ليس هناك من يريد قتله. لقد كان أفضل الرجال. كان

غاية في الطيبة، يؤثر الآخرين دوماً، كان يفعل كل شيء من أجل الآخرين. كان

الجميع يحبونه، أيها المفتش. كان طيباً رائعاً. كان أفضل وأطيب زوج على

الإطلاق. بالتأكيد كانت حادثة - بالتأكيد - بالتأكيد!"

أشارت بيدها لكل من في الغرفة.

"سل أي شخص أيهما المفتش. ليس هناك من كان يرغب في قتل جون،

أليس كذلك؟"

نظرت إليهم جميعاً.

أغلق المفتش جرائح مفكرته.

قال بصوت غير عاطفي، "شكراً لك سيدة كريستو. يكفي هذا في الوقت

الراهن".

خرج هيركيول بوارو والمفتش جرانج معاً عبر الغابات الكستانية إلى حمام

السباحة. تم التقاط صور فوتوغرافية للنساء الذي كان جون كريستو وأصبح

الآن "جثة" هامة، وقياسها وكتابة تفاصيل حالتها وفحصها على يد الطبيب

الشعري، ثم أخذ الجثة إلى المشرحة. وجد بوارو حمام السباحة يبدو بريئاً

بشكل غريب. وجد كل شيء في اليوم يبدو مألوفاً على نحو غريب: باستثناء جون

كريستو لم يكن كذلك. حتى بعد وفاته كان هادئاً وموضوعياً. لم يكن حمام

السباحة الآن حمام السباحة بالتأكيد، كان المكان الذي ترقد فيه جثة جون

كريستو حيث سأل دمه على حافة حمام السباحة في المياه الزرقاء الاصطناعية.

مرح قد تبدو أي امرأة في موقف كهذا؟ منتصرة، مفزوعة، راضية، حائرة، مسككة، باهتة؟

قال في نفسه إنها قد تبدو على أي شكل من هذه الأشكال.

كان المفتش جرانج يتحدث، فبدأ بوارو حديثه من حيث انتهى.

"بمجرد أن تلم بكل حقائق القضية، وبإمكانك أن تعرفها في العادة من عدم."

"هل ستعود السيدة كريستو إلى لندن؟"

"نعم، فليديها طفلان هناك، ويجب أن تذهب إليهما. ولكننا بالطبع سنبقينا بحراسة المشددة، ولكنها لن تعرف ذلك. إنها تظن أنها أفلتت من يدنا وأن الأمور ستسير على ما يرام. أراها تبدو سيدة غبية..."

سأله بوارو في نفسه، هل علمت جيردا كريستو بما تفكر فيه الشرطة، وما بصمدمة ألي أنجيكا قل؟ بدت كأنها لم تدرك أي شيء على الإطلاق. تبدو كأن ردود أفعالها بطيئة، بدت حائرة تماماً مضطربة القلب على موت زوجها.

خرجوا إلى الممر الضيق.

وقف بوارو بجوار بوابته. قال له جرانج:

"هذا منزل الصغير لطيف ومريح. حسناً، وداعاً الآن يا سيد بوارو. شكراً على تعاونك. سوف أزورك بعد قليل وأعطيك بعض المعلومات عن كيفية سير المصيبة."

ثم ألقى نظرة على المكان.

"من جارك؟ أليس هذا هو المنزل الذي تقطن فيه الفنانة الجديدة؟"

"الآنسة فيرونیکا كراي الممثلة، تأتي إلى هنا في العطلات الأسبوعية، على حد علمي."

"طبعاً، دوفيكوتس. لقد أعجبتني في مسرحية امرأة تمتطي تمراً، ولكنها صدمتني جداً بصعب فهمه، أنا أحب هيدي لامار."

ثم أضحاح عنه.

"حسناً، يجب أن أعود إلى عملي، الوداع يا سيد بوارو."

وهادئة، من طراز قديم في الخامسة والستين من عمرها، وكان شعرها رمادياً، جميلاً ومموجاً بعض الشيء. كانت تقوم بالكثير من أعمال الحديقة. وذات يوم، اتجهت إلى غرفته، وأخرجت مسدس الخدمة الخاص به، واتجهت إلى الحديديه وأطلقت النار عليه. هكذا فحسب! ولكن هناك الكثير من الأمور المحجوبة وراء ذلك، والتي يجب أن نفحص فيها بالطبع. أحياناً يختار عون قصة حمقاء عن وجود شخص عابر سبيلاً فتتظاهر بأننا صدقنا القصة بالطبع، ونبقي الوضع على ذلك حتى نجري تحرياتنا، ولكننا نعرف الحقيقة."

قال بوارو: "أنعني، أنك قررت أن السيدة كريستو هي التي أطلقت النار على زوجها".

رغمته جرانج بنظرة دهشة.

"حسناً، ألا تعتقد ذلك؟"

قال بوارو بترو: "لعل ما روثه هو الحقيقة."

هز المفتش جرانج كتفيه وقال:

"هذا وارد بالطبع. ولكنها حكاية ضعيفة. الجميع يظن أنها هي التي قتلتها. قطعاً يعرفون شيئاً لا نعرفه". نظر بتساؤل إلى رفيقه: "هل تصورت أنها مرتكبة الجريمة عندما وصلت إلى مسرح الجريمة؟"

أغمض بوارو عينيه، تذكر قدمه من الطريق... اقتراب جادجون... جيردا كريستو واقفة فوق زوجها ومعهما المسدس في يدها وذلك التعبير الباهت على وجهها. نعم، كما قال جرانج، تصور أنها هي التي فعلت ذلك.... فكر على الأقل أن هذا هو الانطباع الذي أخذه.

نعم، ولكن الوضع مختلف.

مشهد معد للتضليل.

هل بدت جيردا كريستو امرأة أطلقت النار على زوجها للتو؟ هذا هو ما أراد المفتش جرانج أن يعرفه.

وبصمدمة مفاجئة من الدهشة، أدرك هيركيول بوارو أنه خلال كل تجاربه الطويلة مع الجريمة والعنف، لم يصف أبداً وجهاً لوجه مع امرأة قتلت زوجها

"هل تعرفت على هذا المسدس يا سير هنري؟"

وضع المفتش جرانج المسدس على المكتب المقابل للسير هنري وهو ينظم إليه انتظاراً لردّه.

"هل يمكنني أن أمسكه؟" كانت يد السير هنري ترتعش فوق المسدس وهو يطرح السؤال.

أوماً جرانج برأسه وقاله له: "لقد كان في حمام السباحة. مما يعني تدمير أي بصمات كانت عليه. من المؤسف أن يسقط من يد الأنسة سافرنيك بهذه الطريقة في حمام السباحة."

"نعم، نعم، ولكن طبعاً كانت لحظة صعبة للغاية على الجميع. والنساء على وجه الخصوص يملن للارتباك و - إسقاط الأشياء في مثل هذه الحالات" أوماً المفتش جرانج برأسه مرة أخرى وقال:

"تبدو الأنسة سافرنيك سيدة رابطة الجأش، قادرة على التحكم في نفسها بوجه عام."

لم يؤكد أحد كلامه، إلا أن شيئاً في هذا الكلام جعل السير هنري ينظر لأعلى على الفور. تابع جرانج كلامه قائلاً:

"الآن، هل تعرفت عليه الآن يا سيدي؟"

التقط السير هنري المسدس وفحصه بعناية. سجل الرقم المكتوب عليه وقارنه بقائمة أعداد موجودة في مفكرة جلدية صغيرة. ثم، أغلق المفكرة وتنهى وقال:

"نعم أيها المفتش، إنه من مقتنيات الموجودة هنا."

"متى رأيته آخر مرة؟"

"بالأمس بعد الظهر، كنا نصطاد في الحديقة ولدينا هدف، وكان هذا المسدس أحد الأسلحة النارية التي كنا نستخدمها."

"من الذي استخدم هذا المسدس في الصيد؟"

"أظن أن الجميع استخدمه مرة واحدة على الأقل."

"وأيضاً السيدة كريستو؟"

"نعم."

"وبعدما انتهيت من الصيد؟"

"وضعت المسدس في مكانه المعتاد. هنا."

فتح درجاً في مكتب كبير. كان نصفه ممتلئاً بالأسلحة النارية.

"لديك عدد كبير من الأسلحة النارية يا سير هنري."

"إنها هوايتي منذ سنوات."

استقرت عيناً المفتش جرانج على المحافظ السابق لجزر الهولوين وهو بأمله. كان رجلاً حسن المظهر، مشهوراً، من ذلك النوع من الرجال الذي يسمعه هو شخصياً أن يعمل معه، رجلاً وجده أفضل كثيراً من كبير الضباط الذي يعمل معه الآن. لم يفكر المفتش جرانج كثيراً في كبير ضباطه ويلدشاير الطاغية المستبد، المتعلق الدليل. واسترجع عقله ذكريات من الماضي.

"وبالطبع لم تكن هناك ذخيرة في المسدس عندما وضعته في مكانه يا سير هنري؟"

"بالطبع لا."

"وأيضاً تضع ذخيرتك؟"

"هنا". أخرج السير هنري مفتاحاً من صندوق كان موضوعاً على المكتب وفتح أحد الأدراج السفلية له.

قال جرانج مفكراً: "الامر غاية في البساطة، لقد أريت السيدة كريستو أين تضع الذخيرة. لم يكن عليها سوى أن تأتي إلى المكتب وتأخذ ما تريد. قال في نفسه: "الغيرة تعبت بمقول النساء. أغلب الظن أن الفيرة هي الدافع وراء هذه الجريمة. سوف تتضح الأمور أكثر عندما تنتهي من الروتين المعتاد هنا وتذهب إلى نهاية شارع هارلي. ولكننا يجب أن نسير بالنظام المناسب."

نهض من مكانه وقال:

"حسناً، شكراً لك يا سير هنري. سوف أطلعك على موعد التحقيق."

هجيردا من النوع الذي لديه أخوات بالطبع؛ ثلاثة أو أربعة على ما أتصور. أغلب الظن يعيشون في تانبريدج ويلز."

قالت ميدج: "كم تقولين أشياء غريبة يا لوسي".

"حسنًا يا عزيزتي، تعلمهم يعيشون في توركووي إن كنت تفضلين، ولكن لا، لا يعيشون في توركووي. لن يقلوا عن خمسة وستين عامًا إذا كانوا يعيشون في توركووي. تعلمهم يعيشون في إيستبورن أو سانت ليونارد."

نظرت الليدي أنجيكا كل إلى آخر ملعقة من كاستارد الكراميل، وبدت وكأنها يماسيها، ثم وضعتها في مكانها برفق دون أن تتناولها.

أما ديفيد، الذي لم يحب سوى الحلوى، فنظر بتجهم إلى طبقه الفارغ.

نهضت الليدي أنجيكا كل.

قالت: "أظن أن الجميع يريد أن يذهب للنوم مبكرًا الليلة. لقد حدثت أمور كثيرة. أليس كذلك؟ لم يخطر ببالنا من قراءة الصحف كم تكون مثل هذه الأمور ممتعة. أشعر كأنني سرت حوالي خمسة عشر ميلًا، رغم أنني لم أفعل أي شيء سوى الجلوس طوال اليوم. ولكن هذا متعب أيضًا، لأنني لم أرغب في قراءة كتاب أو صحيفة. فهذا التصرف يبدو فظًا عديم الرحمة. رغم أنني أرى أنه لا بأس من قراءة المقالة الافتتاحية لصحيفة أوبزيرفر. وليس نيوز أوف ذا وورلد. ألا يوافقني الرأي يا ديفيد؟ أحب أن أعرف رأي الشباب، فهذا يثبتني على اتصال مع العالم."

قال ديفيد بصوت أجش إنه لم يقرأ أبدًا صحيفة نيوز أوف ذا وورلد.

قالت الليدي أنجيكا كل: "دائمًا ما أقرأها. نتظاهر بأننا نحصل عليها من الحمد، ولكن جادجون متفهم للغاية ولا يأخذها أبدًا سوى بعد تناول الشاي. إنها صحيفة مثيرة للغاية. نتحدث عن النساء اللاتي يضعن رؤوسهن في أفران تعمل بالغاز. عدد مهول منهن!"

سال إدوارد أنجيكا كل وعلى شفثيه ابتسامة خفيفة: "ماذا سيفعلون في منازل المستقبل التي تعمل كلها بالكهرباء؟"

"أظن أنهم يجب أن يختاروا طريقة أفضل للانتحار؛ فهذا منطقي أكثر."

## الثالث عشر

تناولوا البط البارد على العشاء. وبعد العشاء تناولوا كاستارد الكراميل الذي قالت الليدي أنجيكا كل إنه يعكس المشاعر الحقيقية للسيدة ميدواي.

قالت إن الطهي يعطيك فكرة قوية عن رقة المشاعر.

"فنحن مفرمون بكاستارد الكراميل كما تعرف. ومن الفطاعة بعد وفاة صديق لنا، أن تتناول البودينج المفضل لنا؛ ولكن كاستارد الكراميل سهل للغاية. زلق جدًا إذا فهِمتم ما أعنيه، ثم نتركه القليل منه في الطبق."

تهتدت وقالت إنها تأمل أن يكونوا قد أصابوا عندما سمحوا لجيردا بالعودة إلى لندن.

"ولكن ذهاب هنري معها كان فكرة صائبة تمامًا."

فقد أصبر السير هنري أن ينقل جيردا إلى شارع هاري.

تابعت الليدي أنجيكا كل كلامها، وهي مستغرقة في التفكير وتتناول كاستارد الكراميل، "ولكنها سوف تعود إلى هنا من أجل استكمال التحقيق بالطبع. ولكن من الطبيعي أن ترغب في نقل الخبر لطفليها؛ فقد يقرأن الخير في الصحف. وليس معها سوى امرأة فرنسية، لا نعرف رد فعلها عندما تقرأ عناوين الصحف. فقد تصاب بانهايار عصبي. ولكن هنري سوف يتعامل معها، وأظن أن جيردا سوف تحسن التصرف. من الممكن أن ترسل في طلب بعض الأقارب؛ ربما أخواتها.

قال ديفيد: "أخافك الرأي يا سيدي، فيما يتعلق بأن المنازل في المستقبل ستعمل كلها بالكهرباء. قد يكون هناك مصدر تسخين مشترك يستمد طاقته من مصدر مركزي. فكل منزل في الطبقة العاملة يجب أن يدخر طاقته قدر المستطاع".

قال إدوارد أنجيكاثل بسرعة إنه يخشى ألا تكون لديه معرفة جيدة بهذا الموضوع. فارتفعت شدة ديفيد للأعلى ازدياداً.

أدخل جادجون القهوة على العجلة، وتحرك ببطء أكبر من المعتاد لكي يتحرك بإيقاع مناسب مع الصباح.

قالت الليدي أنجيكاثل: "أوه، جادجون، بشأن البيض، كنت أريد أن أكتب التاريخ بالقلم الرصاص عليه كالمعتاد، هلا تطلب من السيدة ميدواي أن تتولى هذه المهمة؟".

"أظن أنك ستجدين كل شيء يا سيدتي يسير على نحو مرضٍ تماماً". ثم تنحنح وقال: "لقد أشرقت على كل شيء بنفسي".

"أوه، شكراً لك يا جادجون".

بمجرد أن خرج جادجون من الغرفة تمتعت تقول: "حقيقة جادجون رائع. جميع الخدم يتصرفون بشكل ممتاز. كما أنني أعاطف معهم لوجود الشرطة هنا قطعاً الأمر مخيف بالنسبة لهم. بالمناسبة، هل تبقى أحد منهم؟".

سألتها ميدج: "أتعنين من رجال الشرطة؟".

"نعم، ألا يتركون في العادة ضابطاً في الردهة؟ أو لعله يراقب الباب الأمامي من الشجيرات الموجودة في الخارج".

"ولماذا عليه مراقبة الباب الأمامي؟".

"لا أعرف يقيناً. إنهم يفعلون ذلك في الكتب، ثم يقتل شخص آخر في الليل".

قالت ميدج: "أوه، لوسي، لا".

نظرت إليها الليدي أنجيكاثل باستغراب.

"عزيزتي، أنا أسفة للغاية، هذا غباء مني. وبالطبع لا يمكن أن يقتل شخص آخر. لقد ذهبت جيردا بمنزلها - أعني - أوه، هنريتا يا عزيزتي، أنا أسفة. لم أقصد أن أقول ذلك".

ولكن هنريتا لم تجبها. كانت تقف بجوار الطاولة المستديرة تحديق في الساعات التي أحرزتها الليلة الماضية في لعبة الـ بريدج.

قالت، بعدما ثبتت لنفسها: "أسفة يا لوسي، ماذا كنت تقولين؟".

"كنت أنساهل عما إذا كان هناك رجال شرطة في المنزل".

"كانهم فضلات تبت من أوكازيون؟ لا أظن ذلك. لقد عادوا جميعاً لقسم الشرطة، لكتابة أقوالنا بلغة مناسبة".

"إلام تنظرين يا هنريتا؟".

"لا شيء".

تحركت هنريتا في اتجاه المدفأة.

سألت: "ما الذي ستفعله فيرونكا كراي هذه الليلة؟".

بدت نظرة فزع على وجه الليدي أنجيكاثل.

"عزيزتي! هل تعتقدين أنها ستأتي هنا مجدداً؟ قطعاً سمعت بالخبر".

قالت هنريتا وهي شارقة في التفكير: "نعم، أظنها سمعت".

قالت الليدي أنجيكاثل: "لقد ذكرني ذلك أنني يجب أن أتصل بأل كراي. لا يمكننا أن ندعهم يأتون لتناول الغداء معنا غداً وكان شيئاً لم يحدث".

غادرت الغرفة.

تمتم ديفيد الذي كان يكره أقاربه، يقول إنه يريد أن يبحث عن شيء ما في موسوعة بريتانكا. قال في نفسه إن المكتبة ستكون مكاناً هادئاً.

اتجهت هنريتا إلى النوافذ الفرنسية، وفتحتها، وخرجت من إحداها. وبعد لحظة من التردد، تبعها إدوارد.

وجدتها واقفة في الخارج تنظر لأعلى ناحية السماء. قالت:

"لم تكن ليلة الباردة دافئة كثيراً، أليس كذلك؟".



ضائعة، ولوسي تستمتع بـ نيوز أوف ذا وورد التي خرجت من الصحيفة نصبح حقيقة! ألا ترى كيف يبدو الأمر كابوساً رائعاً؟

لم يقل إدوارد أي شيء. فقط تراجع خطوة للخلف، في الظلال.

نظرت إليه هنريتا وقالت له:

"الليلة، لا يبدو أي شيء حقيقياً بالنسبة لي، ليس هناك شخص حقيقي سوى جون".

قال إدوارد بهدوء: "أنا أعرف... أنا لست حقيقياً للغاية".

"كم أنا متوحشة يا إدوارد. ولكن ليس بيدي. ليس بإمكانني أن أمنع نفسي من الحزن أن جون... الذي كان دائماً بالحياة - أصبح ميتاً".

"وأنا شبه الميت، ما زلت على قيد الحياة".

"لم أعن ذلك يا إدوارد".

"أظنك تعنين ذلك يا هنريتا. أظنك قد تكونين محقة".

قالت وهي شارقة في التفكير بعدما مدت لفكرة سابقة:

"ولكن هذا ليس حزناً، ربما لا يمكنني أن أشعر بالحزن. عليّ أن أشعر به أبداً. ورغم ذلك، أريد أن أحزن على جون".

بدت الكلمات رائعة بالنسبة له؛ ولكنه اندفع أكثر عندما أضافت على نحو مفاجئ، بصوت عملي للغاية:

"يجب أن أذهب إلى حمام المسباح".

وانسلت على الفور بين الأشجار.

دخل إدوارد وهي متيسر عبر الباب المفتوح.

نظرت ميدج لأعلى عندما دخل إدوارد عبر الباب يبدو كأنه لا يرى أي شيء.

كان وجهه مكفهراً، ومنزعجاً، بدا شاحباً لا دم فيه.

لم يسمع الشهقة البسيطة التي كتمتها ميدج على الفور.

سار بشكل ميكانيكي ناحية كرسي وجلس عليه، ولوعيه بشيء متوقع منه

قال:

"الجو بارد".

"هل تشعر بالبرودة يا إدوارد؟ هلا تشعل - هلا أشعل المدفأة؟".

"ماذا؟".

أخذت ميدج علبة كبريت من المستودع. وجث على ركبتيها وأشعلت עוד كبريت. ثم نظرت بحذر إلى إدوارد. وجدته شارده العقل عن كل شيء.

قالت: "النار لطيفة، تدفئ المرأة".

قالت: "كم يبدو بارداً. ولكن من المستحيل أن يكون الجو في الخارج بهذه البرودة! إنها هنريتا! ماذا قالت له؟".

"أقترب بكروسيك يا إدوارد. اقترب من المدفأة".

"ماذا؟".

"أوه، لا شيء. اقترب من النار".

كانت تتحدث إليه الآن بصوت عال وببطء. وكأنها تتحدث لشخص أصم.

وعلى نحو مفاجئ، مفاجئ للغاية عاد إدوارد - إدوارد الحقيقي، لنفسه مرة أخرى. لمرجة جعلت قلبها يخفق لمرويته. ابتسم إليها برفق وقال:

"هل كنت تحدثيني يا ميدج؟ أنا آسف، أخشى أنني كنت أفكر: أفكر في شيء ما".

"أوه، لا شيء. فقط اقترب من المدفأة".

كانت الأخشاب تطلق النار وكانت بعض مخاريط التنوب تحترق محدثة لهباً منيراً نظيفاً. نظر إليه إدوارد وقال:

"إنها نار لطيفة".

مد يده الطويلة الهزيلة إلى اللهب، بعدما تخلص من التوتر.

قالت ميدج: "كانت لدينا مخاريط التنوب في إينزويك دوماً".

"ما زلت أفعل، أحضر سلة منها كل يوم وأضعها بالقرب من المدفأة".

إدوارد في إينزويك. أغضمت ميدج عينها، وتخيلته. وجدته يجلس في المكتبة، في الجانب الغربي من المنزل. كانت هناك شجرة ماجتوليا تغطي



النافذة تقريبًا، كانت تملأ الغرفة بأضعة خضراء ذهبية في وقت الظهيرة. كنت تنظر من النافذة الأخرى على المروج فتجد شجرة ويلينجتوليا والقهة وكادها حارس، وعلى اليمين تقف شجرة زان كبيرة.

أوه، إينزويك، إينزويك.

استطاعت أن تشم الهواء الرطب الذي ينبعث من الماجنوليا التي كانت لا تزال تضم بعض الأزهار الشمعية حلوة الرائحة في سبتمبر، ومخاريط الصنوبر هي النار، ورائحة عتيقة بعض الشيء من الكتب التي كان إدوارد يقرأها بالطبع كان يجلس على كرسي ذي ظهر خشبي، ولعل عينيه تنتقلان بين الحين والآخر من الكتاب إلى النار، ويفكر للحظة في هنريتا.

تحركت ميدج وسألته:

"أين هنريتا؟"

"ذهبت إلى حمام السباحة."

حدقت ميدج وسألته: "لماذا؟"

أدار صوتها - الحاد والعميق - إدوارد قليلاً.

"عزيزتي ميدج، بالطبع تعرفين، أوه، حسنًا، خمنت السبب. إنها تعرف كريستو معرفة جيدة."

"أوه، بالطبع أعرف ذلك. ولكنني لا أرى سببًا يجعلها تشرود إلى المكان الذي أطلق فيه النار عليه. هذا التصرف بعيد كل البعد عن هنريتا، إنها ليست عاطفية إلى هذا الحد."

"هل يعرف أحدنا كيف يبدو الآخر؟ هنريتا على سبيل المثال."

عيسيت ميدج وقالت:

"على الأقل يا إدوارد، أنا وأنت نعرف هنريتا منذ الطفولة."

"لقد تغيرت."

"ليس بالضبط. لا أظن أن المرء يتغير."

"لقد تغيرت هنريتا."

نظرت إليه ميدج بتساؤل:

"أكثر مما تغيرنا، أعني أنا وأنت؟"

"أوه، أنا لم أتغير، أعرف ذلك جيدًا. وأنت -"

ينظر إليها بعينيه التي ركزهما فجأة حيث كانت جاثية بجوار المدفأة، كان يبدو كأنه ينظر إليها من طريق بعيد، وبعدما ألقي نظرة على ذقنها المربع، وحسبها السوداوين، وفهما المحدد قال لها:

"أتمنى لو رأيتك أكثر يا ميدج يا عزيزتي."

انسمت له وقالت:

"أعرف، ليس من السهل هذه الأيام أن تبقي على اتصال بأي شخص."

سمع صوتًا في الخارج، فنهض إدوارد من مكانه.

قال: "كانت لوسي محقة. كان يومًا مرهقًا، أول مرة نشهد فيها جريمة قتل. - أوه، أذهب إلى السرير. تصبحين على خير."

كان قد غادر الغرفة عندما دخلت هنريتا من الباب.

التفتت ميدج إليها وقالت لها بحدة.

"ماذا فعلت لإدوارد؟"

"إدوارد؟" بدت هنريتا غامضة، عابسة. بدت وكأنها تذكر في شيء بعيد عنها.

"نعم إدوارد. كان يبدو في حالة مزرية: بارد للغاية ومكتمر."

"إذا كنت مهتمة بإدوارد لهذه الدرجة يا ميدج، فلماذا لا تضعين شيئًا من أحله؟"

"أفعل شيئًا؟ ماذا تمنين؟"

"لست أدري، فقي على كرسي واصرخي! اجذبي انتباهه إليك. ألا تعرفين أن هذا هو الأمل الوحيد مع رجل مثل إدوارد؟"

"إدوارد لن يهتم بأي شخص غيرك يا هنريتا. لم يفعل ذلك أبدًا."

ألقت نظرة سريعة على وجه ميدج الأبيض وقالت لها: "هذا ضياء شديد منه، لم أجرحك. أنا أسفة؛ ولكنني أكره إدوارد الليلة."

"تكرهينه؟ لا يمكنك ذلك."

"أوه، بلى، يمكنني! أنت لا تعرفين -"  
"ماذا؟"

قالت هنريتا ببساطة:

"إنه يذكرني بكثير من الأشياء التي أريد أن أنساها."  
"أي أشياء؟"

"حسنًا، إينزويك، على سبيل المثال؟"

"إينزويك؟ تريد أن تنسي إينزويك؟"

بدأت تبرة ميدج متشككة.

"نعم، نعم، نعم، لكنك سميدة هناك؛ ولكنني لا أطيق الآن، أن أتذكر السعادة

ألا تفهمين؟ وقت لم تكن نعرف ما الذي سيحدث. عندما كنا نقول بثقة إن كل شيء سيسير بشكل جميل! بعض الأشخاص حكماء، لم يتوقعوا السعادة أبدًا. ولكنني فعلت."

قالت على الفور:

"لن أعود أبدًا إلى إينزويك."

قالت ميدج بتروء:

"أشك."

## الرابع عشر

استيقظت ميدج على نحو مفاجئ صباح يوم الاثنين.

مثلت مستقيمة للحظة مرتبكة، وعيناها تنظران بحيرة ناحية الباب، فقد كانت تتوقع قدوم لوسي أنجيكا تلت إليها. ما الذي قالته لوسي لها عندما جاءتها في الصباح الأول من حضورها؟

عطلة أسبوعية صعبة؟ كانت قلقة؛ كانت تشعر بأن هناك أمرًا مزعجًا قد يحدث.

نعم، حدث أمر مزعج: شيء كان يطبق الآن على قلب وروح ميدج كأنها سحابة سوداء ثقيلة. شيء لم ترد أن تفكر فيه؛ لم ترد أن تتذكره. شيء أخافها بالطبع. شيء مرتبط بل بإدوارد.

قالت ميدج: "أوه، لا، لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا. هذا حلم راووندي. جون فريستو قتل، ضرب بالنار، ملقى هناك على حمام السباحة. الدم والماء الأزرق، وأنه غلاف داخلي لرواية بوليسية. خيال، ليس حقيقة. إنه من ذلك النوع من الأشياء التي لا تحدث للمرء. أتمنى لو كنا في إينزويك الآن. لا يمكن أن يحدث أمر كهذا في إينزويك."

انتقل الثقل الأسود من رأسها، واستقر في معدتها، فأصبحت تشعر بأنها مريضة بعض الشيء.

قال إدوارد يتحدث على نحو مُرض مع ديفيد الساخط الذي لا يستجيب  
م.

"سبب أن تأتي إلى اينزويك أكثر من ذلك يا ديفيد. أريدك أن تشعر بألك  
من ممرلك وتعرف كل شيء عن المكان".

أعد ديفيد لنفسه مرمى فأكهة، ثم قال له ببرود:

"هذه المنازل الكبيرة مضحكة للغاية. يجب تقسيمها".

قال إدوارد وعلى شفثيه ابتسامة: "أتمنى ألا يحدث ذلك ما حييت.  
أمتناجرون راضون به على هذه الحال".

قال ديفيد: "لا يجب أن يكونوا كذلك. لا يجب أن يرضى أحد بهذه الحال".

أتممت الليدي أنجيكا كل حيث كانت واقفة بجوار منضدة الطعام تنظر إلى  
طريق الماصوليا: "لو رُضيت القردة بذبولها - إنها قصيدة تعلمتها في الحضانة!

والتي لا أذكر تكملتها. يجب أن أتحدث معك يا ديفيد، وألم بكل الأفكار الجديدة.  
ما من حد ما أرى. يجب أن يكره المرء الجميع، ولكن في الوقت نفسه يجب أن

لهم اهتماماً طيباً مجانباً، والكثير من التعليم الإضافي (مساكين، كل هؤلاء  
لا يسأل الصغار الذين يجتمعون في المدارس كل يوم)، وضرورة إعطاء الأطفال

ارصع زيت كبد الحوت سواء كان يعجبهم أم لا، تلك المادة كريهة الرائحة".  
قالت ميدج في نفسها إن لوسي تتصرف كعادتها.

وعندما مرت على جادجون في الدرحة، بدا هو الآخر كعادته تماماً. بدت  
الحياة في منزل هولوكا أنها استعادت روتينها المعتاد. مع مفارقة جيردا، بدا

الامر كله وكأنه حلم.  
ثم سمع صوت احتكاك عجلات عربية بحصى الطريق الخارجي، خرج بعدها

السبر هنري من سيارته. كان قد قضى ليلته في نأديه، وبدأ رحلة العودة في وقت  
مبكر من الصباح.

قالت لوسي: "حسناً يا عزيزي، هل كل شيء على ما يرام؟"

"نعم. كانت السكرتيرة هناك: فتاة كفف حقاً. تولت مسئولية الأمور. يبدو أن  
لديها أختاً. أرسلت السكرتيرة برقية لها".

لم يكن حليماً، وإنما حقيقة: خبر من أخبار صحيفة نيوز أوف ذا وورلد تحفل  
وهي وإدوارد ولوسي وهنريتا جميعهم منغمسون فيه.

هذا ليس من العدل، بالطبع ليس من العدل، نظراً لأنه لا علاقة له بهم  
كانت جيردا هي التي أطلقت النار على زوجها.

تلمعت ميدج في جلستها.

جيردا، المهادنة، الغبية، المثيرة للشفقة: لا يمكن ربط جيردا بحادث  
ميلودراما عنيف.

بالطبع لا يمكن أن تقتل جيردا أي إنسان.

شار يداخلها ذلك القلق والحيرة مجدداً. لا، لا، لا يجب أن تفكر على هذا  
النحو. ولكن من غيرها بإمكانه أن يقتل جون؟ وجيردا كانت واقفة بجوار الجبل

والمدس في يدها. المدس الذي أخذته من مكتب هنري.

قالت جيردا إنها وجدت جون مقتولاً، فأمسكت المدس. حسناً، ما الذي  
يمكنها أن تقولهُ أيضاً يجب أن تقول شيئاً، شيئاً هزياً.

من المناسب أن تدافع هنريتا عنها؛ أن تقول إن رواية جيردا محتملة  
الحدوث. ثم تفكر هنريتا في بدائل مستحيلة.

كانت هنريتا غريبة للغاية الليلة الماضية.

ولكن هذا بالطبع من تأثير صدمة موت جون كريستو.

مسكينة هنريتا، كانت تهتم بجون كثيراً.

ولكنها سوف تتعافى من هذه الصدمة مع الوقت، فالإنسان يتجاوز كل شيء.  
وبعد ذلك سوف تتزوج من إدوارد وتمشي في اينزويك، ويسعد إدوارد أخيراً.

لطالما كانت هنريتا تحب إدوارد كثيراً، وحدها شخصية جون كريستو  
العنادية المسيطرة هي التي اعترضت طريقهما. فأصبح إدوارد يبدو باهتاً للغاية

عند مقارنته به.

خطلت فكرة على بال ميدج عندما نزلت إلى الإفطار في صباح ذلك اليوم، بأن  
شخصية إدوارد، بعدما تحررت من تأثير جون كريستو، بدأت في تأكيد نفسها.

بدا أكثر ثقة في نفسه، وأقل تردداً، وانسحاباً.

فلت ميدج تشرح لها حقيقة الوضع وهي تصر على أسنانها. كم هو غريب  
فهم جعلت تلك المرأة على الطرف الآخر من المكالمة الأمر كله يبدو قضية  
بوليسية عادية، ما كيمياء مثل هؤلاء الناس؟

فتح إدوارد الباب ودخل الغرفة. وعندما رأى ميدج تجري اتصالاً هاتفياً  
أوثق على الخروج، فأوقفته ميدج وقالت له.

"ابق يا إدوارد. أرجوك. أريدك أن تبقى معي."

اعطاها تواجد إدوارد معها في الغرفة القوة التي تحتاج إليها لتقاوم سمها.

رفعت يدها التي كانت تضعها على السמاعة.

"ماذا؟ نعم. أنا أسفة يا سيدتي. ولكن في النهاية، الذنب ليس بذنبي -"

صرخ الصوت القبيح الأجش في غضب شديد:

"من أصدقائك؟ أي نوع من الناس هم لكي تتورط الشرطة معكم ويصبح  
لديكم قتيل؟ أفكر في الاستغناء عنك تماماً! ليس بإمكانني أن أجازف بسمعة  
محوري."

أعطتها ميدج بعض الردود المتصاعدة دون أن تلتزم بأي شيء. وأخيراً وضعت  
السماعة على الهاتف، ثم تهدت دليلاً على الراحة. شعرت بتعب ورجفة تعترتها.

قالت له: "إنه المكان الذي أعمل فيه. كان يجب أن أخبرهم بأنني لن أعود  
حتى يوم الخميس بسبب تحقيقات الشرطة."

"أتمنى أن يكونوا تعاملوا مع الأمر باحترام. ما شكل المتجر الذي تعملين  
فيه، متجر الملابس ذلك؟ هل المرأة التي تديره ممتعة ومتعاطفة؟"

"من الصعب أن أصفها بهذه الطريقة! إنها سيدة بغيضة تعيش في الطرف  
الشرقي من لندن. شعرها مصبوغ، وصوتها أجش وجليظ."

"ولكن يا ميدج يا عزيزتي -"

جعل وجه إدوارد الذي ظهر عليه الفرع ميدج تضحك. كان قلقاً للغاية.

"ولكن يا طفلي العزيزة، لا يمكنك أن تتحملي شيئاً كهذا. إذا كان يجب أن  
أكون لك عمل، فيجب أن تعلمي في مكان يوفر لك الانسجام والتفاهم مع كل من  
معلمين معهم."

قالت السيدة لوسي: "كنت أعرف أن لديها أخوات. في تاندرديدج ويلز؟"

قال السير هنري، والحيرة تبدو عليه: "أظنها بيكسهيل."

فكرت لوسي في بيكسهيل ثم قالت: "أوه، نعم، محتمل جداً."

اقترب جادجون.

"لقد اتصل المفتش جرانج يا سير هنري. سوف يبدأ التحقيق في السماعة  
الحادية عشرة من يوم الأربعاء."

أوما السير هنري برأسه، ثم قالت السيدة لوسي:

"ميدج، من الأفضل أن تتصلي بالمتجر الذي تعملين فيه."

اتجهت ميدج ببطء إلى الهاتف.

كانت حياتها تسير على نحو طبيعي ومعتاد على الدوام، فشعرت بأنه من  
الغريب أن تشرح لربة عملها أنه بعد إجازة استمرت أربعة أيام استحالة عودتها  
لعملها نظراً لوقوع جريمة قتل.

لم يبد ذلك معقولاً. بل إنه لا يبدو حتى قابلاً للتصديق.

والسيدة ألفريد ليست إنسانة سهلة من الممكن شرح الأمور لها في أي وقت  
اتخذت ميدج قرارها وأسكت السماعة.

سار الأمر كله على نحو مؤسف كما تخيلته بالضبط.

ققد سمعت صوت ربة عملها الأجش اللاذع عبر الأثير يصرخ فيها على نحو  
غاضب.

"ماذا تقولين يا أنسة هاردكاسل؟ وفاة؟ جنازة؟ ألا تعرفين تمام المعرفة  
أنني أعاني نقصاً في العاملين؟ هل تظنين أنني سوف أتحمّل هذه الأعذار؟ أوه،  
نعم، يبدو أنك تستمتعين بوقتك؟"

قاطعتها ميدج وتحدثت بحدة ووضوح.

"الشرطة؟ تقولين الشرطة؟" كانت تتحدث بصوت مرتفع إلى حد الصراخ  
"أنت مشتبكة مع الشرطة؟"

كان افتراض إدوارد أن عددًا كبيرًا من الاختيارات متاح لها أزعجها كثيرًا. هذا الصباح، كيف استطاع إدوارد أن يعيش في عالم بعيد كل البعد عن الواقع؟ هذه شبيبة آل أنجيكاقل، جميعهم بلا استثناء، أما هي فهي ليست أنجيكاقلية هالصة؟ وأحيانًا، مثل هذا الصباح، لم تكن تشعر بأنها أنجيكاقلية على الإطلاق! وأنها ابنة أبيها فقط.

فكرت في أبيها وهي تشعر بالحب والندم الممتد، رجل أشهب، في منتصف العمر، ذو وجه متعب، رجل كافح لسنوات في إدارة مشروع عائلي صغير أخذ منه كل جهده واهتمامه، ولكنه خسر كل شيء بشكل تدريجي. ليس لعدم قدرة من ماله، وإنما بسبب خطي التقدم.

ولكن من الغريب جدًا، أن تولي ميدج كل تفانيها لوالدها الهادئ المتعب، وألا تله لوالدها الأنجيكاقلية الذكية، وكانت في كل مرة، بعد عودتها من زيارتها إلى إينزويك، التي كانت متعة حياتها الجامحة، تجيب عن الأسئلة المستمرة الضعيفة التي كان والدها يطرحها عليها بوجهه المتعب، فكانت تطوقه بذراعيها وتقول له: "أنا سعيدة أفني عدت إلى المنزل، أنا سعيدة لأنني عدت إلى المنزل". توفيت والدتها عندما كانت ميدج في الثالثة عشرة من العمر، كانت ميدج سعيدة في بعض الأحيان أنها لم تعرف سوى القليل من والدتها، كانت غامضة، ساحرة، متهجة، هل ندمت على زواجها، ذلك الزواج الذي أخذها من دائرة عائلة انجيكاقل؟ لم تعرف ميدج أبدًا، فإزاد الشغل الرمادي في رأس والدها، وأصبح أكثر هدوءًا بعد وفاة زوجته، وأصبح كفاحه ضد انهيار مشروعه لا طائل منه أكثر من ذي قبل. ثم توفي في هدوء دون أن يلاحظ أحد ذلك عندما كانت ميدج في الثامنة عشرة من عمرها.

مكنت ميدج مع العديد من أقاربها الأنجيكاقليلين، وقبلت الهدايا منهم، وقضت أوقاتًا طيبة معهم، ولكنها رفضت أن تعتمد عليهم ماديًا، وعلى قدر ما يحبهم، كانت في بعض الأحيان - مثل هذا الوقت، تشعر فيه بابتعاد مفاجئ وعنيف عنهم.

قالت في نفسها بنبرة تحمل الضيق: "إنهم لا يعرفون أي شيء".

نظر إليها إدوارد - الحماس كعادته - بوجه حائر، ثم سألها بلين:

نظرت إليه ميدج للحظة دون أن تجيب.

فكرت في نفسها كيف تشرح لشخص مثل إدوارد الوضع؟ ما الذي يعرفه إدوارد عن سوق العمل، عن الوظائف؟

وفجأة استيقظ بداخلها إحساس بالمرارة. تومسي وهنري وإدوارد - وحس هنريتا - ابتعدوا عنها جميعًا بمسافة لا يمكن تخطيها: المسافة التي تفصل الأغنياء المرهقين عن العاملين.

ليست لديهم أدنى فكرة من صعوبات الحصول على وظيفة، وبمجرد أن تحصل عليها، فهناك صعوبة في الحفاظ عليها! لعل أحدهم قد يقول لها إنه ليست بها حاجة في الحقيقة لأن تعمل وتكسب قوتها. فلومسي وهنري سوف يوفران لها المنزل وهما سعيدان بذلك، كما أنهما سيسعدانها بتخصيص مبلغ من المال يكفيها السؤال، وبالنسبة لإدوارد، فهو على أتم استعداد لأن يزودها بالمال هو الآخر.

ولكن شيئًا بداخل ميدج جعلها تتمرد على قبول العروض السهلة التي يقدمها لها أقاربها ميسورو الحال. ولكن حضورها في حالات نادرة إلى الحياة المترفة والفرق في ترف حياة تومسي أمر مبهج، بإمكانها أن تستمتع بذلك، ولكن إحساسها باستقلالها الشخصي يمنعها من القبول بهذه الحياة كهدية الشعور نفسه معها من البدء في أي مشروع خاص بها تؤسسه بأموال تمتعها بها من أقاربها وأصدقائها. فلقد رأت الكثير من هذه المشروعات.

لن تقترض أي أموال، لن تستخدم نفوذها، لقد عثرت على وظيفة لنفسها بأربعة جنيهات في الأسبوع، وإذا كانت قد حصلت على الوظيفة لأن السيدة أفرنج كانت تأمل أن تحضر لها ميدج أصدقاء "متألقين" للشراء من متجرها، فقد حبط أملها، فميدج لم تشجع أبدًا أيًا من أصدقائها على المجيء للمتجر الذي تعمل فيه.

ليست لديها أية أوهام معينة عن العمل. لم تكن تحب المتجر، ولم تكن تحب السيدة أفرنج، لم تكن تحب الخضوع الأبدي لزيابنن سريعي الغضب وغير مهذبين، ولكنها شكت كثيرًا فيما إذا كان يمكنها أن تحصل على وظيفة أخرى تعجبها أكثر رغم عدم تمتعها بالمؤهلات الضرورية.

"هل أزعجتك؟ لماذا؟"

دخلت لوسي الغرفة. كانت في وسط أحد أحاديثها.

"- رأيتك المرة لا يعرف حقاً ما إذا كانت تفضل وايت هارت علينا أم لا؟"

نظرت إليها ميدج بوجه خال من أي تعبير، ثم نظرت إلى إدوارد.

قالت الليدي أنجيكا تال: "لا طائل من النظر إلى إدوارد. فإدوارد ببساطة لا يعرف، ولكنك يا ميدج عملية للغاية دوماً."

"أنا لا أعرف عما تحدثين يا لوسي."

بدت لوسي مندهشة.

"التحقيق، يا عزيزتي. يجب أن تأتي جيردا لمتابعة التحقيق. هل ستبلي هنا؟ أم ستذهب إلى الوايت هارت؟ الصحة هنا مؤلمة، بالطبع. ولكن في الوايت هارت ستجد أشخاصاً يحدّون فيها والعديد من الصحفيين. يوم الأربعاء كما تعرفين، في الحادية عشرة، أم أنها الحادية عشرة والنصف؟". أضاءت ابتسامة وجه الليدي أنجيكا تال. "لم أذهب إلى أي تحقيق من قبل؛ أرى شعري الأشهب، وطبعاً سأرتدي قبعة، مثلما أذهب لدار العبادة، ولكنني لن أرتدي قفازات".

تابعت الليدي أنجيكا تال كلامها وهي تعبر الغرفة وتلقط سماعة الهاتف وتحقق فيها بشغف: "أعرفين؟ لا أعتقد أن لدي أي قفازات سوى قفازات الحديدية؛ وبالطبع العديد من قفازات المساء الطويلة القديمة التي كنت أرتديها في شبابي. القفازات غبية نوعاً ما، ألا تعتقدين ذلك؟".

قال إدوارد مبتسماً: "الفائدة الوحيدة منها هي إخفاء بصمات الأصابع في الجرائم".

"الآن، من المثير للغاية أن تقول ذلك يا إدوارد. مثير للغاية. ماذا سأفعل بهذا الشيء؟". نظرت الليدي أنجيكا تال إلى سماعة الهاتف بنفور خافت.

"أكنت ستصلين بشخص ما؟"

قالت الليدي أنجيكا تال وهي تهز رأسها على نحو غامض: "لا أظن ذلك". ثم وضعت السماعة مكانها بحذر شديد.

نظرت إلى إدوارد ثم إلى ميدج.

"لا أظن يا إدوارد أنه ينبغي عليك أن تضايق ميدج. فميدج تحزن من الموت المصنّج أكثر منا".

صاح إدوارد قائلًا: "عزيزتي لوسي. كنت قلقاً فقط بشأن المكان الذي تعمل ميدج فيه. الأمر كله يبدو غير مناسب في نظري".

قالت ميدج بطريقة جافة: "إدوارد يرى أنني يجب أن أحظى برب عمل مبهج منماطف يقدرني".

قالت لوسي بتقدير كامل: "عزيزي إدوارد".

ابتسمت إلى ميدج ثم خرجت مرة أخرى.

قال إدوارد: "حقاً يا ميدج، أنا قلق عليك".

قاطعته قائلة:

"السيدة اللعينة تعطيني أربعة جنيهات في الأسبوع. هذا هو المهم".

مرت إلى جواره وخرجت إلى الحديقة.

كان السير هنري جالساً في مكانه المعتاد على الحائط المنخفض، ولكن ميدج ابتعدت عنه وسارت باتجاه ممر الزهور.

لديها أقارب ساحرون، ولكنها لم تكن راغبة في هذا السحر هذا الصباح.

وجدت ديفيد أنجيكا تال جالساً على مقعد أعلى الطريق.

لم يكن ديفيد يتمتع بسحر شديد. اتجهت ميدج نحوه مباشرة وجلست إلى جواره، بعد أن لاحظت بتلكذ شرير نظرة رفض في عينيه.

قال إدوارد في نفسه إنه من الصعب للغاية الابتعاد عن الناس.

لقد أخرج من غرفة نومه من قبل الخدم الذين غزوها بسرعة، حاملين معهم الكناس والممسحات.

والمكتبة (وموسوعة بريتانكا) لم تكن الملاذ الذي كان يتمناه. فقد دخلتها الليدي أنجيكا تال وخرجت مرتين وحديثه يعطف مرتين بملاحظات بدا كأنه ليس هناك رد ذكي عليها.

تنهد ديفيد.

"نعم، كان من الممكن أن أمكث لدى صديق في لندن". ثم أردف يقول: "لديه كتب عن الحزب اليساري".

قالت ميدج: "أظن أن التواجد هنا مريح أكثر؟".

سألها ديفيد بازدهاء: "هل يهتم المرء حقاً براحته؟".

قالت ميدج: "هناك أوقات أشعر فيها بأنني لا أهتم بأي شيء آخر".

قال ديفيد: "التوجه المدلل تجاه الحياة، إذا كنت عاملة -".

قاطعتها ميدج قائلة:

"أنا عاملة. لهذا السبب فقط أجد الراحة أمراً جذاباً. سرير مرتب، وسائل مريحة، تناول الشاي في الصباح الباكر وتستيقظ لتجده إلى جوارك، أخت حمام بماء ساخن في حوض الاستحمام المصنوع من البورسلين، نوع الحياة السهلة التي أنت غارق فيها..."

صمتت ميدج وغرقت في التفكير.

قال ديفيد: "العاملون يجب أن يحظوا بكل هذه الأشياء".

ولكنه تشكك قليلاً في مسألة تناول الشاي في الصباح الباكر، الأمر الذي بدا نرفاً غير ممكن في عالم مرتب بجذ.

قالت ميدج من كل قلبها: "أوافقك الرأي تماماً".

خرج إلى هنا ليتأمل وضعه. العطلة الأسبوعية البسيطة التي حضرها وهو غير مستعد، لذلك أطلت ظروف طارئة متعلقة بموت مفاجئ وعنيف.

ديفيد الذي يفضل تأمل الماضي الأكاديمي أو مناقشة جادة حول مستقبل الحزب اليساري، ليس لديه أدنى استعداد للتعامل مع حاضر عنيف وواهي. وكما قال للسيدة أنجيكا تلت. ثم يقرأ نيوز أوف ذا وورلد ولا مرة. ولكن يبدو الآن أن الأخبار التي تعرضها نيوز أوف ذا وورلد وصلت إلى منزل هولو.

قتل! ارتجف ديفيد بطريقة تعكس النفور. ما الذي سيقوله أصدقاؤه؟ كيف يمكن للمرء أن يتقبل فكرة وقوع جريمة قتل؟ كيف سيكون توجيههم؟ ملل؟ استياء؟ تسليية بسيطة؟

حاول أن يخمد هذه الأفكار في عقله، لم يكن سعيداً أبداً بمقاطعة ميدج له. نظر إليها بتململ وهي تجلس بجواره.

اندھش قليلاً من النظرة الجريئة التي بادلتها بإياها. فتاة لا تلقى قبوله ولا تتمتع بأية قيمة فكرية.

قالت له: "كيف تجد أقاربك؟".

هز ديفيد كتفيه وقال:

"هل يفكر المرء حقاً في أقاربه؟".

قالت ميدج:

"هل يفكر المرء حقاً في أي شيء".

قال ديفيد في نفسه، إنها لا تفكر في أي شيء بالطبع. قال بسماحة:

"كنت أحلل ردود أفعالي تجاه جريمة القتل".

قالت ميدج: "من الغريب بالطبع أن تكون طرفاً في واحدة منها".

تنهد ديفيد وقال:

"مشكلة" - كان أفضل وصف للأمر. "كل الأوصاف التي يفكر فيها المرء لا تتواجد سوى في صفحات الروايات البوليسية".

قالت ميدج: "قطعاً أنت أسف على حضورك".

بوقف لكي يتفحص ذرات قليلة من التراب عن طية معطفه، ولكي يرتدي معطفاً  
محبباً خفيفاً، ثم عبر الممر، واتجه بسرعة إلى الطريق المؤدي للغابات. كان  
مهم السباحة مهماً، بعدما أنهى رجال الشرطة عملهم وذهبوا. بدا بريئاً، وأمناً  
في ضوء الخريف الضبابي.

التي بوارو نظرة سريعة على الجناح الملحق بحمام السباحة. فلا حظ أن فرو  
الحبب المضي تمت إزالته. ولكن عبوات الكبريت الست كانت لا تزال على الطاولة  
المجاورة للأريكة. فتساءل أكثر من قبل عن هذه العبوات.

"إنه ليس مكاناً للاحتفاظ بالكبريت: في مثل هذا المكان الرطب، لعلمهم  
...وكون عبوة واحدة، ولكن ليس ست عبوات."

نظر لأسفل على الطاولة الحديدية المطلية. لم يرَ عليها صينية الكؤوس.  
ممد خربش شخص ما يقلم رصاص على الطاولة، ورسم تصوراً تقريبياً لشجرة  
مروعة. الممت هيركيول بوارو. وأزعجت عقله المرتب.

عض على لسانه، وهز رأسه، وأسرع ناحية المنزل، وهو يتساءل في نفسه عن  
سبب هذا الاستدعاء العاجل.

كانت الليدي أنجيكا تلتنظره أمام الباب، فأدخلته إلى غرفة المعيشة.

"حضورك لطف كبير منك يا سيد بوارو."

صاحته بدفع.

"أنا في خدمتك يا سيدتي."

اشاحت الليدي أنجيكا تل بيدها بطريقة معبرة. وفتحت عينيها الجميلتين  
الواسعتين.

"الأمر كله صعب للغاية. المفتش يجري تحقيقاته، لا - يطرح أسئلة -  
ياحد أقوالك. ما العبارة التي يستخدمونها؟ - جادجون، حياتنا بالكامل تتوقف  
على جادجون، أنا شخصياً متعاطفة معه للغاية. لأنه من الطبيعي أن يكون من  
المرعب قيام رجال الشرطة باستجوابه - حتى المفتش جرانج، الذي أشعر فعلاً  
بأنه لطيف ربما لديه أسرة؛ أظن لديه صبية، وأنه يساعدهم في لعبة الميكانو  
في المساء، ولديه زوجة تحافظ على نظافة منزلها المزدحم بعض الشيء..."

## الخامس عشر

كان هيركيول بوارو يستمتع بكوب من الشيكولاتة في منتصف اليوم، عندما رن  
جرس الهاتف. فنهض من مكانه، ورفع السماعة.

"أوه؟"

"السيد بوارو؟"

"الليدي أنجيكا تل؟"

"كم لطيف منك أن تعرف صوتي! هل أزعجتك؟"

"أبداً. فهذا لا يمثل أي شيء مقارنة بالأحداث المؤسفة التي حدثت  
بالأمس؟"

"صحيح. مؤسفة كما تقول، ولكنني أشعر بأنني بعيدة كل البعد عن الأمر.  
لقد اتصلت بك لأعرف ما إذا كان بإمكانك أن تأتينا، أعرف أن الأمر متعب  
ولكنني حقاً في مشكلة كبيرة."

"بالطبع يا ليدي أنجيكا تل. هل تريدني الآن؟"

"حسناً، نعم، أريدك الآن. بأقصى سرعة. سيكون ذلك لطفاً بالغا منك."

"حسناً، سوف آتي من الغابات إذن؟"

"أوه بالطبع، فهي أقصر الطرق. شكراً جزيلاً لك يا سيد بوارو."



لجرانج: "ربما كان هناك الكثير من التنظيف، أو لعلها اشترت طاولة قديمة الطراز، مما جعل المفتش الطيب لا يجد مكاناً يتحرك فيه".

ويطريقة غاضبة طرد هذه الأفكار من رأسه. فمَنَزَل المفتش جرانج التنظيف ولكن المزدحم، وزوجته وأولاده وادماتهم لعبة الميكانو كلها من ابتكار عقلي لليدي أنجيكاثل المشغول.

ولكن الحيوية التي اقترضت بها واقعاً ملموساً أشار اهتمامه. كان إنجازاً كبيراً.

قال جرانج: "اجلس يا سيد بوارو. هناك شيء أريد أن أسألك عنه، لقد أنهيت عملي تقريباً هنا".

عاد بانتباهه من جديد إلى جادجون، عاد بوقار وهو يميل للاعتراض إلى ممدود ونظر بوجه لا يعبر عن أي شيء إلى محاوره.

"وهذا كل ما تذكره؟"

"نعم يا سيدي. كان كل شيء كعادته تماماً. لم تكن هناك أي ضغائن من أي نوع".

"كان هناك فروغ ثعلب، في الجناح الصيفي المجاور لحمام السباحة. من صاحبة هذا الفراء؟"

"هل تعني يا سيدي فراء الثعلب الرمادي؟ لقد رأيته البارحة عندما أخرجت الكئوس من الجناح. ولكنه ليس ملكاً لأي واحدة من سكان هذا المنزل يا سيدي".

"لن هو إذن؟"

"لعله خاص بالأنسة كراي يا سيدي، الأنسة فيرونیکا كراي، ممثلة السينما. كانت ترتدي شيئاً كهذا".

"متى؟"

"عندما كانت هنا الليلة قبل الماضية يا سيدي".

"لم تذكر أنها كانت من بين الضيوف؟"

"لم تكن ضيفة يا سيدي. فالأنسة كراي تعيش في دوفيكوتس، الكوخ الموجود أعلى الممر، وقد جاءت بعد الغشاء. عندما نفذ الكبريت لديها لتقترض منا بعضاً منه".

رمض هيركيول بوارو بعينه والليدي أنجيكاثل تنمي صورتها الخيالية عن منزل المفتش جرانج.

تابعت الليدي أنجيكاثل كلامها قائلة: "بالمناسبة شاربه متحن لأسفل. أظن أن المنزل النظيف أكثر من اللازم قد يكون محبطاً في بعض الأحيان - مثل أوجه المعمرات شديدة النظافة من كثرة الفسيل بالصابون، مشرقه تماماً ولكننا في الريف أكثر تخلصاً، فقد أصبحت الممرضات في مستشفيات لندن يضمن مستحضرات التجميل وأحمر الشفاه. ولكنني كنت أقول يا سيد بوارو إنك يجب أن تأتي لتناول الغداء معنا بطريقة لائقة بعدما ينتهي هذا الأمر السخيف".

"أنت لطيفة للغاية".

قالت الليدي أنجيكاثل: "أنا شخصياً لا أكره رجال الشرطة. أجد الأمر مسلماً للغاية. وكما قلت للمفتش جرانج "دعني أساعدك بأي طريقة ممكنة". يبدو حائراً بعض الشيء ولكنه منهجي".

تابعت تقول: "تبدو الدوافع مهمة للغاية لرجال الشرطة. وبالحديث عن ممرضات المستشفى الآن، أظن أن جذاباً للغاية. ولكن بالطبع كان ذلك منذ فترة طويلة، وقد لا يكون رجال الشرطة مهتمين بهذا الأمر. المرء لا يعرف كم تحملت جيردا المسكينة. إنها وفيّة للغاية، ألا تعتقد ذلك؟ أو على الأرجح تصدق ما يقال لها. أظن أنه إن لم يتمتع المرء بقدر كبير من الذكاء، فمن الحكمة أن يفضل ذلك".

وعلى نحو مفاجئ، فتحت الليدي أنجيكاثل باب غرفة المكتب وأدخلت بوارو، وقالت بابتهاج: "ها قد وصل السيد بوارو"، ثم أدخلته الغرفة وخرجت وأغلقت الباب. كان المفتش جرانج وجادجون جالسين على المكتب. وكان هناك شاب صغير معه دفتر في زاوية الغرفة. وقف جادجون احتراماً له.

أسرع بوارو بالاعتذار.

"سأخرج على الفور، أؤكد لكم أنه لم تكن لدي أدنى فكرة أن الليدي أنجيكاثل-"

"لا، لا، لم تكن تعرف". بدا شارب جرانج أكثر تشاؤماً هذا الصباح أكثر من أي وقت مضى. قال بوارو في نفسه، وهو مذهول من وصف الليدي أنجيكاثل الأخير

وهجأة فتح هيركيول بوارو عينيه اللتين كانتا شبه مغمضتين، وسأل بفضول

لما هو؟

"هل يلعب أولادك الميكائو؟"

اشاق المفتش جرانج من التصور الذي كان مرسومًا في خياله ليحرق في نارو وقال له: "إيه، ماذا؟ لم، بحق الله؟ هي الحقيقة، إنهم لا يزالون صغارًا، وليس فيهم كنت أفكر في إهدانهم مجموعة ميكائو صغيرة في رأس العام، لماذا؟"

هو بوارو رأسه.

سبب خطورة الليدي أنجيكاثل في اعتقاده، هي حقيقة أن تخميناتها الحدسية العارضة غالبًا ما تكون صحيحة. فكلماتها الطائشة (التي تبدو طائشة؟) تكون صورة في مخيلتك، وإن صح جزء من الصورة، ألا تؤمن - رغمًا عنك - بالنصف... من هنا؟...

كان المفتش جرانج يتحدث.

"هناك نقطة أريد أن أستوضحها يا سيد بوارو. تلك الممثلة - الأنسة اي - تتسكع قادمة إلى هنا لتقترب كبريتًا. إذا كانت تريد الكبريت، فلماذا لم تدب لمنزلك، الذي يبعد خطوة أو اثنتين؟ لماذا تقطع ما يقرب من نصف ميل؟"

هو بوارو كتفيه.

"لعل هناك أسبابًا، أسبابًا متفطرة، إن أمكننا القول؟ فكوخي الصغير، موضوع، وغير مهم. لا أتبه سوى في المظاهرات الأسبوعية. أما السير هنري والليدي أنجيكاثل فشخصيتان مهمتان - فهما يعيشان هنا - في قلب الريف. وبذلك الأنسة فيرونكا كراي، لعلها أرادت أن تتعرف عليهما، ولعل هذه الطريقة بدت مناسبة."

لهض المفتش جرانج من مكانه.

قال له: "نعم، هذا محتمل بالطبع، ولكنني لا أريد أن أتفاوض عن أي شيء. ليس لدي أدنى شك أن القضية ستكون سهلة للغاية. لقد تعرف السير هنري

سأله بوارو: "هل أخذت ست عبوات؟"

التفت جادجون إليه.

"هذا صحيح يا سيدي. فسيدة المنزل، بعدما سألت عما إذا كان لدينا الكثير منه، أصرت على أن تأخذ الأنسة كراي نصف دسنة."

قال بوارو: "التي تركتها في الجناح الصيفي."

"نعم يا سيدي، لقد رأيتها صباح البارحة."

قال بوارو لجرانج بعدما انصرف جادجون، وأعلق الباب برفق من خلفه "ليس هناك الكثير من الأشياء التي لم يلحظها هذا الرجل."

علق المفتش جرانج أن الخدم شياطين!

ثم قال بابتهاج متجدد بعض الشيء: "ولكن دائمًا ما تكون هناك خادمة المطبخ. وخادمات المطبخ تتحدثن؛ لسن مثل هؤلاء الخدم المتكبرين."

تابع يقول: "لقد أرسلت رجلًا يجري تحقيقات بشارع هارلي، وسوف أذهب إلى هناك بنفسي في وقت لاحق من اليوم. ينبغي علينا التوصل لشيء هناك فقطلاً زوجة السيد كريستو لديها الكثير لتطلعنا عليه. بعض هؤلاء الأطباء المعروفين ومرضاها من السيدات، حسنًا، سوف تقفأوا وفهمت من الليدي أنجيكاثل أن هناك مشكلة حول ممرضة مستشفى، طبعًا كانت غامضة للغاية في هذا الأمر."

واقفه بوارو الرأي: "نعم، نعم كانت غامضة."

صورة مرسومة بمهارة... جون كريستو والكثير من النزوات مع ممرضات المستشفى... الفرص المتاحة في حياة أي طبيب... الكثير من الأسباب التي تشير غير جريدا كريستو التي بلغت ذروتها أخيرًا فقتلته.

نعم، صورة مرسومة ببراعة، تجذب الانتباه إلى خلفية الحياة في شارع هارلي - بعيدًا عن منزل هولو - بعيدًا عن اللحظة التي تدخلت فيها هنريتا سافرنيك وأخذت المسدس من جريدا كريستو دون أي مقاومة من الثانية... بعيدًا عن تلك اللحظة التي قال فيها جون كريستو - وهو يحتضر - "هنريتا".

على المسدس وقال إنه من ضمن مجموعته. ويبدو أنهم كانوا يتدربون على استخدامه ظهيرة اليوم السابق. كل ما كان على السيدة كريستو عمله هو أن تذهب إلى المكتب وتحضره من حيث رأت السير هنري يضعه وتعيّنه. الأمر كله غاية في البساطة".

تمتم بوارو قائلاً: "نعم. الأمر كله غاية في البساطة".

ولكنه تساءل في نفسه عما إذا كانت سيدة مثل جيردا كريستو قد ترتكب جريمة قتل. دون أي خدعة أو تعقيد؛ تضطّر إلى استخدام العنف لمجرد المبرر ناجم عن شخصية محبة - بعمق حتى وإن كان محدود.

ورغم ذلك بالطبع - بالطبع، كانت تتمتع بشيء من غريزة الحفاظ على الذات. أم أنها تصرفت بهذه الطريقة العمياء؛ بهذه الظلمة. عندما استبعدت التفكير المنطقي تماماً؟

استرجع وجهها الخالي من أي تعبير والمذهول.

لم يعرف، فقط لم يعرف.

ولكنه شعر بأنه يجب أن يعرف.

## السادس عشر

هبط جيردا كريستو الثوب الأسود فوق رأسها، وتركته يسقط على كرسي.

كانت عيناها تثيران الشفقة والشك في آن واحد.

قالت: "لا أعرف، لا أعرف حقاً. لا شيء يبدو مهماً".

كانت السيدة باترسون طيبة ولكن حاسمة في الوقت نفسه: "أعرف يا ميري. أعرف". كانت تعرف بالضبط كيف تعامل من فقد عزيزاً. قالت عائلتها معها: "السي رابعة في الأزمات".

في اللحظة الراهنة كانت جالسة في غرفة نوم أختها جيردا بشارع هارلي وسندو رائعة. كانت السي باترسون ملوينة تشع طاقة وحيوية. كانت تنظر الآن إلى موردا بمزيج من الضيق والحنو.

مسيكنة جيردا العزيزة، من المحزن أن تفقد زوجها بهذه الطريقة الشنيعة. وحتى الآن، لا يبدو أنها اتخذت التدابير اللازمة على نحو مناسب. فكرت السيدة باترسون أن جيردا كانت بطيئة للغاية على الدوام. ويجب بالطبع أن تصنع حساباً للصدمة وتضعها في اعتبارها.

قالت بصوت نقيض: "أظن أنني سأشتري هذا الفستان المغربي بثمانية جنيهات".

قالت زينة وهي تنتحب وتبكي: "والدي مات"، ثم ألقّت نفسها على سريرها. أما نيري فكان شاحباً، متسائلاً، ولكنه لم يذرف الدموع.

قالت لهما إن والدهما توفي جراء حادثة مسدس.

(قالت في نفسها) إن بيريل كولينز صادرت صحف الصباح حتى لا يراها المملان. كما أنها حذرت الخدم من ذلك أيضاً. حقاً، كانت بيريل طليبة وعطوفة للغاية.

ذهب تيرينس إلى والدته في غرفة المعيشة المظلمة، مطبقاً شفّتيه بشدة، ووجهه يميل إلى اللون الأخضر تقريباً في شحوب غريب.

"لماذا أطلق النار على أبي؟"

"حادثة يا عزيزي. لا، لا أستطيع التحدث في الأمر."

"لم تكن حادثة. لماذا تقولين شيئاً غير حقيقي؟ لقد قتل أبي. كانت جريمة أهل الصحف تقول ذلك."

"تيري. كيف وصلت الصحيفة إلى يدك؟ لقد أخبرت الأُنسة كولينز -"

أوماً برأسه عدة مرات بطريقة غريبة وكأنه رجل عجوز.

"لقد خرجت واشتريت واحدة بالطبع. كنت أعرف أن فيها شيئاً لن تخبرينا به. وإلا فلماذا تخفيها الأُنسة كولينز؟"

لم يكن من المفيد أبداً إخفاء الحقيقة عن تيرينس. فهو دائماً ما يرضي فضوله الغريب، المستقل، والعلمي.

"لماذا قتل يا أمي؟"

وهنا انهارت ودخلت في حالة هستيرية.

"لا تسألني عن ذلك، لا تتحدث عن ذلك، لا أستطيع أن أتحدث عن ذلك... الأمر كله مروع للغاية."

"ولكنهم سيتوصلون للحقيقة. أليس كذلك؟ أعني أنهم يجب أن يتوصلوا للحقيقة. فهذا ضروري."

على المرء دوماً أن يساعد جيرانه في اتخاذ قراراتها.

وقفت جيردا دون حراك، مقطعة الجبين.

قالت بتردد:

"لا أعرف حقاً ما إذا كان جون يحب الحداد، أظن أنني سمعته مرة يقول إنه لا يحبه."

قالت في نفسها: "جون، أتمنى فقط لو كان هنا ليخبرني بما ينبغي علي عمله."

ولكن جون لن يعود إلى هنا مرة أخرى أبداً. أبداً، أبداً، أبداً... اللحم يبرد. يتجمد على الطاولة... قعر باب غرفة الاستشارة. صمود جون درجتي سلم مرة واحدة، استعجاله الدائم، حيويته الشديدة، امتلاؤه بالحياة...

الحياة.

استنقاؤه على ظهره بجوار حمام السباحة... تساقط الدم ببطء على حافته شعورها بالمسدس في يدها...

كابوس، حلم مزعج، سوف تستيقظ على الفور ولن تجد أيًا من ذلك حقيقياً. جاء صوت أختها المليء بالحياة ليقاطع أفكارها المشوشة.

"طبعاً يجب أن ترتدي ثوباً أسود في التحقيق. فستبدلين غريبة للغاية إن ذهبت بثوب أزرق فاتح."

قالت جيردا: "هذا التحقيق اللعين"، ثم أغمضت عينيها قليلاً.

قالت إلسي باترسون بسرعة: "صعب بالنسبة لك يا عزيزتي. ولكن بعدما تنتهين سوف تعودين إلينا مباشرة وسوف نعتني بك جيداً."

تسارعت أفكار جيردا المشوشة في عقلها أكثر وأكثر. قالت، بصوت خالص يكاد الفزع يسيطر عليه:

"ماذا سأفعل بدون جون؟"

كانت إلسي باترسون تعرف الإجابة عن هذا السؤال: "لديك طفلان. يجب أن تعيشي من أجلهما."

إنه منطقي للغاية، ومستقل للغاية. جعل ذلك جيردا ترغب أن تصبر وتضحك وتبكي. قالت في نفسها: "إنه لا يهتم، لا يمكنه أن يهتم، كل ما يفعله هو طرح الأسئلة. إنه لم يبك حتى".

انصرف تيرينس، متجنباً مساعدة خالته! السي المخلصة. صبي صغير وحيد، ذو وجه متصلب، ممتعض. لطالما كان يشعر بالوحدة، ولكنه لم يرفض ذلك حتى اليوم.

قال في نفسه إن اليوم مختلف. فقط لو كان هناك شخص يجيبه عن أسئلته بمنطقية وذكاء.

غداً الثلاثاء سيذهب مع نيكولسون مينور لإعداد النيتروجليسرين كان يتطلع لهذه التجربة بلهفة، ولكن اللهفة زالت، لم يعد مهتماً بإعداد النيتروجليسرين أبداً.

شعر تيرينس بأنه مصدوم تقريباً من نفسه. لم يعد مهتماً بالتجارب العلمية. ولكن عندما يقتل والد صبي... قال في نفسه: "والدي - قتل".

تحرك شيء بداخله، وامتدت جذوره، ونما... غضب بطيء.

قرعت بيريل كولينز باب غرفة النوم ثم دخلت الغرفة. كانت شاحبة. رابطة الجاش، ذات كفاءة كمادتها. قالت:

"المفتش جرانج هنا". فحدقت جيردا فيها ونظرت إليها بطريقة تشير الشفقة؛ فقالت بيريل على الفور: "قال إنه ليست بنا حاجة لأن نقلقك. سوف يتحدث معك قليلاً قبل أن يذهب، ولكنها مجرد أسئلة روتينية عن عبادة دكتور كريستو، وأستطيع أن أخبره بكل ما يريد معرفته".

"أوه، شكراً لك يا كولي".

خرجت بيرل بسرعة، فتهنّدت جيردا وقالت:

"كولي خير عون، إنها عملية للغاية".

قالت السيدة باترسون: "هذا صحيح، إنها سكرتيرة ممتازة، وأنا واثقة من ذلك. فتاة بسيطة للغاية، فقيرة، أليس كذلك؟ أوه، حسناً، دائماً ما أرى أن هذا هو المطلوب، خاصة مع رجل جذاب مثل جون".

انصهرت جيردا فيها:

"ماذا تعنين يا إلسي؟ جون لم يفعل أبداً - أبداً. تحدثتين وكأن جون قد بهمازل أو يفعل شيئاً بغيضاً إذا كانت سكرتيرته جميلة. جون ليس من هذا النوع أبداً".

قالت السيدة باترسون: "بالطبع لا يا عزيزتي، ولكن في النهاية، جميعنا نعرف الرجال!".

في غرفة الكشف، جلس المفتش جرانج أمام نظرة بيرل كولينز الباردة العدائية. كانت فتاة عدائية، هذا ما لاحظته. حسناً، لعل هذا طبيعي للغاية.

قال في نفسه: "فتاة عادية للغاية. لا شيء بينها وبين الطبيب، لا أظن ذلك. هم ذلك أظن أنها كانت لطيفة معه. فالأمر يكون كذلك في بعض الأحيان".

ولكن ليس هذه المرة، وهذا هو الاستنتاج الذي توصل إليه، عندما تراجع الخلف في جلسته طوال ربع ساعة بعد ذلك. كانت إجابات بيرل كولينز على أسئلته مثالا في الوضوح. أجابته بسرعة، ومن الواضح أنها كانت تعرف أدق تفاصيل عبادة الطبيب. فغير محور أسئلته وبدأ في التحول تدريجياً إلى العلاقة بين جون كريستو وزوجته.

قالت بيرل إنهما كانا على وفاق تام.

سأل المفتش بصوت بدا سهلاً وودياً: "أظن أنهما كانا يتشاجران بين الحين والآخر كأغبن الأزواج؟".

"لا أذكر تشوب أي شجار بينهما. فالسيدة كريستو كانت مخلصة تماماً لزوجها: كانت خاضعة له تماماً".

كانت هناك نبرة ازدراء في صوتها. استشعرها المفتش جرانج.

قال في نفسه: "هذه الفتاة من المناصرين لحقوق المرأة".

ثم قال بصوت مرتفع:

"ألم تكن تدافع عن رأيها أبداً؟".

"لا. فقد كان كل شيء في يد دكتور كريستو".

"أهو شخص مستبد؟".

"كانت صديقة لـدكتور كريستو، أليس كذلك؟"

"لم أسمع بها أبداً، ولكن أظنني أعرف الاسم."

"ممننة الأفلام السينمائية."

لمع جبين بيرل.

"أوه، طبعا كنت أتساءل من أين أعرف الاسم. ولكنني لم أكن أعرف أن دكتور كريستو يعرفها."

بدأت صادقة للغاية في هذا الأمر؛ وهو ما جعل المفتش يتخلى عن هذه النقطة تماماً. تابع يسألها عن تصرفات دكتور كريستو يوم السبت السابق. وهنا، للمرة الأولى، اهتزت الثقة التي كانت بيرل تجيبه بها عن أسئلته. قالت ببساطة:

"تصرفاته كانت مختلفة عن عادته."

"ما وجه الاختلاف؟"

"بدأ شارد الفكر. مر وقت طويل قبل أن يرن الجرس لأدخل آخر مريضة لديه، رغم أنه كان يسرع دوماً للانتهاء من الكشف على مرضاه عندما يكون على وشك الخروج. ظننت، نعم، قطعاً كان هناك شيء في رأسه."

ولكنها لم تستطع أن تكون محددة أكثر من ذلك.

لم يكن المفتش جراح راضياً تماماً عن تحقيقاته. لم يصل إلى أية نقطة يجعله يضع يده على الدافع، ويجب أن يكون لديه دافع يتقدم به إلى المدعي العام.

كان وفقاً تماماً أن جبردا كريستو هي التي أطلقت النار على زوجها. كان يشك ان الفيرة هي الدافع وراء القتل، ولكن حتى الآن لم يتوصل إلى أي شيء يستمر في البحث عنه. كان الرقيب كومبيز يحقق مع الخادومات ولكنهن أدلين بالرواية نفسها؛ وهي أن السيدة كريستو كانت تحب الأرض التي يسير زوجها عليها.

قال في نفسه إنه أيّاً كان ما حدث، فهو حدث بالطبع في منزل هولو. وعندما تذكر منزل هولو، شعر بقلق غامض. هناك شيء غريب في ذلك المنزل.

رن الجرس الموجود على المكتب فأمسكت الأنسة كولينز السماعة.

قالت: "إنها مكالمة لك أيها المحقق"، ومررت الهاتف إليه.

فكرت بيرل قليلاً ثم قالت:

"لا، لا أقول ذلك. ولكن يمكنني أن أقول إنه رجل أناني للغاية. كان وانثا ان السيدة كريستو سوف تخضع دوماً لرأيه وأفكاره."

"هل كان يواجه أية مشكلات بسبب المرضي - أعني من السيدات؟ ليست تلك حاجة لأن تكوني صريحة يا أنسة كولينز. فأنا أعرف أن الأطباء يواجهون مشكلات في هذا الأمر."

أجابته بصوت مزدر: "أوه، هذا النوع من الأمور. لقد كان دكتور كريستو عادلاً في التعامل مع أي مشكلات في هذا الصدد. كانت طريقته رالمة في التعامل مع مرضاه. سكنت قليلاً ثم أردفت تقول: "لقد كان طبيباً رافعاً بحق".

استشعر إعجاباً لا يخلو من حقد في صوتها.

قال لها جراح: "هل كان على علاقة بأي امرأة؟ لا تكوني وفيه يا أنسة كولينز. من المهم أن تعرف."

"نعم، أعرف ذلك. لا على حد معرفتي."

وجدوها جافة أكثر من اللازم. لعلها لا تعرف، أو لعلها تخمن.

قال بحدّة،

"ماذا عن الأنسة هنريتا سافرنيلك؟"

عضت بيرل شفتيها بقوة.

"كانت صديقة مقربة للغاية."

"ألم تكن هناك مشكلة بين الدكتور والسيدة كريستو بشأنها؟"

"بالطبع لا."

كانت الإجابة مؤكدة (أكانت مؤكدة بشدة؟)

غير المفتش محور أسئلته.

"ماذا عن الأنسة فيرونیکا كراي؟"

"فيرونیکا كراي؟"

لمس دهشة صادقة في صوتها.

"مرحباً، جرانج يتحدث. ماذا؟" سمعت بيرل تحولاً في نبرته ونظرت إليه بفضول. كان وجهه الخشبي بارداً كهادته. كان يصدر صوتاً غريباً وهو يستمع.

"نعم... نعم. فهمت ذلك. هذا مؤكد، أليس كذلك؟ ليس هناك مجال للخطأ.

نعم... نعم... نعم. سوف أتأكد. لقد انتهيت تقريباً هنا. نعم."

أعاد السماع إلى مكانها وجلس للحظة دون حراك. وبيرل تنظر إليه بفضول شديد.

استجمع نفسه وسأل بصوت كان مختلفاً تماماً عن صوته في أسئلته السابقة:

"ليست لديك فكرة على ما أظن يا آنسة كوليتز عن هذا الأمر؟"

"أعني -"

"أعني ليست لديك فكرة عن قتل دكتور كريستو؟"

قالت بطريقة قاطعة:

"ليست لدي أدنى فكرة على الإطلاق أيها المفتش."

قال جرانج يترو:

"عندما وجدنا الجثة، كانت السيدة كريستو واقفة بجوارها ومعها مسدس في يدها -"

تعمد أن يترك جملة مفتوحة.

جاء ردها سريعاً. قالت له بصوت هادئ، غير متحيز، وعادل.

"إذا كنت تظن أن السيدة كريستو قتلت زوجها، فأنا واثقة أنك مخطئ.

السيدة كريستو ليست سيدة عنيفة أبداً. وهي ديمة وخنوعة للغاية، كانت خاتماً في أصبع زوجها. أشعر بأنه من السخيف للغاية أن يتخيل أي شخص للحظة أنها أطلقت النار عليه، رغم أن الكثير من الدلائل تشير إليها."

سأل بحدة: "إن لم تكن الجانية، فمن إذن؟"

قالت بيرل يترو: "ليست لدي فكرة."

تحرك المفتش ناحية الباب. سأله بيرل:

"هل تريد أن ترى السيدة كريستو قبل أن تذهب؟"

"لا - نعم، فعل من الأفضل أن أفعل."

نساءت بيرل مرة أخرى، هذا ليس الرجل نفسه الذي كان يستجوبها قبل أن يرس جرس الهاتف. قُرى ما الأخبار التي وصلته وغيرته لهذه الدرجة؟

دخلت جيرة الفرقة وهي متوترة للغاية. بدت تعيسة ومرتبكة. قالت بصوت منخفض ومهتز:

"هل علمت أي شيء عن قتل جون؟"

"ليس بعد يا سيدة كريستو."

"هذا مستحيل، مستحيل تماماً."

"ولكن هذا ما حدث يا سيدة كريستو."

أومات برأسها، ونظرت لأسفل وأخذت تعبت بعنيد وتصنع منه كرة صغيرة، قال بهدوء:

"هل كان لزوجك أي أعداء يا سيدة كريستو؟"

"جون؟ أود، لا. كان رائعاً. كان الجميع يحبه."

"ألا تذكرين أي شخص كان يكن له ضيعة؟ - صمت قليلاً ثم أردف يقول -

"أو يكن لك ضيعة؟"

بدت مذهولة: "يكن لي؟ أود، لا أيها المفتش."

تنهد المفتش جرانج.

"ماذا عن الآنسة فيرونكا كراي؟"

"فيرونكا كراي؟ أوه، أعني السيدة التي جاءت في تلك الليلة لتستعير هيريتا؟"

"نعم أعنيها. أكنت تعرفينها؟"

هزت جيرة رأسها.

"لم أرها من قبل. كان جون يعرفها منذ سنوات مضت. أو هذا ما قالت."

"أظن أنها كانت تكن ضيعة لزوجك لا تعرفين عنها شيئاً."

قالت جيرة بكرامة:

"لا أظن أن أي شخص قد يكن ضغينة لجون. كان أطيب وأكثر الرجال إثارة، كما أنه من أنبل الرجال".

قال المفتش: "نعم. حسنًا. عمت صباحًا يا سيدة كريستو. لقد بلغك موعد التحقيق؟ الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء في ماركيت ديبلتشي. الأمر بسيط للغاية، لا داعي للقلق، من المحتمل أن يتم تأجيل الجلسة أسبوعًا حتى يتسنى لنا عمل مزيد من التحريات".

"أوه، فهمت. شكرًا لك".

وقفت هناك تحديق فيه. تساءل عما إذا كانت فهمت حقيقة أنها المتهم الرئيسية في الجريمة.

لوح لسيارة أجرة، تفقات مبررة مع الوضع في الاعتبار المعلومة التي وصلته من خلال الهاتف. ولكن إلى أين ستقوده هذه المعلومة، لم يعرف. في ظاهرها، بدت غير مرتبطة بالقضية أبدًا - جنون، معلومة غير منطقية. ورغم ذلك، بطريقة ما لا يراها بعد، قطعًا هي نقطة مهمة.

الاستنتاج الوحيد الذي من الممكن التوصل إليه هو أن هذه القضية ليست بسيطة ومباشرة كما كان يتصور في البداية.

## السابع عشر

مدق السير هنري بتساؤل في المفتش جرانج.

قال بتروي: "أنا واثق تمامًا أنني أفهمك، أيها المفتش".

"الأمر بسيط للغاية سير هنري. أنا أطلب منك أن تتفقد مجموعة الأسلحة المارية الخاصة بك. أظن أنها مسجلة ومفهرسة في قائمة؟".

"بالطبع؛ ولكنني ذكرت أن المسدس هو من مجموعتي".

"الأمر ليس بهذه البساطة سير هنري". لزم جرانج الصمت للحظة. كان بميل لعدم إعطاء أي معلومات، ولكنه كان مضطرًا لأن يفعل هذه المرة. كان السير هنري شخصًا ذا أهمية. قطعًا سيوافق على ما يُطلب منه، ولكنه سيطلب أيضًا معرفة السبب. ولكن المفتش جرانج قرر أنه مضطر لأن يطلعهم على السبب.

قال بهدوء:

"دكتور كريستو لم يقتل بالمسدس الذي تعرفت عليه هذا الصباح".

ارتفع حاجبا السير هنري.

قال: "أمر غريب".

شعر جرانج براحة لم يعرف سببها. كان يشعر هو الآخر بأنه أمر غريب للغاية. كان ممتنًا لسير هنري أنه قال ذلك، كما كان ممتنًا أيضًا أنه لم يقل



فكر السير هنري للحظة أو اثنتين.

"ليس من السهل تحديد ذلك أيها المفتش. لقد فتحت هذا الدرج منذ أسبوع هـ.س. وأظن، أكاد أكون واثقاً - أنه إذا لم يكن هذا المسدس موجوداً - كنت ألاحظ فراغاً في الدرج. ولكنني لا أريد أن أجزم أنني رأيته هناك."

أوما المفتش جرائح برأسه.

"شكراً لك سير، لقد فهمت، حسنًا، يجب أن أتابع بعض الأمور."

وقد ذهب السير هنري دون حراك للحظة بعد خروج المفتش، ثم خرج ببطء عبر الباب الفرنسي ومنه إلى الخارج، كانت زوجته مشغولة بسلة الحديقة والقضبان، قابلت تهذب بعض الشجيرات النادرة بمقص الحديقة.

لوحت له بيدها مبتهجة.

"ما الذي كان المفتش يريد؟ أمل ألا يكون سيخيف الخدم مرة أخرى. أنت تعرف يا هنري أنهم لا يحبون ذلك. لا يرون الأمر مسلماً، أو جديداً مثلاً."

"هل تريته كذلك؟"

جذبت ذبذبه انتباهها، فابتسمت له بعدوية.

"كم تبدو متعباً يا هنري، هل يجب أن تسمح للأمر بأن يخيفك لهذه الدرجة؟"

"القتل أمر مخيف يا لوسي."

فكرت الليدي أنجيكا قاتل للحظة. وعلى الفور هذبت بعض الأغصان، ثم توجهت وجهها.

"أوه، يا إلهي، هذا أسوأ المقصّات، هذا غريب للغاية، مقص لا يقص أبداً وآخر يجز أكثر مما تريد. ماذا كنت تقول، القتل مخيف؟ ولكن حقاً يا هنري، لم أعرف السبب أبداً. أعني، إذا كان قاتل شخص أن يموت، فقد يموت بالسرطان، أو سكتة دماغية، أو قد يقتل، أو يطعن، أو يخنق، ولكن الأمر سيؤول للنهاية نفسها أعني أنه مات؛ رغم اختلاف الأسباب. وانتهى كل القلق. وواجه الأقارب كل الصعوبات؛ الشجارات المتعلقة بالعمل، وارتداء اللون الأسود أم لا، ومن سيحصل على مكتب العمدة سيلينا، وغيرها من الأمور من هذا القبيل."

أي شيء آخر. فلم يكن باستطاعته أن يطلعه على المزيد في الوقت الراهن. كان الأمر غريباً، ولكن هذه البساطة لم تكن منطقية.

سأل السير هنري:

"هل لديك سبب يجعلك تعتقد أن السلاح الذي صدرت منه الطلقة القاتلة من مجموعة الأسلحة التي أقتنيها؟"

"ليس لدي سبب على الإطلاق، ولكنني يجب أن أؤكد، حتى يمكننا أن نقول إنه ليس من ضمنها."

أوما السير هنري برأسه تأكيداً لكلامه.

"أنهم وجهة نظرك، حسنًا، سوف نبدأ في العمل. سيحتاج الأمر إلى بعض الوقت."

فتح المكتب وأخرج مجموعة الأسلحة المقطاة بجرايات جلدية.

وبينما كان يفتحها كرر قوله:

"سنحتاج إلى بعض الوقت لنفحص -"

أسر انتباه جرائح شيء في صوته. نظر لأعلى على الفور. تدلى كتفا السير هنري قليلاً، بدا فجأة رجلاً أكبر في السن، كما بدا أنه متعب.

عيس المفتش جرائح:

قال في نفسه: "أتمنى فقط لو أعرف ماذا أفعل بالأشخاص الموجودين هنا"

"أها -"

التفت جرائح للخلف. وأخذ ينظر إلى الساعة ويسجل الوقت: ثلاثون دقيقة - عشرون دقيقة - منذ قال السير هنري: "سيحتاج الأمر إلى بعض الوقت."

قال جرائح بجدية:

"وبعد يا سير؟"

"هناك مسدس من طراز سميث آند ويسون عيار ٣٨ مفقود. كان في جراب جلدي بني اللون، وكان في نهاية حامل موجود في هذا الدرج."

"أها!" حافظ المفتش على هدوء صوته، ولكنه كان متفعلًا: "وعلى حد علمك يا سير، متى رأيته آخر مرة في مكانه؟"

جلس السير هنري على صخرة ثم قال لها:

"الأمر كله سيكون مزعجاً أكثر مما تصورنا يا لوسي".

"حسنًا يا عزيزي. علينا أن نتحملة. وعندما ينتهي الأمر، بإمكاننا أن نذهب إلى أي مكان. دعنا لا نشغل أنفسنا بالمشكلات الراهنة وأن نتطلع إلى المستقبل. أنا حقا سعيدة بذلك. كنت أتساءل ما إذا كان من الجميل أن نذهب إلى أيتزروا. في رأس السنة، أم نذهب إلى هناك في الربيع. ما رأيك؟"

"أمانا وقت كاف لنخطط لرأس السنة".

"نعم، ولكنني أحب ترتيب الأمور وتخليها في عقلي. ربما الربيع... نعم ابتسمت لوسي في سعادة ثم قالت: "بالطبع ستكون قد تغلبت على حزنها".

سأل السير هنري مندهشا: "من؟"

قالت الليدي أنجيكا تل بهدوء:

"هنريتا. أظن أنهما لو قررا عقد الزفاف في أكتوبر: أكتوبر من العام المقبل، أعني سوف نتكمن من الذهاب إليهما في رأس السنة لذلك العام. كتب أفكريا هنري -".

"أتمنى ألا تفعل يا عزيزتي. أنت تفكرين أكثر من اللازم".

"أعرف مخزن الحبوب؟ سيكون أستديو رائعاً. وسوف تحتاج هنريتا إلى أستديو. إنها موهوبة بالفعل. أنا واثقة أن إدوارد سيكون خوراً بها للغاية. يكفي أن ينجبا صبيين وفتاة، أو صبيين وفتاتين".

"لوسي - لوسي! كيف تفعلين ذلك؟"

فاحت الليدي أنجيكا تل عينها الواسعتين الجميلتين وقالت: "ولكن يا عزيزي. ولكن إدوارد لن يتزوج سوى هنريتا. إنه عنيد، عنيد للغاية. إنه يشبه والدي في هذه الصفة. عندما تدخل فكرة رأسه! إذن، بالطبع ستتزوج هنريتا - وسوف تفعل الآن بعدما ابتمد جون كريستو عن الطريق. لقد كان بحق أسوأ شيء قد يحدث لها".

"شيطان مسكين".

"لماذا؟ أوه، أتمنى لأنه مات؟ أوه، حسنًا، جميعنا سنموت في يوم ما. أنا لا مأسأ أبداً الموت...".

دملر إليها نظرة تساؤل:

"كنت أتصور دوماً أنك تحبين كريستو يا لوسي؟"

"كنت أجده مسلماً، كما أنه ساحر، ولكنني لم أر أبداً أن المرء يجب أن يولي محبة كبيرة لأي شخص".

وبرق ويوجه مبتسم، أخذت تذهب شجيرات الويبرنوم دون أي شعور بالندم.

واحدة أعجبتني. كنت قد أدمرها لو كانت لدي اثنتان منها".

"ولكنني أفهم ذلك يا أنسة. أنت فتاة".

"أنت فتاة أيضا يا سيد بوارو؟"

قال بوارو برأسه قليلاً.

"أشك في ذلك. ولكن بوجه عام، يجب أن أقول لا. لقد عاينت جرائم فنية، وحدث فيها إعمالاً متناهياً للخيال. ولكن حلها، لا، إنه لا يحتاج إلى القوة الإبداعية اللازمة. كل ما أحتاج إليه هو شغف بمعرفة الحقيقة".

قالت هنريتا بتأمل: "شغف بمعرفة الحقيقة. نعم، أرى إلى أي مدى قد جعلك ذلك خطيراً، هل ترضيك الحقيقة؟"

نظر إليها بتساؤل.

"ماذا تعنين يا أنسة سافرنيك؟"

"أفهم أنك قد تريد أن تعرف. ولكن هل المعرفة تكفي؟ هل عليك أن تأخذ خطوة أخرى وتنتقل المعرفة إلى حيز التنفيذ؟"

أصبح مهتماً بحديثها.

"أنت تقترحين أنني لو عرفت الحقيقة عن وفاة دكتور كريستو، قد أرضى رابقاء هذه المعرفة لنفسى. هل تعرفين حقيقة وفاته؟"

هزت هنريتا كتفيها.

"الإجابة الواضحة تبدو كأنها جبردا. كم سخيّف أن تكون الزوجة أو الزوج أول المتهمين دوماً".

"ولكنك لا توافقين على ذلك؟"

"دالماً ما أحب التمتع بعقل مفتوح".

قال بوارو بهدوء:

"لماذا جئت إلى هنا يا أنسة سافرنيك؟"

"يجب أن أعترف بأنني لا أتمتع بشغفك لمعرفة الحقيقة يا سيد بوارو. واصطحاب كلب في نزهة مثير إنجليزي لطيف وممتع في الربيع، ولكن بالطبع ال أنجيكا كل ليس لديهم كلب، كما لاحظت في اليوم السابق".

## الثامن عشر

نظر هيركيول بوارو من نافذته فرأى هنريتا سافرنيك تصعد الطريق المؤدي للباب الأمامي. كانت ترتدي الكتزة الخضراء نفسها المصنوعة من التويد التي كانت ترتديها في اليوم المشؤوم. كان معها كلب من فصيلة السينيلي.

أسرع إلى الباب الأمامي وفتح. وجدها تقف قبائله مبتسمة له.

"هل يمكنك أن ادخل وأرى منزلك؟ أحب أن ألقي نظرة على بيوت الآخرين كنت اصطحاب الكلب في نزهة".

"بكل تأكيد. الإنجليز يحبون اصطحاب كلابهم للسير".

قالت هنريتا: "أنا أصرف. فكرت في ذلك. أتصرف القصيدة اللطيفة التي تقول: "مرت الأيام ببطء يوماً وراء يوم. أطمعت البط، وبخت زوجتي، وعرفت مقطوعة هانديل لأرجو على الناي ثم أخذت الكلب في نزهة".

ابتسمت مرة أخرى، ابتسامة ساحرة لطيفة.

قادها بوارو إلى غرفة جلوسه. ألقت نظرة على ترتيب المكان المنظم والأنيق وأومات برأسها.

قالت له: "لطيف، الشان من كل شيء. كم كنت سكره الاستديو الخاص بي".

"ولماذا أكرهه؟"

"أوه، ستجد كثيراً من الطين ملتصقاً بالأشياء. كما ستجد هنا وهناك قطعة

"أمر لم يفتني".

"لذلك استعرت كلب اليبستاني. يجب أن تفهم يا سيد بوارو أنني لست صديقة تمامًا".

ارتسمت على وجهها مرة أخرى الابتسامة الساحرة نفسها. تساءل في نفسه عما جعله يشعر على نحو مفاجئ بأنها أثارت شغفه بشكل لا يقاوم. قال بهدوء:

"لا، ولكنك تتمتعين بالنزاهة".

"لماذا تقول ذلك بحق الله؟"

رأى أنها فوجئت من قوله، تقريباً فزعته.

"لأنني أظن أن هذه هي الحقيقة".

كررت هنريتا قوله وهي غارقة في التفكير: "النزاهة. أتمناه عما تعنيه هذه الكلمة تحديداً".

جلست ساكنة تماماً، تحديق في السجادة، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه في ثبات.

"ألا تريد أن تعرف لماذا جئت إلى هنا؟"

"لعلك تجددين صموية في التعبير عن ذلك في كلمات".

"نعم، أظنني كذلك. التحقيق يا سيد بوارو سيجرى غداً. ويجب أن اتخذ قراراً بشأن أهمية -"

توقفت عن الكلام، ونهضت من مكانها وتحركت في اتجاه المدفأة وغيرها موضع قطعة أو اثنتين من التحف وحركت زهرية مصنوعة من الخزف من مكانها في منتصف الطاولة إلى أقصى زاوية المدفأة، ثم تراجعت للخلف وألفت نظرة على التعديل الذي أجرته وهي تميل رأسها.

"كيف ترى هذا التغيير يا سيد بوارو؟"

"لا يروقني أبداً يا آنسة".

ضحكت وقالت له: "كنت أعرف ذلك". ثم حركت كل شيء بسرعة وأعادته لموضعه الأصلي. "حسناً، إذا أراد شخص أن يفصح عن شيء ما، فيجب أن يفعل:

ابتسب ما، من الأشخاص الذين يمكنني أن أتحدث إليهم. إليك ذلك. هل من المهم في رأيك، أن يعرف رجال الشرطة أنني كنت على علاقة بجون كريستو؟"

كان صوتها جافاً تماماً وغير عاطفي بالمرة، لم تكن تنتظر إليه، وإنما كانت تنظر إلى الحائط أعلى رأسه. كانت تتبع بسبابتها منحني الزهرية التي كانت يحوي على زهور قرتلية. شعر لسبب ما بأن لمسة ذلك الإصبع هي سحرها العاطفي.

قال هيركيول بوارو بالضبط ودون أي عاطفة:

"فهمت. كنتما حبيبين؟"

"إذا كنت تفضل هذا المسمى".

نظر إليها متسائلاً.

"ليست الطريقة المثلى يا آنسة".

"لا".

"ولم لا؟"

هزت هنريتا كتفها. ثم اقتربت منه وجلست إلى جواره على الأريكة. وقالت مترو:

"أحب أن أسمي الأشياء، بمسمياتها قدر المستطاع".

ازداد اهتمامه بهنريتا سافرنيك. قال لها:

"كنت مرتبطة بدكتور كريستو - منذ متى؟"

"حوالي ستة أشهر".

"أظن أن الشرطة لن تجد صموية في اكتشاف هذه الحقيقة؟"

فكرت هنريتا قليلاً.

"لا أظن ذلك. هذا إذا كانوا سيبحثون عن شيء من هذا القبيل".

"أوه، سوف يبحثون، أؤكد لك ذلك".

"نعم، كنت أعرف أنهم سيفعلون". ثم صمتت قليلاً وهدت أصابعها على ركبتيها ونظرت إليه، ثم رمقته بنظرة سريعة وودودة: "حسناً يا سيد بوارو، ماذا

عليّ أن أفعل؟ أذهب إلى المفتش جرانج وأقول - ماذا يجب أن أقول لرجل له مثل شارب؟ إنه شارب يناسب رب أسرة".

رفع بوارو يده ليتحسس شارب به بخبر وأعجاب.

"ماذا عن شاربى يا أنسة؟"

"شاربك يا سيد بوارو، انتصار فني، ليست له علاقة بأي شيء سوى نفسه أنا واثقة أنه فريد".

"بالطبع".

"لعل هذا هو السبب الذي جعلني أتحدث إليك بهذه الطريقة. على فرض أن الشرطة أرادت أن تعرف حقيقة علاقتي بجون، هل من الضروري أن أعلن هذا الأمر على الملأ؟"

قال لها بوارو: "هذا يتوقف على ما إذا كان رجال الشرطة يرون أنه لا يؤثر على القضية، سوف يتصرفون بحذر. أنت حريصة للغاية على هذه النقطة؟"

أومأت هنريتا برأسها. حدثت في أصابعها للحظة أو اثنتين، وعلى نحو مفاجئ رفعت رأسها وتحدثت. لم يعد صوتها جافاً أو ضعيفاً.

"لماذا يجب أن تزداد الأمور سوءاً بالنسبة لجيردا المسكينة؟ كانت تعشق جون، ولكنه مات. لقد فقدته. لماذا يجب أن تتحمل عبئاً إضافياً؟"

"هل أنت مهتمة لأمرها؟"

"هل تظن أن هذا نفاق؟ أظن أنك ترى أنني لو كنت مهتمة بسلام جيردا النفسي، لما أصبحت على علاقة بجون كريستو. ولكنك لا تفهم. الأمر ليس بهذه الطريقة، أنا لم أقصد حياته الزوجية. كنت مجرد واحدة ضمن مجموعة".

"أها، الأمر كذلك؟"

التفتت إليه بسرعة.

"لا، لا، لا ليس ما تفكر فيه. هذا هو ما يهمني أكثر من أي شيء آخر) الفكرة الخاطئة التي سيأخذها الجميع عن جون كريستو. لهذا السبب جئت أتحدث إليك، كان لدي أمل غامض لا أعرف سببه أن تفهم الوضع. تفهم أي نوع من الأشخاص كان جون. أرى جيداً ما سوف يحدث - عناوين الصحف

الحياة العاطفية لطبيب - جيردا - أنا وفيرونيك كراي. جون لم يكن كذلك، في الحقيقة. لم يكن يفكر كثيراً في النساء. لم تكن النساء شغله الشاغل، ولكنه كان مهتماً بعمله. كان عمله هو محور اهتمامه وحياته. إذا أخذت جون على حين غرة في أي لحظة وطلبت منه أن يذكر اسم أكثر امرأة تشغله، أتعرف ما الذي كان سيموله؟ - السيدة كرايتري".

فوجئ بوارو من كلامها: "السيدة كرايتري، ومن السيدة كرايتري؟"

استشعر في صوتها مزيجاً من الدموع والضحك وهي تتابع كلامها:

"إنها سيدة عجوز، قبيحة، متسخة، مجمدة، لا تقهر. كان جون يرى العالم بأسره فيها. كانت مريضة في مستشفى سانت كريستوفر، مصابة بمرض ريديجواي. وهو مرض نادر جداً، ولكن الإصابة به تؤدي إلى الوفاة، ليس لها علاج. ولكن جون كان يبحث عن علاج له، لا أستطيع أن أشرح لك الحالة، كانت معقدة للغاية، مسألة متعلقة بإفراز الهرمونات. كان يجري تجارب وكانت السيدة كرايتري مريضة مهمة لديه للغاية. فهمت، كانت تتحلى بالشجاعة، كانت تريد أن تعيش، كانت مغرمة بجون، كانت تحارب مع جون في جانب واحد. مرض ريديجواي والسيدة كرايتري هو أكثر ما كان يشغل بال جون طوال أشهر - ليل نهار - ولم يكن هناك شيء آخر يهمه. هذا هو نوع الأطباء الذي كان عليه جون بحق، لم يكن مهتماً بأشياء شارع هارلي، ونسائه السمينات، ولكنهن كن جانباً من حياته، وإنما الفضول العلمي الشديد والإتجازات. أوه، أتمنى لو أمكنتني أن أجعلك تفهم".

أشاحت يدها بحركة بالانسة على نحو غريب، فلاحظ بوارو على الفور أنها تتمتع بيدين جميلتين وحساستين.

قال لها:

"يبدو أنك تفهمين جيداً".

"أوه. نعم. أفهم. كان جون معتاداً أن يأتيني ويتحدث معي، أفهمت؟ لم يكن يتحدث معي تماماً، ولكنني أظن أنه كان يتحدث مع نفسه. كانت الأمور تتضح له بهذه الطريقة. كان اليأس يصيبه في بعض الأحيان، لم يعرف كيف يتغلب على ارتفاع نسبة السموم، ثم كانت تواتيه فكرة تغيير العلاج. لا أستطيع أن أشرح لك

سألها بوارو وهو يراقبها عن كتب: "وأنت، كنت راضية بذلك، على هذا النحو".

بهتت هنريتا من مكانها. قالت بصوت جاف مرة أخرى،  
"لا. لم أكن راضية. ففي النهاية أنا إنسانة...".

انتظر بوارو لحظة ثم قال:  
"اذن لماذا يا أنسة -".

دارت حوله وقالت له: "لماذا؟ كنت أريد لجون أن ينعم بالرضا، كنت أريد  
لمجون أن يحصل على ما أراد. أريده أن يكون قادرًا على مواصلة أبحاثه التي  
يسلمه: عمله. إذا لم يكن يريد أن ينجرح - أو أن يكون عرضة لهذا الأمر مرة  
أخرى - لماذا - لماذا - لماذا، كان هذا تصرفًا صحيحًا من جانبي".  
حك بوارو أنفه.

"لقد ذكرت لتوك يا أنسة سافريتك فيرونیکا كراي. هل كانت أيضًا صديقة  
لمجون كريستو؟".

"حتى ليلة السبت الماضي، لم يكن قد رآها منذ خمسة عشر عامًا".  
"كان يعرفها منذ خمسة عشر عامًا مضت؟".

أجابته هنريتا بعدما جلست: "كانا يتويان الزواج. أرى أنني يجب أن أوضح  
الامر. لقد أحب جون فيرونیکا بشدة. كانت فيرونিকা حبه الأول. إنها أختي للغاية.  
كانت تريد لجون أن يتخلى عن كل شيء وأراده ويصبح زوج الأنسة فيرونیکا كراي  
الصغير الأليف، ولكن جون أنهى الأمر كله. وكان محققًا تمامًا. ولكنه عانى كثيرًا  
بعد ذلك، فأراد أن يتزوج صورة معاكسة تمامًا لصورة فيرونিকা قدر المستطاع.  
لهذا تزوج جيردا، التي يمكن أن تصفها دون أي لباقة بأنها غبية من الدرجة  
الأولى. كان كل ذلك لطيفًا وأمنًا، ولكن كما يمكن لأي شخص أي يعرف، جاء  
اليوم الذي أصبح زواجه من إنسانة غبية يضايقه. كانت لديه علاقات متنوعة،  
ولكنها لم تكن مهمة بالقدر الكافي، وجيردا بالطبع لم تعرف شيئًا عنها، ولكنني  
شخصيًا أتصور أنه طوال خمسة عشر عامًا كان هناك شيء خاطئ مع جون، شيء  
مرتبط وفيرونیکا. فهو لم ينسها تمامًا. وأخيرًا، يوم السبت الماضي، التقاهما من  
جديد".

طليعة الأمر - كان أضيء، نعم بممركة. لا أستطيع أن أتخيل، الغضب الشديد  
التركيز، وأحيانًا الألم الذي كان يشعر به. وفي أحيان أخرى الإرهاق الشديد.

لزمّت الصمت للحظة أو اثنتين، وأغلقت عينيها وغرقت في ذكرياتها.

قال بوارو متسائلًا:

"قططًا لديك بعض المعرفة الطليعة؟".

هزت رأسها.

"ليس بالضبط، مجرد ما يكفي لأفهم ما كان جون يتحدث عنه. لقد اشتري  
كتبًا وقرأت عن المرض".

لزمّت الصمت مرة أخرى، ولان وجهها، وابتعدت شفتاها. فهم أنها كانت  
تسترجع الذكريات.

تنهدت وعادت بعقلها إلى الحاضر. نظرت إليه بحزن:

"فقط لو أستطيع أن أجعلك تفهم -".

"ولكنك فعلت يا أنسة".

"حقًا؟"

"نعم، فأنا أستمع المصادقية عندما أسمع الحقيقة".

"شكرًا لك. ولكن لن يكون من السهل أن أشرح ذلك للمفتش جرانج".

"على الأرجح لا. سوف يركز على الجانب الشخصي".

قالت هنريتا بشغف:

"وهذه النقطة غير مهمة على الإطلاق - غير مهمة أبدًا".

ارتفع حاجبا بوارو تدريجيًا. أجابت على الاعتراض الذي لم ينطقه.

"ولكنه أصبح مهمًا. فبعد فترة، خلّت بين جون وما كان يفكر فيه. أثرت فيه  
كامرأة. لم يستطع أن يولي لعمله درجة التركيز التي كان يتمناها، بسببي أنا. بدأ  
يشعر بالخوف لأنه وقع في حب، لم يكن يريد أن يحب أي شخص. لقد ولد  
علاقته بي لأنه لم يرد أن يفكر في أكثر من اللازم. أراد علاقتنا أن تكون خفيفة،  
سهلة، مجرد علاقة كثيرها من العلاقات التي كانت في حياته".

راقب بوارو هنريتا دون أن ينبس ببنت شفة. كان وجهها قد استرخى، بعدما خلصت من توترها. بدا مستديراً أكثر، وأكثر شباباً. أدرك كيف كانت تبدو وهي مائة صغيرة.

قال لها برقة شديدة في النهاية:

"ما الذي تفكرين فيه يا أنسة؟"

"إينزويك."

"وما إينزويك؟"

"إينزويك؟ مكان" وعلى نحو حالم، أخذت تصفه له. المنزل الأبيض الجميل، وشجرة الماجنوليا الضخمة، ومجموعة التلال المتدرجة التي تكتنفها الغابات.

"أكان منزلك؟"

"ليس بالضبط. كنت أعيش في أيرلندا. كان المنزل الذي نذهب إليه صيفاً في الإجازات - إدوارد وميدج وأنا. كان منزل لوسي في الحقيقة، كان ملكاً لوالدها. وبعد وفاته آل إلى إدوارد."

"وليس هنري؟ ولكنه حامل للقب."

قالت له: "أوه، صحيح فهو حاصل على لقب سير. أما هنري فهو مجرد قريب من بعيد."

"وبعد إدوارد أنجيكا، لمن سيؤول المنزل؟"

"كم هذا غريب، لم أفكر في ذلك من قبل، إذا لم يتزوج إدوارد -"، ثم لزمت الصمت. أعظم وجهها قليلاً. تساءل هيركيول بوارو عن الأفكار التي راودتها.

قالت هنريتا بترو، "أظن، أنه سيؤول إلى ديفيد، لهذا-".

"لهذا ماذا؟"

"لهذا طلبت منه لوسي الحضور... ديفيد وإينزويك؟" هزت رأسها، "إنه لا يناسبه أبداً."

أشار بوارو إلى الطريق الممتد أمامهما.

"هذا الطريق يا أنسة هو الذي وصلت منه إلى حمام السباحة بالأمس؟"

بعد فترة صمت طويلة، قال بوارو وكأنه يسترجع حلقاً ما:

"خرج معها في تلك الليلة ليري منزلها وعاد إلى منزل هولو في الساعة ٣ صباحاً."

"كيف عرفت؟"

"كانت هناك خادمة تمانى ألماً هي أسنانها."

قالت هنريتا على نحو مفاجئ، "لوسي لديها الكثير من الخدم."

"ولكنك كنت تعرفين ذلك يا أنسة؟"

"نعم."

"كيف عرفت؟"

مرة أخرى ساد الصمت لفترة وجيزة. ثم أجابته هنريتا بترو:

"كنت أنظر من نافذة غرفتي قرأته يعود إلى المنزل."

"ألم أسنان يا أنسة؟"

ابتسمت له.

"نوع آخر من الألم يا سيد بوارو."

نهضت من مكانها وتحركت ناحية الباب، فقال لها بوارو:

"سوف أعود إليك يا أنسة."

عبر الأمر وخرجا من البوابة إلى مشتل أشجار الكستناء.

قالت له هنريتا:

"لننا بحاجة للمرور على حمام السباحة. بإمكاننا أن نصعد يساراً ونجتاز

الطريق العلوي إلى ممشى الزهور."

سارا في طريق متجه لأعلى ناحية الغابات. وبعد فترة، وصلا إلى طريق أوسع

من الناحية اليمنى عبر جانب التل فوق أشجار الكستناء. وعلى الفور وصلا إلى

مقعد جلست هنريتا عليه، ثم جلس بوارو إلى جانبيها. كانت الغابات من فوقهما

ومن خلفهما، وكانت أشجار الكستناء المتشابكة تنتشر حولهما. وأمام المقعد

مباشرة، كان هناك طريق منحني لأسفل، يؤدي إلى مسطح من المياه الزرقاء

اللامعة.

غير أشجار الكستناء، ناحية حمام السباحة، رأى هيركيول بوارو رجلاً منحلوا يبحث عن شيء ما، أو يبدو كذلك.

تمتم قائلاً: "أتساءل -"

"عذراً؟"

قال بوارو: "إنه أحد رجال المفتش جرانج، يبدو أنه يبحث عن شيء ما" "أدلة، على ما أظن. ألا يبحث رجال الشرطة عن أدلة؟ رماة سحائر، أقدام، أعواد كبريت محترقة".

انطوى صوتها على نوع من السخرية المريرة. فأجابها بوارو بجدية.

"نعم، إنهم يبحثون عن هذه الأشياء، وأحياناً يعثرون عليها. ولكنهم يعثرون على أدلة حقيقية يا أنسة سافرنيك، وفي قضية كهذه، عادة ما يكون الدليل هي العلاقات الشخصية للأشخاص المعنيين".

"لا أظن أنني أفهمك".

قال بوارو، وهو يرجع رأسه للخلف وهو شبه مخمض عينيه: "أشياء صغيرة ليس رماة سحائر، أو آثار أقدام، ولكن إيماءة، نظرة، تصرف غير متوقع..."

التفتت هنريتا بسرعة نحوه لتنظر إليه. شعر بعينيها، ولكنه لم يلتفت إليها قالت له:

"هل تفكر، في شيء محدد؟"

"كنت أفكر كيف تقدمت للأمام وأخذت المسدس من يد السيدة كريستو ثم أسقطته في حمام السباحة".

شعر بالحركة المفاجئة الخفيفة التي صدرت عنها، ولكن صوتها كان طليعياً وهادئاً.

"جيردا يا سيد بوارو، امرأة خرقاء بعض الشيء. ومن هول الصدمة، إذا كان المسدس يحتوي على أية ذخيرة أخرى، قد تطلق النار وتصيب شخصاً ما"

"ولكنه كان تصرفاً أخطر من جانبك، أعني إسقاطه في حمام السباحة، أليس كذلك؟"

صمت قليلاً ثم قالت: "حسناً، كنت مصدومة أذا الأخرى. ما الذي تلمح إليه سيد بوارو؟"

همس بوارو، والتفتت برأسه، وتحدث بسرعة، بطريقة عملية.

"أولاً كانت هناك بصمات أصابع على ذلك المسدس، أعني، بصمات أصابع، بصمات عليه قبل أن تمسكه السيدة كريستو، فمن المثير أن نعرف لمن هذه البصمات. وهو الأمر الذي يستحيل أن نعرفه الآن".

قالت هنريتا بهدوء وثبات:

"أعني أنك تتصور أنها بصمات أصابعي، هل تقترح أنني أطلقت النار على المسدس ثم تركت المسدس إلى جواره ثم أتت جيردا وأمسكته وظلت ممسكة به وأنها طفلة رضيعة. هل هذا ما تقترحه، أليس كذلك؟ ولكن بالطبع، لو كنت فعلت ذلك، كان بإمكانني أن أمسح بصمات أصابعي عنه أولاً".

"ولكنك بالطبع ذكية بالقدر الكافي يا أنسة لتعرفي أنك إذا فعلت ذلك، ولم تكن هناك بصمات أصابع عليه سوى بصمات أصابع السيدة كريستو، لكان هذا مراً قريباً للغاية لقد استخدمتم جميعاً المسدس في اليوم السابق. ومن الصعب أن تمسح جيردا كريستو أي بصمات أصابع من على المسدس قبل أن تستخدمه، فلماذا تفعل؟"

قالت هنريتا ببطء:

"إذن تظن أنني قتلت جون؟"

"عندما كان دكتور كريستو يحتضر، قال: "هنريتا".

"وتظن أن هذا كان اتهاماً؟ لم يكن كذلك".

"وماذا كان إذن؟"

مدت هنريتا قدمها محدثة شكلاً في الأرض بكعبها. قالت بصوت منخفض: "ألم تنس؟ ما قلته لك منذ وقت ليس بظويل؟ أعني العلاقة التي كانت نجعلنا؟"

"أه، نعم، كان حبيبك، ولهذا عندما كان يحتضر، قال "هنريتا". هذا مؤثر للغاية".



نظرت إليه بعين متقدة.

"هل هذه نظرة استهزاء؟"

"أنا لا أستهزئ، ولكنني لا أحب من يكذب عليّ، وهذا على ما أظن هو ما تحاولين عمله".

قالت هنريتا بهدوء:

"لقد قلت لك إنني لست صادقة للغاية، ولكن عندما قال جون "هنريتا" لم يكن يتهمني بأنني قتلته، ألا يمكنك أن تفهم أن أمثالي من الناس - ممن يصنعون أشياء - غير قادرين على سلب الآخرين حياتهم؟ أنا لا أقتل الناس يا سيد بوارو. لا يمكنني أن أقتل أي إنسان. هذه هي الحقيقة العارية. أنت تشك في المجرد أن شخصاً يحتضر نطق اسمي، من الصعب أن نجزم أنه كان يعرف ما يقوله".

"كان دكتور كريستو يعرف بالضبط ما كان يقول. كان صوته نابضاً بالحياة وواعياً وكأنه طبيب يجري عملية جراحية مهمة قال بسرعة ووضوح: أيتها الممرضة، أعطني المقص من فضلك".

"ولكن -" بدت مرتبكة، مصدومة بعض الشيء. تابع هيركيول بوارو كلامه بسرعة:

"والأمر لا يتوقف فقط على ما قاله دكتور جون وهو يحتضر. أنا لا أصدق للحظة أنك قادرة على القتل العمد؛ لا، ولكن لعلك أطلقت هذه الرصاصة في حركة مفاجئة نتيجة استياء شديد، وإذا كان الأمر كذلك يا أنسة - إذا كان كذلك فأنت تتمتعين بخيال مبدع وقدرة على تغطية فعلتك".

نهضت هنريتا من مكانها. ولفت للحظة، شاحبة ترتجف، وهي تنظر إليه. ثم قالت وعلى وجهها ابتسامة مفاجئة حزينة:

"وأنا تصورت أنك أحببتني".

تنهد هيركيول بوارو، وقال بحزن:

"من سوء حظي الشديد أنني كذلك".

## التاسع عشر

### ١

بعدما تركته هنريتا، ظل بوارو في مكانه حتى رأى المفتش جرانج يخطئ بجوار حمام السباحة بإصرار وسهولة، وعنه إلى الطريق المؤدي للجنح الملحق به.

كان المفتش يسير محدداً هدفه.

قطعا سوف يتجه إلى ريستيفين، أو إلى دوفيكوتس. تساءل بوارو عن الوجهة التي يقصدها.

نهض من مكانه وتلقى خطواته على امتداد الطريق الذي جاء منه، إذا كان المفتش جرانج سيأتي لرؤيته، فهو مهتم بأن يسمع ما لديه ليقوله.

ولكنه عندما عاد إلى ريستيفين، لم ير أي علامة على وجود زائر. نظر بوارو لأعلى الممر المؤدي إلى منزل دوفيكوتس، كان يعرف أن فيرونیکا كراي لم تعد إلى لندن.

وجد أن فضوله تجاه فيرونیکا كراي يزداد. فرو الثعلب الرمادي اللامع، كومة صبرات الكبريت، اقتحامها المنزل بهذه الطريقة المفاجئة مساء السبت، وأخيراً حديث هنريتا سافرنيلك عن علاقة جون كريستو بفيرونیکا.

كانوا جميعًا محبوسين في شباك القانون. مريوطين معًا لفترة قصيرة في أعقاب جريمة قتل عنيفة وقاسية ومفاجئة. كل واحد منهم لديه مأساته الخاصة، وحياته الخاصة.

وفي مكان ما وسط تداخل كل هذه الشخصيات والمواطف، تكمن الحقيقة. كان هيركيول بوارو يرى أن هناك شيئًا واحدًا أكثر سحرًا من دراسة النفس البشرية: ألا وهو البحث عن الحقيقة. أراد أن يعرف حقيقة موت جون كريستو.

## ٢

قالت فيرونیکا: "ولكن بالطبع أيها المفتش، أنا حريصة للغاية على مساعدتك." "شكرًا لك أنسة كراي."

لم تكن فيرونیکا كراي، لسبب ما، كما تخيلها المفتش على الإطلاق. كان يتوقع أن يرى بطلقة فاتنة، مصطنعة ومتكلفة، كغيرها من النجوم. لم يش سيندهش على الإطلاق حتى لو لعبت أمامه دورًا مهمًا. في الحقيقة، شك أنها تمثل ولا تقول الحقيقة. ولكنه لم يكن نوع التمثيل الذي توقعه.

لم تكن تتمتع بمفاتيح تسائية مبالغ فيها، ولم تكن فاتنة كثيرًا. ولكنه شعر بأنه جالس أمام سيدة حسنة المظهر إلى حد كبير، ترتدي ثيابًا باهظة، وأيضًا سيدة أعمال ناجحة. قال في نفسه إن فيرونیکا كراي ليست مغفلة. "كل ما أريده هو بيان واضح لما حدث. لقد ذهبت لمنزل هولو ليلة السبت."

"نعم، كان الكبريت قد نفذ. كثيرًا ما أنسى أهمية مثل هذه الأمور الصغيرة في الريف."

"قطعت كل تلك المسافة لمنزل هولو؟ لماذا لم تطرقي باب جارك القريب، السيد بوارو؟"

قال في نفسه إنه نموذج مثير، نعم. كان يراه كذلك: نموذج.

تصميم لمواطف متداخلة وتصادم بين شخصيات. تصميم غريب، تعثر به خيوط سوداء من الكراهية المخلوطة بالرضية.

هل أطلقت جيردا كريستو النار على زوجها، أم أن الأمر ليس بهذه البساطة؟ فكر في حوار مع هنريتا، وقرر أن الأمر ليس بهذه البساطة. أسرع هنريتا باستنتاج أنه يشك في أنها الفاتلة، ولكنه في الحقيقة لم يبتعد كثيرًا في تصويره لهذه الدرجة. ولكنه كان واثقًا بالفعل أن هنريتا تعرف شيئًا ما. تعرف شيئًا، أو تخفي شيئًا؛ ولكن أيهما؟

هز رأسه لشموره بعدم الرضا.

المشهد بجوار حمام السباحة. مشهد معد سابقًا. مشهد مرتب. ولكن من الذي رتبته؟ ومعد لمن؟

كان لديه شك قوي في أن الإجابة عن السؤال الثاني هي هيركيول بوارو. لقد تصور ذلك وقت وقوع الجريمة. ولكنه وجدها مزحة صفيقة.

كانت لا تزال صفيقة، ولكنها لم تكن مزحة.

ولكن ما إجابة السؤال الأول؟

هز رأسه. لم يعرف إجابة هذا السؤال. لم تكن لديه أدنى فكرة.

ولكنه أغمض عينيه وأخذ يستحضرها، يستحضرها جميعًا، ويراهم بوضوح في مخيلته. السير هنري شخصية مرموقة لها مكانتها في المجتمع، ذرية، مسئول، محل ثقة. الليدي أنجيكا، مظهرية، مراوغة، ساحرة على نحو غير متوقع ومحير، تتمتع بقدره هائلة على توليد اقتراحات غير منطقية. هنريتا سافرنيك، التي أحببت جون كريستو أكثر من نفسها. إدوارد أنجيكا، اللطيف والسليبي. والفتاة السمراء الإيجابية المدعوة ميدج هاردكاسل. ووجه جيردا كريستو المشوش والمربك وهي تمسك المسدس في يدها. وشخصية دينيد أنجيكا، ذلك الفتى المستاء دومًا.

أخرج المفتش جرائح خطائنا من جيبه، وألقى عليه نظرة، ثم تنحنح وقرأ:

«أرحم أن تأتي هذا الصباح، يجب أن أراك.

فيرونيكا.

انسمت وقالت: "ذ - نعم، لعله حاسم بعض الشيء، أخشى أن تكون هوليوود ممسك - متفطرة نوعاً ما".

"جاء دكتور كريستو إلى منزلك في صباح اليوم التالي لتلبية لاستدعائك، واستاجرنا. هلا أخبريني يا أنسة كراي، عن سبب هذا الشجار؟"

كشف المفتش عن أوراقه. وبسرعة أدرك لمحة الغضب التي ابتابتها، وصعظها على شفتيها بشكل ينم عن الاتزاع. أسرعت تقول:

"لم تتشاجر".

"أوه، بلى تشاجرتما يا أنسة كراي. كانت آخر كلماتك له: "أظن أنني أكرهك، لأنر مما تصورت أنه بإمكانني أن أكره أي شخص".

لزمّت الصمت الآن، شعر بأنها تفكر، تفكر بسرعة وبحذر. بعض النساء قد يسرعن بالحديث: ولكن فيرونيكا كراي كانت أكثر ذكاء من أن تفعل ذلك.

هزت كتفيها وقالت بسلاسة:

"فهمت، مزيد من روايات الخدم. خادمتي الصغيرة لديها خيال خصب، هناك طرق مختلفة تقول بها الأشياء كما تعلم، أستطيع أن أؤكد لك أنني لم أكن مملودرامية. كانت مجرد ملاحظة لاهية. كنت أمزح معه".

"تقصدين أنك لم تعني الكلمات بشكل جاد؟"

"بالطبع لا. وأستطيع أن أؤكد ذلك أيها المفتش، لقد مرت خمسة عشر عاماً منذ آخر مرة رأيت جون كريستو فيها. يمكنك أن تتأكد من ذلك بنفسك".

استعادت توازنها من جديد، وهي واثقة من نفسها.

لم يجادلها جرائح في هذه النقطة أو يعيد الحديث فيها. نهض من مكانه.

قال لها مبتسماً: "يكفي ذلك في الوقت الراهن يا أنسة كراي".

سأل بطريقة رسمية للغاية:

"قلت إن دكتور كريستو أوصلك لمنزلك. كم كانت الساعة عندما غام منزلك؟"

"أنعرف؟ حقاً لا أستطيع أن أتذكر! لقد تحدثنا لبعض الوقت، لا أعرف أظن أن الوقت كان متأخراً".

"هل دخل منزلك؟"

"نعم قدمت له مشروباً".

"فهمت. أظن أن حديثكما حدث في - إرور - الجناح الملحق بحمام السباحة".

لاحظ ارتجاف جفنيها، لم تمر لحظة تردد قبل أن تقول له:

"أنت محقق بالفعل، أليس كذلك؟ نعم، جلسنا هناك ودخنا سجائر وتحدثنا لبعض الوقت، كيف عرفت ذلك؟"

بدأ على وجهها تعبير من الرضا والشفق كالذي يبدو على طفل ينتظر من يطلعه على حيلة ذكية.

"تركت الضراء الخاص بك هناك يا أنسة كراي". ثم أردف يقول دون تأكيد، "والكبيريت".

"نعم، فعلت ذلك".

قال لها المفتش دون تأكيد أيضاً: "لقد عاد دكتور كريستو إلى منزل هولو في الساعة الثالثة صباحاً".

بدت فيرونيكا متدهشة للغاية: "هل تأخرنا لهذه الدرجة؟"

"نعم، يا أنسة كراي".

"معقول، فقد تحدثنا كثيراً، لم نلتق منذ سنوات طويلة للغاية".

"هل أنت متأكدة أنه مرت فترة طويلة لم تري دكتور كريستو فيها؟"

"لقد أخبرتك للتو بأنني لم أراه منذ خمسة عشر عاماً".

"هل أنت واثقة تماماً من ذلك؟ ندي انطباع أنكما كنتما لتلقيان كثيراً".

"ما الذي يجعلك تتصور ذلك بحق الله؟"

"هذا صحيح، ولكن حتى إن لم تفعل، طالما أنه ليست هناك بصمات أصابع شخص آخر على المسدس، أعني أنها إن كانت قد أزيلت بعد استخدامها، فمن الممكن الشك فيها - وهذا هو ما أراد القاتل، أليس كذلك؟".

"هل هذا صحيح؟".

حلق جرانج.

"حسنًا، إذا ارتكبت جريمة قتل، قطعًا سوف تريد أن تلصق الجريمة بسرعة ومهارة بشخص ما، أليس كذلك؟ هذا سيكون التصرف الطبيعي للقاتل".

قال بوارو: "ذ-نعم، ولكن لعلنا أمام نوع غير معتاد من القتل، من المحتمل أن يكون هذا هو حل قضيتنا".

"ما الحل؟".

قال بوارو وهو غارق في التفكير:

"نوع غير معتاد من القتل".

نظر إليه المفتش جرانج بعين التساؤل. قال له:

"ولكن في هذه الحالة، ما الفكرة التي كانت تدور في ذهن القاتل؟ ما الذي كان يرمي/أو ترمي إليه؟".

أشاح بوارو بيديه وهو يتنهد.

"ليست لدي فكرة، ليست لدي فكرة على الإطلاق، ولكن يبدو لي - على نحو

غامض -

"نعم؟"

"أن القاتل هو شخص أراد أن يقتل جون كريستو، ولكنه لم يرد أن يلصق التهمة في جيردا كريستو".

"أه! لقد اتجهت أصابع الشك إليها على الفور".

"أها، نعم، ولكنها مسألة وقت قبل أن تتضح الحقائق المتعلقة بالمسدس، وهذا سيجعلنا نرى القضية من زاوية جديدة. وحتى يحدث ذلك، سيكون لدى القاتل وقت -". ثم توقف بوارو عن الكلام تمامًا.

خرج من منزل دوفيكوتس ومنه لمر ضيق، واتجه إلى بوابة منزل ريستيفين.

### ٣

حلق هيركيول بوارو في المفتش بدهشة شديدة. كرر بريية ما قاله له:

"المسدس الذي كانت جيردا كريستو تمسكه والذي سقط بعد ذلك في حمام السباحة لم يكن المسدس الذي خرجت منه الطلقة القاتلة؟ ولكن هذا غريب للغاية".

"بالضبط يا سيد بوارو. ولكن بصراحة، هذا غير منطقي".

تمتم بوارو يقول برفق:

"لا، هذا غير منطقي. ولكن رغم ذلك، يجب أن يكون منطقيًا، أليس كذلك؟"

تنهد المفتش بثقل وقال: "هذا كل ما في الأمر يا سيد بوارو. يجب أن نعلم على طريقة تجعله منطقيًا، ولكن في الوقت الراهن، لا أرى أي تفسير محتمل الحقيقة أننا لن نبتعد أكثر حتى نعرش على المسدس الذي استخدم. كان من ضمن مجموعة الأسلحة الخاصة بالسير هنري، هذا صحيح - على الأقل، هناك مسدس مفقود - وهذا يعني أن الأمر برتمه لا يزال متصلاً بمنزل هول".

تمتم بوارو يقول: "نعم. لا يزال متصلاً بمنزل هول".

تابع المفتش يقول: "بدت القضية بسيطة مباشرة، حسنًا، ولكنها ليست بهذه البساطة والمباشرة".

قال بوارو: "لا، ليست بسيطة".

يجب أن نضع في اعتبارنا أن هذا قد يكون فخًا؛ أعني أن يكون ذلك لتوريط جيردا كريستو. ولكن إن كان الأمر كذلك، فلماذا لم يترك القاتل المسدس الصحيح بجوار الجثة لكي تمسكه؟".

"لعلها لم تكن ستمسكه".

"وقت ليفعل ماذا؟"

"مرة أخرى يا صديقي يجب أن أعترف بأنني لا أعرف."

سار المفتش جرائح خطوة أو اثنتين في الغرفة، ثم توقف وقف أمام بوارو

"لقد جئت الآن يا سيد بوارو لسببين: الأول أنني أعرف - وهو أمر معروف

لدينا - أنك رجل له خبرة عريضة في حل ألفاظ كثيرة لقضايا مماثلة، أما السبب

الثاني فهو أنك كنت هناك، كنت شاهد عيان، رأيت ما حدث."

أوما بوارو برأسه.

"نعم، لقد رأيت ما حدث، ولكن العين أيها المفتش، شاهد لا يمكن الاعتماد

عليه كثيرًا."

"ما الذي تعنيه يا سيد بوارو؟"

"العين ترى أحيانًا، ما خطط لها أن تراه."

"هل تعتقد أن الأمر كان مخططًا له من قبل؟"

"أشك في ذلك، كان الوضع وكأنه مشهد مسرحي بالضبط. ما رأيته كان

واضحًا بالقدر الكافي. رجل أطلق النار عليه للتو، والمرأة التي أطلقت عليه

النار كانت تمسك المسدس الذي استخدمته لتوها. هذا ما رأيته، ونعرف بالفعل

أن الصورة أخطأت في نقطة معينة: وهي أن المسدس لم يكن المسدس الذي

استخدم في قتل جون كريستو."

قال المفتش جرائح وهو يشد شاربته بقوة لأسفل: "ممم، أريد أن تقول إن

باقي تفاصيل الصورة قد تكون مخطئة أيضًا؟"

أوما بوارو برأسه وقال:

"كان هناك ثلاثة أشخاص آخرين موجودين: ثلاثة بدوا وكأنهم وصلوا

لساحة الجريمة لتوهم؛ ولكن هذا قد لا يكون صحيحًا أيضًا. فحمام السباحة

محاط بمجموعة من أشجار الكسنة الكثيفة والمتشابكة. وهناك خمس طرق

مفتوحة تؤدي إلى حمام السباحة. أحدها يؤدي إلى المنزل، وآخر لأعلى ناحية

الغابات، وثالث لممر الزهور، ورابع من أسفل حمام السباحة إلى المزرعة، وآخر

إلى الممر الضيق هناك."

"وهؤلاء الأشخاص الثلاثة، جاء كل واحد منهم من طريق مختلف، جاء

أوارد أنجيكا كاتل من الغابات التي تطلوه، وجاءت الليدي أنجيكا كاتل من المزرعة،

وهيرينا سافريتك جاءت من ممر الزهور الذي يطل المنزل. وصل الثلاثة

وقعت وقوع الجريمة تقريبًا في وقت واحد، بعد لحظات قليلة من وصول جيردا

كريستو.

"ولكن أحد هؤلاء الأشخاص الثلاثة أيها المحقق، كان من الممكن أن

يصل إلى حمام السباحة قبل وصول جيردا كريستو، وكان بإمكانه أن يقتل جون

كريستو، ثم يتراجع للأمام أو للخلف ويسير في أحد الطرق المؤدية إليه،

ويثبت، ثم يصل في الوقت نفسه الذي وصل فيه البقية."

قال المفتش جرائح:

"نعم، هذا محتمل."

"وهناك احتمال آخر، لم يتضح لي وقت الجريمة، فقد يصل شخص ما

من طريق الممر الضيق، ويقتل جون كريستو، ثم يعود من الطريق نفسه دون

أن يراه أحد."

قال جرائح: "أنت محق تمامًا. إذن هناك شخصان آخران مشكوك بهما غير

جيردا كريستو. ولدينا الدافع نفسه تقريبًا: ألا وهو الغيرة، إنها قطعًا جريمة

عاطفية. فهناك سيدتان أخريان كانتا على علاقة بهجون كريستو."

صمت ثم قال:

"لقد ذهب جون إيرى فيرونيكا كراي في صباح ذلك اليوم، وتشاجرا معًا.

قالت له إنها سوف تجعله يندم على ما فعله، وقالت إنها تكرهه أكثر مما تصورت

أنه بإمكانها أن تكره أي شخص على الإطلاق."

تتمتع بوارو قليلًا: "مثير."

"إنها من هوليدو، ومما قرأت في الصحف، أعرف أنهم يجيدون إطلاق النار

استعدادًا لأدوار معينة، كان من الممكن أن تأتي لتأخذ الغزو الخاص بها، الذي

تركته في الجناح الملحق بحمام السباحة الليلة الماضية. ثم التقيا، فاشتعل

الأمر برعته على نحو مفاجئ - وأطلقت عليه النار - ثم سمعت صوت شخص

قادم، فهربت بسرعة من الطريق الذي جاءت منه."

ثم سكت للحظة وأردف يقول بانفعال:

"ثم نصل إلى نقطة التعقيد والتشابك. المسدس اللعين". صمت لحظات ثم أضاءت عيناه وهو يقول: "إلا إذا كانت قد أطلقت النار عليه بالمسدس الخاص بها، وأسقطت المسدس الذي سرقته من مكتب السير هنري لكي تثير الشك في أصحاب منزل مولو. فلها لم تكن تعرف أن بإمكاننا التعرف على المسدس من البصمات التي كانت عليه".

"لرى كم عدد الأشخاص الذين يعرفون ذلك؟".

"أوضحت الأمر للسير هنري. قال إنه يتصور أن عددًا كبيرًا من الناس يعرفون ذلك، مع الوضع في الاعتبار كل الروايات اليولييسية التي كتبت واستشهد بواحدة جديدة؛ لغز النافورة، التي قال إن جون كريستو نفسه كان يقرأها يوم السبت والتي تؤكد هذه النقطة تحديدًا".

"ولكن هيرونيكا كراي كان يجب أن تحصل على المسدس بطريقة ما من مكتب السير هنري".

أمسك المفتش مرة أخرى بشأريه ثم نظر إلى بوارو وقال له: "نعم. يعني ذلك سيق الترسد؛ ولكنك أشرت بنفسك إلى احتمال آخر يا سيد بوارو. فهناك الأنسة سافرنيك. وهنا نستعين بك كشاهد شهد الواقعة، أو بالأحرى سمعها. فقد قال دكتور كريستو وهو يحتضر: "هنريتا". لقد سمعته: الجميع سمعه. رغم أن السيد أنجيكا كل لا يبدو أنه سمع ما قاله".

"إدوارد أنجيكا كل لم يسمعه؟ هذا مثير".

"ولكن البقية سمعوه. وحتى الأنسة سافرنيك نفسها قالت إنه حاول أن يتحدث معها. وقالت الليدي أنجيكا كل إنه فتح عينيه، ورأى الأنسة سافرنيك وقال، "هنريتا". لا أظن أنها رأت أي أهمية لهذا الأمر".

ابتسم بوارو وقال: "لا، ولن ترى أهمية في هذا الأمر".

"الآن يا سيد بوارو، ماذا عنك؟ كنت هناك؛ رأيت، أو بالأحرى سمعت ذلك. هل كان دكتور كريستو يحاول أن يخبر الجميع بأن هنريتا هي من أطلقت النار عليه؟ باختصار هل كانت هذه الكلمة اتهامًا؟".

قال بوارو بترو:

"لم يخطر ببالي ذلك وقت الجريمة".

"والآن يا سيد بوارو؟ ما رأيك الآن؟".

سعد بوارو ثم قال بترو:

"لعل الأمر كان ذلك. لا أستطيع أن أجزم بذلك. أنت تسألني عن مجرد طماع، ولكن بعد مرور تلك اللحظة نميل لإسقاط معنى على الأمر لم يكن فيه من الأساس".

قال جرانيج بسرعة:

"بالطبع، كل هذا بعيد عن أية أوراق رسمية. فرأي السيد بوارو ليس دليلًا، رغم ذلك بالطبع. ولكنه مجرد مؤشر أحاول فهمه".

"أوه، أقهرك تمامًا. كما أن انطباع شاهد العيان قد يكون مفيدًا للغاية. ولكنني متواضع بالقدر الذي يجعلني أعترف بأن انطباعاتي ليست لها أي قيمة. لقد كنت أسيء فهم الوضع، بسبب الدليل المرئي؛ وأتصور أن السيدة كريستو سلطت النار لتوها على زوجها. لذلك عندما فتح دكتور كريستو عينيه وقال: "هنريتا"، لم يخطر ببالي أبدًا أنه اتهام. ولكن باسترجاع ما حدث، أميل الآن لاسماء نقطة على المشهد لم تكن موجودة فيه من الأساس".

قال جرانيج: "أعرف ما تعنيه. ولكن يبدو لي أنه بما أن آخر كلمة نطقها كريستو كانت "هنريتا"، فهي تعني بالضرورة واحدة من الاثنين، إما أن تكون اتهامًا بالقتل، أو أن يكون ناداها لسبب عاطفي محض، فقد كانت المرأة التي أحبها، وكان هو يحتضر. الآن، وبعد وضع كل شيء في الاعتبار، أي الخيارين يبدو منطقيًا من وجهة نظرك؟".

تهد بوارو، وتحرك في مكانه، وأغمض عينيه، ثم فتحهما من جديد، ومد يديه بطريقة تنم عن ضيق شديد. قال:

"كان صوته ملحًا - هذا كل ما أستطيع قوله - ملحًا. لم يبدو لي اتهامًا أو عاطفة، وإنما إلحاح، نعم؛ ولكنني واثق من شيء واحد. أنه كان في كامل وعيه، يحدث، نعم؛ تحدث وكأنه طبيب؛ طبيب بين يديه عملية جراحية مفاجئة، وكأنه

يسمع مريضاً ينزف حتى الموت، ربما"، ثم هز بوارو كتفيه وأردف يقول: "هذا أفضل مما يمكنني مساعدتك به".

قال المفتش: "طبية، أيه؟ حسناً، إنها طريقة ثالثة لرؤية المشهد. لقد أطلق عليه الرصاص، وشك أنه يحتضر، أراد عمل شيء لإسعافه بسرعة، وإذا كانت الأنسة سافرنيك - كما قالت الليدي أنجيكا - أول شخص رآته عيناه عندما فتحهما، فمن الطبيعى أن يلتمس المساعدة منها. رغم أن هذا التفسير ليس مرضياً تماماً".

قال بوارو بشيء من المرارة: "لا شيء في هذه القضية مرض".

مشهد قتل، معد ومحضر لخداع هيركيول بوارو. وقد نجح في ذلك، لا، هذا غير مرض.

كان المفتش جرانج يتطلع خارج النافذة.

قال: "مرحباً، لقد جاء الرقيب كلارك. يبدو كان لديه شيئاً ما. كان يحتفل مع الخادومات، النمسة الودودة، إنه ضابط وسيم، له طريقته الخاصة مع النساء" دخل الرقيب كلارك على الفور منقطع الأنفاس. كان من الواضح أنه راض عن نفسه، رغم أنه تكتم الحقيقة احتراماً لأداب المهنة.

"رأيت أنه من الأفضل أن أتى وأبلغك بما حدث يا سيدي، باعتبار أنني أعرف إلى أين ذهبت".

تردد قليلاً وهو ينظر برؤية إلى بوارو، الذي أهلقه مظهره الأجنبي وكان يتناهى مع التعظيم الذي يتطلبه واجبه.

قال جرانج: "تحدث يا صديقي، ليست هناك مشكلة من وجود السيد بوارو هنا. إنه يعرف قواعد اللعبة قبل أن تعرفها أنت بمسنوات عديدة".

"علم يا سيدي، إذا كان الأمر كذلك، لقد علمت شيئاً من خادمة المطبخ"

قاطعه جرانج، والتفت إلى بوارو بنشوة المنتصر.

"ماذا قلت لك؟ دائماً ما يكون هناك أمل طالما وجدت خادمة في المطبخ العناية الإلهية تساعدنا بوجود خادومات المطبخ. خادومات المطبخ يتحدثن، ويشرن. فهن يقيمن محبوسات في المطابخ مع الطاهي وعلية الخدم. فتدفعهن

الطبيعة البشرية للحديث عن كل ما يعرفه لمن يرغب في الاستماع. تكلم يا كلارك".

"هذا هو ما قالت الفتاة يا سيدي، إنه بعد ظهيرة يوم الأحد رأيت جادجون، فمر الخدم، يعبر الردهة ومعه مسدس في يده".

"جادجون؟"

"نعم يا سيدي". أشار لمذكرة في يده "قالت بالحرف "لا أعرف ماذا أفعل، ولكنني أظن أنني يجب أن أفصح عما رأيته في ذلك اليوم. لقد رأيت جادجون وأما في الردهة ومعه مسدس في يده، بدا شكل السيد جادجون غريباً للغاية بحق".

قال كلارك: "لا أظن أن الجزء المتعلق بمظهره الغريب تعني أي شيء. أغلب العن أنهما إضافة من نسج خيالها؛ ولكنني رأيت أنك يجب أن تعرف بذلك على الفور يا سيدي".

نهض المفتش جرانج من مكانه، وأمارات الرضا تبدو عليه كأنه رأى مهمة أمامه يجب عليه عملها على الفور.

قال: "جادجون؟ سوف أتحدث مع السيد جادجون على الفور".

كان سلاحاً عياره ٢٥ مم: صغيراً بعض الشيء. بالطبع لم يكن الممسدس الذي قبل به جون كريستو.

قال جرانج، وهو يثبت عينيه على وجه جادجون:  
"إنها طينجة أوتوماتيكية، وليست مسدساً".  
سعل جادجون.

"حُفَّ يا سيدي؟ أخشى أن أكون غير بارع في أنواع الأسلحة النارية. لملي استخدمت كلمة مسدس بعفوية يا سيدي".  
"ولكن هل أنت واثق أن هذا هو الممسدس الذي وجدته في الردهة وأحضرتَه إلى هنا؟".

"أوه، نعم يا سيدي، ليس لدي أدنى شك في ذلك".

أوقفه جرانج عندما مد يده ليمسك الممسدس.

"لا تلمسه أرجوك. يجب أن أفحصه وأرى بصمات الأصابع وما إذا كانت فيه دخيرة".

"لا أظنه معبأ يا سيدي. فالسير هنري لا يبقِي أي سلاح من أسلحته معبأ. وبالنسبة لبصمات الأصابع، فقد مسحته بمنديل قبل أن أعيده لمكانِي يا سيدي، هل تجد سوى بصمات أصابعي عليه".

سأله جرانج بحدّة: "لماذا فعلت ذلك؟".

ولكن ابتسامة جادجون المعتذرة لم تهدئه.

"ظننت أنه قد يكون غير نظيف يا سيدي".

افتتح الباب ودخلت الفيدى أنجيكا كل. ابتسمت إلى المفتش.

"لطيف أن أراك أيها المفتش جرانج! سمعت شيئاً عن مسدس وجادجون؟ الطفلة الموجودة في المطبخ غارقة في دموعها. كانت السيدة ميدواي توبخها، ولكن بالطبع كانت الفتاة محقة بأن تذكر ما رآته إن ظننت أن هذا هو الصواب. أما شخصياً دائماً ما أرى الصواب والخطأ أموراً محيرة للغاية. أعني عندما يكون الصواب غير مُرضٍ، ويكون الخطأ مقبولاً. أعرف ماذا أفعل، ولكن الأمر يكون

## العشرون

جلس المفتش جرانج مرة أخرى في مكتب السير هنري يحدق في وجه الرجل الهادئ الجالس أمامه.

حتى الآن، كان جادجون يتمتع بالسمعة الحسنة.

قال له: "أنا في غاية الأسف يا سيدي. أظن أنه كان عليّ أن أذكر ذلك، ولكن الأمر سقط من ذاكرتي".

نظر باعتدال إلى المفتش ثم إلى السير هنري.

"كان ذلك في حوالي ١٩٣٠ على حد ما أذكر. كنت أعبر الردهة لأرى ما إذا كانت هناك أي خطابات وصلت من البريد، عندما رأيت مسدساً موضوعاً على الطاولة الموجودة في الردهة. فاهتضت أنه من المجموعة الخاصة بسيدي، لذلك أمسكته وأعدته إلى هنا. لاحظت وجود مسافة خالية على الرف الذي يحلو المدفأة حيث كان موضوعاً، فأعدته إلى مكانه".

قال جرانج: "أرتي مكانه".

نهض جادجون وذهب إلى الرف الممتني، والمفتش خلفه مباشرة.

أشار جادجون بإصبعه إلى طينجة صغيرة موديل موسر في نهاية الصف: "هذا الممسدس يا سيدي".



"يجب أن تطلعينا على المزيد يا عزيزتي. ما زلت أنا والمفتش جرانج لا نفهم شيئاً".

"أوه": اعتذرت الليدي أنجيكا كل في جلستها لتوضح كلامها: "الطبنجة كانت في السلة، أسفل البيض".

"أي سلة وأي بيض يا سيدة أنجيكا كل؟".

"السلة التي ذهبت بها إلى المزرعة. كانت الطبنجة فيها، ثم وضعت البيض فوق الطبنجة ونسيت الأمر برمته. وعندما عثرنا على جون كريستو المسكين ميتاً بجوار حمام السباحة، كانت صدمة كبيرة، فسقطت السلة من يدي ولكن جادجون أمسكها في الوقت المناسب (لاحتوائها على البيض، أعني أنني لو كنت أسقطتها لتكسر البيض). وأعاد السلة إلى المنزل. وفي وقت لاحق طلبت منه أن يسجل التاريخ على البيض - الأمر الذي أفعله دوماً - حتى لا نأكل البيض اللاحد قبل البيض الأقدم - وقال إن كل شيء على ما يرام - والآن أذكر أنه أكد ذلك، وهذا هو ما أعنيه بأنه إقطاعي. عثر على الطبنجة وأعادها إلى هنا، لوجود رجال الشرطة في المنزل. ودائماً ما يلقب الخدم من رجال الشرطة. وجدت بصرقه، لطيفاً ومخلصاً للغاية، ولكنه كان غيباً للغاية بالطبع، لأنك تريد أن تسمع الحقيقة بالطبع أيها المفتش، أليس كذلك؟".

انتهت الليدي أنجيكا كل من روايتها بعد أن رسمت ابتسامة عريضة على شفتيها.

قال جرانج بعنف: "الحقيقة هي ما أريد أن أعرفه".

تنهدت الليدي أنجيكا كل.

"الأمر كله يبدو متشابكاً، أليس كذلك؟ أعني جريمة القتل التي تربط الجميع بالمكان. أيها كان الشخص الذي أطلق النار على جون كريستو، لا أظن أنه كان يريد أن يقتله: أنا واثقة من ذلك. أعني أنها لو كانت جيردا، أنا واثقة أنها لم تكن تريد ذلك. هي الحقيقة، أتعجب كثيراً لأنها لم تخطئ إصابته، ومثل هذا الأمر متوقع منها. وهي حقاً مخلوقة لطيفة للغاية. وإذا ذهبت ووضعتها في السجن وضيقها، فما الذي سيحدث لطفليها بحق الله. إذا كانت هي من أطلقت

محيراً عندما يحدث العكس، وأنا أعتقد أن كل شخص يجب أن يفعل ما يراه صواباً. ما الذي كنت تقوله عن تلك الطبنجة يا جادجون؟".

قال جادجون باحترام:

"الطبنجة كانت في الردهة يا سيدتي، على الطاولة الموجودة في المنتصف وليست لدي أي فكرة عن المكان الذي جاءت منه. فأحضرتها إلى هنا ووضعتها على الفور في مكانها. هذا هو ما قلته للتو للمفتش وتفهم الوضع".

هزت الليدي أنجيكا كل رأسها وقالت بلطف:

"لم يكن عليك أن تقول ذلك يا جادجون، سوف أتحدث مع المفتش بنفسه". صدرت عن جادجون حركة بسيطة، فقالت الليدي أنجيكا كل على نحو ساحر: "أقدر دوافعك يا جادجون. أعرف كيف تحاول دوماً أن نتقنا من المشاكل والمضايقات". ثم أردفت تقول وهي تصرفه: "يكفي ذلك الآن".

تردد جادجون، وألقى نظرة سريعة ناحية السير هنري ثم نظر إلى المفتش ثم انحنى واتجه ناحية الباب.

رفع جرانج ذراعه لكي يمنعه، ولكنه لسبب ما لم يتمكن من لمسها. أسقط ذراعه مرة أخرى، فخرج جادجون وأغلق الباب خلفه.

جلست الليدي أنجيكا كل على كرسيها وابتسمت للرجلين، ثم قالت من باب فتح الحديث:

"أتعرفان، لا أظن حقاً أن هذا التصرف كان جيداً من جادجون. تصرف إقطاعي، إذا فهمتما ما أعنيه. نعم إقطاعي هي الكلمة الصحيحة".

قال جرانج يتصلب:

"هل أفهم من ذلك يا سيدة أنجيكا كل أن لديك معرفة بهذا الأمر؟".

"بالطبع، فجادجون لم يجده في الردهة من الأساس. بل وجده عندما أخرج البيض من السلة".

حدق المفتش جرانج في الليدي أنجيكا كل وقال لها: "من السلة".

تصورت أن كل شيء أصبح واضحاً الآن تماماً. قال السير هنري برفق:

حلق جرائع فيها. لم تظهر أي إخراج، مجرد شغف طفولي، حيرة كثيرًا. لم يلق طوال حياته المهنية بشخصية مثل لوسي أنجيكا، ولم يعرف ماذا يفعل معها للحظة.

قال السير هنري: "زوجتي أيها المفتش، شاردة الفكر بطريقة لا تصدق".

قال السير جرائع: "هذا واضح يا سيدي". لم يقلها بطريقة لطيفة.

سأته اللبدي أنجيكا بطريقة تنم عن ثقته فيه: "لماذا تعتقد أنني أخذت ذلك الممدس؟".

"ليست لدي أدنى فكرة سيدة أنجيكا".

قالت اللبدي أنجيكا وهي مستغرقة في التفكير: "دخلت إلى هنا وأنا أتحدث إلى سيمونز عن أنشطة الواسل، ثم اتجهت بعد ذلك إلى المدفأة، وخطر على بالي أنني يجب أن تشتري قضيبًا جديدًا للنار؛ نحاسًا وليس قضيبًا حديديًا". نظر إليها المفتش جرائع يدهول. شعر بأن رأسه يدور.

"وأذكر أنني أمسكت الموسر، كانت طبنجة لطيفة صغيرة. طالما أحببتها، ثم أسقطتها في السلة، التي كنت أحضرها للتو من غرفة الزهور. ولكن كانت هناك أمور كثيرة في رأسي: سيمونز كما قلت لك، واللباب وأزهار الديرزي، وأمل أن تعد السيدة ميدواي فلودج جيدًا -

تدخل المفتش جرائع قائلاً: "فلودج؟"

"شيكولاتة، تضع البيض، ثم تقطعه بكريمة مخفوقة. تمامًا مثل الحلوى التي يجب أي شخص غريب أن يتناولها على الغداء".

تحدث المفتش جرائع بشكل عنيف للغاية وغلظة، كان يشعر مثلما يشعر رجل تخلص من شبك عناكب كبيرة كانت تشوش رؤيته.

"هل ملأته بذخيرة؟"

أصل أن يفاجئها سؤاله: لمعه يخيفها حتى قليلاً، ولكن اللبدي أنجيكا فكرت في السؤال قليلاً بياس.

"والآن هل فعلت؟ هذا غياف شديد. لا أذكر. ولكنني أظن أنني فعلت بالتأكيد، لا أظن ذلك أيها المفتش؟ أعني ما الهدف من وجود طبنجة لا ذخيرة فيها؟

النار على جون، فهي أغلب الظن حزمة على ذلك الآن جدًا. يكفي جدًا بالنسبة للطفلين أن يقتل والدهما، ولكن بالطبع سيكون الوضع أسوأ بكثير أن تقتل والدتهما لذلك، أحيانًا لا أظن أنكم رجال الشرطة، تفكرون في هذه الأمور".

"إننا لا نفكر في إلقاء القبض على شخص ما في الوقت الراهن سيدة أنجيكا". "حسنًا، هذا منطقي، ولكنني طوال الوقت أيها المفتش جرائع وأنا أفكر أنك إنسان منطقي للغاية".

مرة أخرى، ارتسمت على شفتيها الابتسامة الساحرة الرائعة نفسها.

رمش المفتش جرائع قليلاً. لم يستطع أن يفهم أي شيء مما قالت، فحسم موقفه ووصل إلى مربط الفرس.

"كما قلت تمامًا الآن يا سيدة أنجيكا، الحقيقة هي ما أريد معرفته. أخذت الطبنجة من هنا، أي واحدة كانت بالمناسبة؟" أومأت اللبدي أنجيكا لرأسها ناحية الرف الذي يعلو المدفأة. "ثاني ممدس من النهاية. طراز موسر ٢٥ مم" شعر جرائع بشيء منزعج في الطريقة العملية والباردة التي تحدثت بها. لم يتخيل سبب ما أن اللبدي أنجيكا، التي كان يصنفها في عقله باعتبارها "غامضة" و"معتوهة بعض الشيء"، تتحدث عن الأسلحة النارية بهذه الدقة والمعرفة.

"أخذت الطبنجة من هنا ووضعتها في سلتك. لماذا؟"

قالت اللبدي أنجيكا: "كنت أعرف أنك ستأخذني هذا السؤال". تحدثت بنبرة المنتصرة تقريبًا على نحو مفاجئ: "وبالطبع يجب أن يكون لدي سبب ما ألا تعتقد ذلك يا هنري؟" التفتت لزوجها وقالت له: "ألا ترى أنه يجب أن يكون هناك سبب يجعلني أخذ الطبنجة صباح ذلك اليوم؟".

قال السير هنري بصراحة: "بالطبع يا عزيزتي يجب أن يكون هناك سبب لذلك".

قالت اللبدي أنجيكا، وهي تحقق النظر أمامها وهي غارقة في التفكير: "المرء يفعل أشياء، ولا يتذكر لماذا فعلها؛ ولكنني أعتقد أيها المفتش أنه دالما ما يكون هناك سبب، فقط إذا نجح في التوصل إليه. قطعًا كانت هناك فكرة ما في رأسي عندما وضعت الطبنجة في سلة البيض".

على فرض أنها هي من أطلقت النار على جون كريستو؟ (ولكن لماذا تفعل؟ لم ير سيبا واضحاً). هل سيدعمونها ويقصون أكاذيب من أجلها؟ انتابه إحساس غير مريح بأن هذا بالضبط هو ما سيفعلونه.

والآن تلك الرواية الرائعة التي ذكرتها عن عدم قدرتها على التذكر: بالطبع كان يمكنها أن تفكر في شيء أفضل من ذلك. ولكنها كانت تبدو طبيعية للغاية ولم تشعر بأي إحراج أو ارتباك حيال ذلك. اللعنة على كل ذلك، إنها تعطيك انطباعاً أنها قالت الحقيقة بالحرف.

نهض من مكانه.

قال لها على نحو جاف: "عندما تذكرين المزيد، أرجو أن تخبريني يا سيدة أنجيكاثل".

أجابته قائلة: "بالطبع سأفعل أيها المفتش، فأحياناً ما أتذكر بعض الأمور على نحو مفاجئ تماماً".

خرج جرانج من المكتب إلى الردهة، وهناك أدخل إصبعه داخل ياقة القميص وأخذ نفساً عميقاً.

شعر بأن الأنفاز الشائكة تحيطه من كل اتجاه. كان يحتاج إلى أقدام وأقذر غليون لديه، وقدحاً من الشراب، وشريحة لحم طازجة وبعض رقائق الشيبسي، شيء واضح وموضوعي.

أتمنى لو تذكرت بالضبط ما الذي كان يدور في رأسي في ذلك الوقت".

قال السير هنري: "عزيزتي لوسي، الذي كان يدور في رأسك أو لا يدور هو مصدر يأس كل من عرفك منذ سنوات".

رغمته بإبتسامة حلوة للغاية.

"أحاول أن أتذكر يا عزيزي هنري، المرء يفعل أشياء غريبة. أمسكت سماعة الهاتف في الصباح السابق ووجدت نفسي أنظر إليه بنظرة حائرة. لم أفهم ماذا كنت أريد أن أفعل بها".

قال المفتش ببرود: "المفترض أنك كنت ستتصلين بشخص ما".

"لا، وهذا هو القريب في الأمر، لم أكن أتصل بشخص ما. تذكرت بعد ذلك أنني كنت أتساءل لماذا أمسكت السيدة ميرز - زوجة البستاني - طفلها الرضيع بتلك الطريقة الغريبة، وأمسكت سماعة الهاتف لكي أجرب كيف يمسك شخص طفلاً رضيعاً، ثم أدركت بالطبع أن الأمر بدا غريباً لأن السيدة ميرز تستخدم يدها اليسرى، ويجب أن تدير رأسه".

تبادلت نظرات الانتصار بين السير هنري والمفتش.

قال المفتش: "حسناً، أظن أنه من المحتمل أن يكون هناك أشخاص مثلها" ولكنه لم يكن واثقاً من ذلك تماماً.

أدرك أن الأمر برهته قد يكون مجموعة من الأكاذيب. خادمة المطبخ - على سبيل المثال - أكدت بما لا يدع مجالاً للشك أنه المسدس الذي كان جادجون يحمله. ولكن هذه المعلومة لم تفده كثيراً، فالفتاة لا تعرف أي شيء عن الأسلحة النارية. سمعت بعض الكلام عن مسدس وأن له علاقة بجريمة قتل، وليس هناك فرق بين المسدس والطبخة بالنسبة لها.

وكل من جادجون والليدي أنجيكاثل حددا الطبخة الموسر نفسها، ولكن ليس هناك شيء يثبت كلاهما. لعله بالفعل المسدس المفقود وأن جادجون أعاده - ليس إلى المكتب - وإنما إلى الليدي أنجيكاثل نفسها. يبدو أن كل الخدم فقدوا عقولهم بسبب السيدة اللعينة.

"من الذي سيعاني من - الحادث؟".

حركت لوسي رأسها قليلاً، ونظرت إليه في دهشة.

"جون كريستو بالطبع".

قاطع كلامها قائلاً: "يا إلهي يا لوسي -".

قالت بجديّة: "أوه هنري، كنت قلقة للغاية يا هنري على إينزويك".

"فهمت، إينزويك. لطالما اهتمت أكثر من اللازم بشأن إينزويك".

"إدوارد وديفيد هما آخر من تبقى من آل أنجيكاكال. وديفيد لن يفي بالفرص

با هنري. سوف يحصل على المنزل بعد موت إدوارد، وهو لن يتزوج، وسوف أموت

أنا وأنت قبل حتى أن يصل لمنتصف العمر. سوف يكون آخر من تبقى من آل

أنجيكاكال، وسوف يختفي الأمر تمامًا بعد ذلك".

"هل الأمر يهكم لهذه الدرجة يا لوسي؟".

"بالطبع يهمني (إينزويك)".

"كان ينبغي أن تكوني صبيًا يا لوسي".

ارتسمت على شفثيه ابتسامة بسيطة، فهو لم يتخيل لوسي أبدًا سوى أن تكون

أنثى.

"الأمر كله يتوقف على زواج إدوارد، وإدوارد عنيد للغاية، رأسه طويل جدًا؛

تمامًا مثل رأس أبي. تمنيت لو يشفى من حبه لهنريتا ويتزوج أي فتاة لطيفة،

ولكنني أرى الآن أن هذا لا طائل منه. ثم فكرت أن علاقة هنريتا بجون سوف

سير بالطريقة المعتادة. فعلاقات جون كما تصورت لم تكن دائمة أبدًا. ولكنني

رأيتُه ينظر إليها في ذلك المساء. كان يهتم بها بحق. فقط لو اهتم جون عن

طريقها، شعرت بأنها قد تتزوج من إدوارد. فهي ليست من الأشخاص الذين

يحبون الذكرى ويعيشون في الماضي. أفهمت، وهكذا وصل الأمر لهذه النقطة،

التخلص من جون كريستو".

"لوسي، ثم تفعلني، ما الذي فعلته يا لوسي؟".

ذهبت لوسي أنجيكاكال من مكانها مرة أخرى. أخرجت زهرتين جافتين من

الزهرية.

## الحادي والعشرون

في غرفة المكتب: أخذت الليدي أنجيكاكال تتحرك في الغرفة وتلمس الأشياء هنا

وهناك بسيابتها على نحو غامض. جلس السير هنري على كرسيه يراقبها. ثم

قال لها أخيرًا:

"لماذا أخذت الطينجة يا لوسي؟".

اقتربت الليدي أنجيكاكال منه وجلست على كرسى بطريقة جميلة.

"لست واثقة تمامًا يا هنري. أظن أنه خطرت على بالي أفكار غامضة عن

حادثه".

"حادثه؟".

"نعم". ثم أردفت الليدي أنجيكاكال تقول على نحو غامض: "نعم. جدران

كل تلك الأشجار البارزة، من السهل للغاية أن تعتثر في إحداها. لعل المرء يمكنه

أن يطلق بعض الطلقات على الهدف فيتسبب في قتل شخص ما ويظهر اسمه

في المجلات. استهتار بالطبع، ولكن الناس مستهترون. لطالما فكرت أن وقوع

حادثة سيكون أسهل طريقة لعمل شيء كهذا. بالطبع سيحزن المرء لذلك كثيرًا،

ويلوم نفسه...".

أخذ صوتها ينخفض على نحو تدريجي. وزوجها جالس في مكانه في هدوء

دون أن يرفع عينيه من على وجهها، ثم تحدث مرة أخرى بالصوت الهادئ الحذر

نفسه.

قالت له: "عزيزي، لن نتخيل للحظة - أليس كذلك - أنني أطلقت النار على جون كريستو؟ لقد خطرت على بالي تلك الفكرة السيئة حول وقوع حادثة. ولكنني تذكرت أننا طلبنا من جون كريستو الحضور إلى هنا، ولم يكن هنا من تقدم بهذا الاقتراح. ولا يمكن أن نطلب من شخص ما أن ينزل ضيفاً عندنا، ثم نعد له حوادث، فحتى أكثر الضموب تخلفاً يهتمون بآكرام الضيف. لذلك لا تغلق يا هنري، هل أنت قلق؟"

وقفت تحديق النظر فيه وعلى وجهها ابتسامة رائعة عطوف.

قال لها بشدة:

"لطالما كنت قلقاً عليك، يا لوسي."

"ليست بك حاجة لأن تكون كذلك يا عزيزي. وكما ترى، كل شيء سار بطريقة جيدة. ثم التلخص من جون دون أي تدخل من جانبنا. هذا يذكرني" صممت للحظات وهي تسترجع ذاكرتها، "بذلك الرجل في بومباي الذي كان وفقاً للغاية معي، ثم دهسه القطار بعد ذلك بثلاثة أيام."

فتحت النافذة الفرنسية وخرجت إلى الحديقة.

جلس السير هنري في مكانه، يراقب قائمتها الطويلة النحيفة وهي تسير في الخارج. بدا عجوزاً ومتعباً، كان وجهه يعكس ملامح من يعتريه خوف شديد.

في المطبخ، كانت دموع دوريس أموت تتساب على وجنتيها من توبيخ السيد جادجون العنيف. أما السيدة ميدواي والأنسة سيمونز فقد لمبتاً دور الجوفة اليونانية.

"تقدمت بنفلسك وقررت لنتائج بطريفة لا تفعلها سوى فتاة ليس لديها أية خبرة."

قالت السيدة ميدواي: "هذا صحيح."

"إذا رأيتني أمسك طبنجة في يدي، أفضل شيء تفعله هو أن تأتي لي وتقول: سيد جادجون، هل تكرم وتقدم لي تفسيراً لهذا التصرف؟"

تدخلت السيدة ميدواي تقول: "أو كان بإمكانك أن تأتي لي، فدلنا ما نكون مستعدة لأخير فتاة صغيرة لا تعرف العالم بما ينبغي أن تفعله."

قال جادجون بقسوة: "ولكن ما لم تقوم بفعله، هو أن تثرثري مع أحد رجال الشرطة، وراقب أيضاً لا تتحدثي أبداً مع رجال الشرطة سوى في أضيق الحدود. يكفي الألم الذي يسببه تواجدهم في المنزل."

تمتعت الأنسة سيمونز تقول: "ألم لا بوصف."

"أمر كهذا لم يحدث لي من قبل أبداً."

تابع جادجون يقول: "جميعنا نعرف سيدتنا. لا شيء تفعله أبداً يضاغطني، ولكن رجال الشرطة لا يمرضون سيادتها كما نمرضها، ولا يجب إشغال سيادتها بأسئلة سيئة واتهامات لا أساس لها لمجرد أنها تتجول في المنزل ومعهما أسلحة نارية. فهي تفعل مثل هذه الأمور، ولكن الشرطة لها عقل لا يرى سوى القتل وأمور مروعة كهذه. وسيادتها عقلاً شارد ولكنها لا تستطيع أن تؤذي ذباباً، ولكن لا أحد ينكر أنها تضع الأشياء في أماكن مضحكة. لن أنسى أبداً" - قال وهو مبتسم بعض الشيء: "عندما أحضرت ثوغاً من السمك ووضعت في عربة الشاي في الرحلة. تصورت أن عيني تخدعنا نني."

قالت سيمونز متسائلة: "قطعا حدث ذلك قبل مجيئي."

أمام إقضاء أمر كهذا، اكتفت السيدة ميدواي بإلقاء نظرة على دوريس المخلطة.

قالت: "ستحدث في ذلك في وقت آخر. والآن يا دوريس، إننا نتحدث معك حرصاً على مصلحتك. من المعتاد أن تشبكي مع رجال الشرطة، ولا تنسي ذلك. بإمكانك أن تتابعي إعداد الخضراوات الآن، وكوني أكثر حذراً في إعداد اللوبيا ولا تعديها كالليلة السابقة."

مسحت دوريس دموعها.

قالت: "حاضر يا سيدة ميدواي"، ثم سارت بخطى متثاقلة إلى الحوض.

قالت السيدة ميدواي متوقفة الشر:

"لا أشعر بأنني سأجيد عمل المكرونة اليوم. ذلك التحقيق اللعين الذي سيجري غداً. أشعر بالدوار في كل مرة أفكر فيه. أمر كهذا، يحدث معنا."

"والأمر كله كان غريباً للغاية بحق -".

توقفت عن الكلام.

"أغلب الناس لن يصدقوا ذلك، ولكنك ستصدقني على ما أظن، لأن لديك فكرة عن الطبيعة الإنسانية".

اعترف بوارو قائلاً: "أعرف القليل عن الطبيعة الإنسانية".

"لقد جاء المفتش جرانج ليبراني. هو مفتتح أنني تشاجرت مع جون، وهو امر حقيقي بالمناسبة ولكنه ليس بالمعنى الذي يتصوره. أخبرته بأنني لم أُرَ من طول خمسة عشر عاماً، ولكنه ببساطة لم يصدقني، ولكن هذا صحيح يا سيد بوارو".

قال بوارو: "بما أنه صحيح، فمن السهل إثبات ذلك، فلماذا القلق إذن؟".

قابلت ابتسامته بطريقة ودودة للغاية.

"الحقيقة أنني لم أجرؤ أن أطلع المفتش على ما حدث مساء يوم السبت بالضبط. أغلب الظن أنه لم يكن ليصدق ما حدث. ولكنني شعرت بأنني يجب أن أبحث مع شخص ما. ولهذا العيب جئت إليك".

قال بوارو يهدوء: "أشعر بالإطراء".

تعاملت مع هذه الحقيقة - كما لاحظ - باعتبارها أمراً مسلماً به. وجدها جيدة ثقت تماماً في الأمر الذي تحدثته في الآخرين. واثقة لحد مضط في ذلك لدرجة قد تجعلها - من حين لآخر - ترتكب خطأ.

"كنت أنا وجون نثوي الزواج منذ خمسة عشر عاماً مضت. كان جون يحميني لدرجة الجنون، إلى حد كبير حقاً لدرجة كانت تخيفني أحياناً. كان يريدني أن أبقى عن التمشيل، ألا تكون لي أفكار أو حياة خاصة بي. كان يريد أن يملكني ويصبح سيذاً لي، فلم أستطع أن أقبل ذلك، ففسخت خطبتي منه، ولكن أخشى أنه تعامل مع الأمر بجديّة بالغة".

أصدر بوارو صوتاً حذراً ومتعاطفاً.

"لم أره من جديد حتى ليلة السبت السابقة. أوصلني إلى المنزل. وقلت للمفتش إننا تحدثنا عن الأيام الخوالي، وهذا صحيح نوعاً ما. ولكن كان هناك ما هو أكثر من ذلك".

## الثاني والعشرون

تطلق مزلاج البوابة، فتظهر بوارو من النافذة ليرى من الزائر الذي أتى من الطريق المؤدي للباب الأمامي. وعلى الفور علم من كانت. تساءل كثيراً عما دفع فيرونیکا كراي لرؤيته.

أدخل شذى عطرها رائحة ذكية على الفرقة، شذى عرفه بوارو على الفور. كانت ترتدي كنزة من التويد وحذاء البروج الأيرلندي كالذي كانت هنريتا ترتديه، ولكنها كانت - كما وجدها - مختلفة تماماً عن هنريتا.

قالت بنبرة مبتهجة، مرتعشة بعض الشيء: "سيد بوارو. لقد اكتشفت مؤخرًا أنك جاري. ولطالما كنت أريد أن أتعرف إليك".

أمسك يدها التي كانت تمدّها نحوه، واتعنى أمامها.

"هذا من دواعي سروري يا سيدتي".

بادلته ابتسامة الاحترام التي ألغاهما إليها، ورفضت عرضه بتناول الشاي أو القهوة أو العصير.

"لا، جئت فقط لكي أتحدث معك. لننتحدث بجد. أنا خالفة".

"خالفة؟ أسف لسماع ذلك".

جلست فيرونیکا وتنهدت ثم قالت: "التحقيق غداً، أتعرف ذلك؟".

"نعم، نعم، أعرف".

"نعم؟"

"لقد جن جون، جن تمامًا. أراد أن يترك زوجته وطفليه، أرادني أن أحصل على طلاق من زوجي وأن أتزوجه. قال إنه لم ينسني أبدًا، وأنه عندما رأيته تجمد الوقت."

أغمضت عينيها، وابتلمت ريقها. بدا وجهها شاحبًا للغاية أسفل الزينة التي كانت تضعها.

فتحت عينيها من جديد وابتسمت بخجل إلى بوارو.  
سألته قائلة: "هل تصديق ذلك إحساس كهذا ممكن؟"

قال بوارو: "أظنه ممكنًا."

"ولا تنس أبدًا - الاستمرار في الانتظار - والتخطيط، ولا أمل. أن تقرر من كل قلبك وعقلك أن تحصل على ما تريده في النهاية. هناك رجال على هذه الشاكلة يا سيد بوارو."

"نعم، ونساء أيضًا."

رمقته بنظرة جامدة.

"أنا أحدث عن الرجال، عن جون كريستو. حسنًا، كان على هذا النحو. اعترضت في البداية، وضحكت، ورفضت أن أخذ كلامه على محمل الجد. ثم أخبرته بأنه فقد عقله. كان الوقت قد تأخر كثيرًا عندما عاد إلى منزله. ظللنا نتجادل ونتجادل، ولكنه ظل متمسكًا برأيه."

ابتلمت ريقها مرة أخرى.

"لهذا السبب أرسلت إليه برقية في صباح اليوم التالي. لم أستطع أن أترك الأمور على هذا النحو. كنت مضطرة لأن أجعله يدرك أن ما يريده مستحيل."  
"هل كان مستحيلًا؟"

"بالطبع كان مستحيلًا فجاء إلي، ولكنه لم يستمع لما قلته له. كان مصرًا على رأيه. قلت له إنه هذا غير مفيد، وأنني لم أحبه، وأنني أكرهه..." صمتت قليلاً وتنفست بصعوبة ثم أردفت تقول: "كان يجب أن أقسو عليه. لذلك افترقنا وكل منا غاضب... والأمن - مات."

لاحظ أن يديها ترتعشان، وهي تطقطق أصابعها، وعروق يديها نازفة. كانت يداها كبيرتين؛ فاسيتين للغاية.

أظهرت للمشاعر القوية نفسها التي شعرت بها أمامه. لم يكن ندماً، ولا حزنًا، لا كان غضبًا. وجدته غضبًا ذاتيًا محبطًا.

قالت بعدما سيطرت على نفسها وهذأت قليلًا: "حسنًا يا سيد بوارو؟ ماذا أفعل؟ أقول الحقيقة، أو أبقيها لنفسها؟ هذا هو ما حدث، ولكنه يحتاج إلى من يصدقه."

رمقها بوارو بنظرة طويلة متأملة.

لم ير أن فيرونیکا كراي تقول الحقيقة، ورغم ذلك كان يشعر بصدق خفي لا سبيل لإبتكاره. رأى أن هذا هو ما حدث، ولكنه لم يحدث على هذا النحو.

وفجأة فهم الحقيقة، إنها تقول الحقيقة، ولكن معكوسة. فهي التي عجزت عن نسيان جون كريستو. فقد صدمها جون برفضه إياها. والآن، لم تستطع أن تتحمل في صمت الغضب الشديد الذي تستشعره أنثى متوحشة حرمت مما ترى أنه فريستها الشرعية، فخلقت صورة من الحقيقة تداوي جرحها الفاتر، وتهديء تعطشها لرجل أفلت من بين براثنها. من المستحيل أن تعترف بأنها - فيرونیکا كراي - لم تحصل على ما أرادت! لذلك قلبت الحقائق.

أخذ بوارو نفسًا عميقًا وبدأ في الحديث.

"إذا كان لكل ذلك علاقة بوفاة جون كريستو، فيجب أن نتحدث، ولكن إن لم يكن الأمر كذلك، ولا أرى سببًا يجعل له علاقة بوفاته، فأنا أتصور أنه من المنطقي تمامًا أن تحتفظي بذلك لنفسك."

تساءل عما إذا كانت تشعر بالإحباط. خطرت بباله فكرة أنه في حالتها الحالية سوف تسرع بإفشاء روايتها ونشرها في صفحات الصحف والمجلات. لقد جاءته: لماذا؟ لكي تجرب الرواية؟ لتختبر رد فعله؟ أو لكي تستخدمه، وتقريه بتمريض هذه القصة لرجال الشرطة؟

إذا كانت استجابته الخفيفة أحيطتها، فقد نجحت في إخفاء مشاعرها. نهضت من مكانها ومدت إليها إحدى يديها الطويلتين مهدبتي الأظافر على نحو جيد.

"شكرًا لك يا سيد بوارو. ما تقوله يبدو منطقيًا للغاية. أنا سعيدة للغاية أنني جئتلك. شعرت بأنني أريد أن أتحدث مع شخص ذي خبرة".  
"أقدر ثقتك يا سيدتي".

بعدما خرجت من المنزل، فتح النافذة قليلاً. أثر فيه عطرها. لم يمجبه عطر فيرونيكا كراي. كان باهظًا، ولكنه نفاذ بطريقة مزعجة.

تساءل في نفسه وهو يسدل الستائر، عما إذا كانت فيرونيكا كراي قتلت جون كريستو.

رأى أنها كانت مستعدة لأن تقتله. كانت ستستمتع بالضغط على الزناد، كانت ستستمتع برؤيته يتمايل ثم يسقط على الأرض.

ولكن وراء هذا الغضب الانتقامي كان هناك شيء يتحين الفرص، شيء يظهر ذكاءً باردًا ومحسوسًا. مهما كانت فيرونيكا كراي ترغب في قتل جون كريستو، ساوره شك فيما إذا كانت قد تقدم على هذه المخاطرة.

## الثالث والعشرون

انتهى التحقيق، كان رسميًا لأبعد درجة، ورغم التحذير بذلك مقدمًا، كان الجميع تقريبًا يشعر بإحساس سيئ بخيبة الأمل.

وتم تأجيل التحقيق خمسة عشر يومًا أخرى بناءً على طلب الشرطة.

قادت جيردا سيارة ديملر استأجرتها من لندن وصحبته السيدة باترسون. كانت ترتدي ثوبًا أسود وقبعة غير لائقة، وكانت تبدو متوترة ومرتبكة.

وبينما كانت جيردا تستعد لركوب سيارتها الديملر، توقفت قليلاً عندما حاهتها الليدي أنجيكا تاتل.

"كيف حالك يا جيردا يا عزيزتي؟ يبدو أنك لا تنامين بشكل جيد. أظن أن الأمر سار على نحو جيد كما كنا نتمنى، ألا توافقيني الرأي؟ أنا غاية في الأسف أننا لم ندعك للإقامة معنا في منزل هولو، ولكنني أفهم تمامًا كم سيكون هذا الأمر مؤلمًا بالنسبة لك".

قالت السيدة باترسون بصوتها الواضح، بعد أن رعت أختها بنظرة تأنيب لأنها لم تقدمها بالشكل اللائق.

"كانت هذه فكرة الآنسة كولنز، أن تأتي للتحقيق مباشرة ونعود من حيث أتينا. أمر مكلف بالطبع، ولكننا وجدنا الأمر يستحق ذلك".



مفأ". فأجابته مِيدج أن هذا سيكون تطبيقاً للغاية ولكنه ليس بإمكانها أن تأخذ راحة سوى ساعة واحدة، فنظر إليها إدوارد ميتسماً وقال لها:

"أوه، إنها مناسبة خاصة. أنا واثق أنهم سيتفهمون".

ثم تحرك ناحية هنريتا وقال لها: "سأتصل بك يا هنريتا".

"حسناً يا إدوارد، ولكنني ساكون في الخارج لفترة طويلة".

"الخارج؟"

نظرت إليه بسرعة وعلى شفيتها ابتسامة ساخرة.

"أغرق أحزاني. لا تنتظر مني أن أجلس في المنزل لأحزاني وأمالي؟ هل تنتظر مني ذلك؟"

قال بيطة: "لم أعد أفهمك هذه الأيام، يا هنريتا. أنت مختلفة تماماً".

هدأ وجهها، ثم قالت على نحو غير متوقع: "عزيزي إدوارد"، ثم ضغطت بسرعة على ذراعه.

بعد ذلك عادت إلى لوسي أنجيكا وكالت لها: "بإمكانني أن أعود لو شئت يا لوسي، أليس كذلك؟"

قالت لوسي أنجيكا كالت: "بالطبع يا عزيزتي. وعلى أية حال، سوف أجزى بحفيظ آخر بعد أسبوعين".

اتجهت هنريتا لحيث أوقفت سيارتها في ميدان السوق، كانت حفاظها وحفاظ مِيدج في السيارة بالفعل.

ركبتا السيارة وانطلقا.

صعدت السيارة التل العالي ثم ظهرت على طريق الجسر. كانت أوراق الأشجار البنية والذهبية ترتعش قليلاً من برودة يوم خريفي معتم.

قالت مِيدج على نحو مفاجئ: "أنا سعيدة أنني هربت، حتى من لوسي. رغم أنني أحبها، ولكنها تخيفني وتصيبني بالتوتر في بعض الأحيان".

كانت هنريتا تعتمد النظر في مرآة القيادة الأمامية الصغيرة.

قالت وهي شاردة الذهن قليلاً:

"لوسي يجب أن تضع لمستها الخاصة - حتى في القتل".

"أوه، أوافقك الرأي تماماً".

خففت السيدة باترسون صوتها.

"سوف أخذ جيردا والطفلين إلى بيكسهيل مباشرة. كل ما تحتاج إليه هو الراحة والهدوء. الصحفيون ليست لديهم أدنى فكرة كم هم مرعجون! إنهم يطوفون في كل مكان بشارع هارلي".

وعلى الفور ظهر رجل شاب ومعه كاميرا أمامها، فدفعت لوسي باترسون أختها إلى السيارة وانطلقا بسرعة.

نظر البقية للحظة إلى وجه جيردا الذي احتجب أسفل القبة غير الثلاثة التي كانت ترتديها. كانت خالية، ضالعة، بدت وكأنها طفلة بلهاء.

تمتمت مِيدج كاستل تقول: "شيطانة مسكينة".

قال إدوارد متضايقاً:

"ما الذي كان الجميع يرونه في كريستو؟ هذه المرأة البائسة تبدو محطمة القلب تماماً".

قالت مِيدج: "كانت تعشق بدرجة جنونية".

"ولكن لماذا؟ كان رجلاً أنانياً، صحيح أن صحبته كانت طيبة، ولكن توقف عن الكلام ثم سأله: "ماذا كانوا يرون فيه يا مِيدج؟"

قالت مِيدج متاملة: "أنا؟" صمتت قليلاً ثم قالت في النهاية، وكأنها مندهشة من كلماتها: "أظن أنني كنت أحترمه".

"تحتزمينه؟ علام؟"

"حسناً، كان كفئاً في عمله".

"أنت تقيمينه بصفته طبيباً؟"

"نعم".

لم يكن هناك وقت لأكثر من ذلك.

كانت هنريتا تقود السيارة لتعيد مِيدج إلى لندن بسيارتها. وكان إدوارد سيعود إلى منزل هولو ليتناول الغداء ثم يتجه لمحطة القطار ليلحق بقطار ما بعد الظهر مع ديفيد، قال على نحو غامض لمِيدج: "يجب أن نخرج ونتناول الغداء"

"أتململين، لم أفكر في القتل من قبل".

"ولماذا تفعلين؟ هذا ليس بالأمر الذي يفكر فيه أي إنسان طبيعي، يكتب أن تنفكري فيها باعتبارها كلمة من ثلاثة أحرف في أحجية كلمات، أو تسلية ممتعة بين طيبي كتاب؛ ولكن القتل الحقيقي -"

توقفت عن الكلام، فأنهت ميدج عبارتها قائلة: "حقيقي. وهذا هو ما يدهشني".

قالت هنريتا:

"لا حاجة للأندهاش. أنت خارج ذلك، ربما تكونين الوحيدة البعيدة عن هذا الأمر".

قالت ميدج:

"جميعنا أصبحنا خارجه، لقد خرجنا منه".

تمتعت هنريتا تقول: "هل هذا صحيح؟".

كانت تنظر في مرآة القيادة مرة أخرى. وفجأة، وضعت قدمها على دواسة الوقود، فأزادت سرعة السيارة، ثم نظرت لعداد السرعة. كانت تتجاوز الخمسين، وعلى الفور وصل المؤشر إلى المئتين.

نظرت ميدج إلى هنريتا. ليست من عادة هنريتا أن تقود بتهور. صحيح أنها كانت تحب السرعة، ولكن الطريق المتعرج لم يكن يتطلب السرعة التي كانت تسير بها. كانت هناك ابتسامة شرسة بادية على شفتيها.

قالت: "انظري خلفك يا ميدج، هل ترين السيارة البعيدة تلك؟".

"نعم".

"إنها من طراز فينتور ١٠".

"هل هذا صحيح؟". لم تكن ميدج تهتم بموديلات السيارات.

"إنها سيارات صغيرة مفيدة، لا تستهلك الكثير من الوقود، وتسير بسلاسة على الطريق، ولكنها ليست سريعة".

"لا".

غريب، كم هو غريب إعجاب هنريتا الدائم بالسيارات وبأدائها.

"كما قلت لك إنها ليست سريعة، ولكن هذه السيارة يا ميدج، نجحت في الحفاظ على المسافة الموجودة بيننا، رغم أننا تجاوزنا الستين".

نظرت ميدج باستغراب إليها.

"أتعنين -"

أومات هنريتا برأسها: "أظن أن الشرطة لديها محركات خاصة في سيارات يبدو عادية للغاية".

قالت ميدج:

"أتعنين أنهم يراقبوننا؟".

"يبدو ذلك واضحاً".

ارتعشت ميدج.

"هنريتا، هل تفهمين معنى وجود مسدس ثان في القضية؟".

"لا، إنه يخرج جيردا من المسألة؛ ولكنه لا يضيف أي شيء آخر".

"ولكنه إذا كان أحد الأسلحة الخاصة بهنري -"

"لا نعرف أنه كذلك. تم يتضح ذلك بعد، ضعي ذلك في اعتبارك".

"لا، هذا صحيح. قد يكون شخصاً من الخارج تماماً. أتعرفين يا ميدج من الذي أتمنى أن يكون القاتل؟ تلك المرأة".

"فيرونكا كراي؟".

"نعم".

لم تقل هنريتا أي شيء آخر. واصلت القيادة وهي تثبت عينها على الطريق.

قالت ميدج: "ألا تمتقدين أن هذا ممكن؟".

قالت هنريتا بترو: "ممكن، نعم".

"إذن لا تمتقدين -"

"لا طائل من الاعتقاد في شيء تريدين التفكير فيه. إنه الحل الأمثل، الحل الذي يخرجنا جميعاً من هذه الدائرة".

"يخرجنا؟ ولكن -"

بينما كانت بمفردها في الاستديو، تحولت ميدج فيه وألقت نظرة على أعمال هنريتا الفنية التي جعلتها تشعر بإحساس غريب بأنها تتقاسم الاستديو الفارغ مع هذه المخلوقات المصنوعة من الخشب والبرونز.

كان هناك رأس برونزي له خدان مرفوعان عليه قبعة من القصدير، أغلب الظن أنه جندي تابع للجيش الأحمر. وكان هناك بنيان هوائي يحتوي على شرائط ملونة من الألومنيوم شد انتباهها كثيرًا. كما وجدت صندوقًا كبيرًا مصنوعًا من الجرانيت القرنفل. وفي نهاية الاستديو، اقتربت من تمثال خشبي بالحجم الطبيعي.

كانت تمنع النظر فيها عندما أدخلت هنريتا مفاتيحها في الباب ودخلت الاستديو وهي منقطعة الأنفاس.

التفت إليها ميدج.

"ما هذا يا هنريتا؟ إنه مخيف بعض الشيء."

"هذا؟ إنه تمثال العايد. سوف يذهب لمعرض إنترناشونال جروب."

كررت ميدج قولها وهي تحديق فيه:

"إنه مخيف."

جثت هنريتا لتشعل المدفأة، ثم قالت لها دون أن تنظر إليها:

"مثير أن تقولي ذلك. لماذا تجدينه مخيفًا؟"

"أظنه، لأنه ليس له وجه."

"كم أنت محقة يا ميدج."

"ومع ذلك فهو عمل جيد يا هنريتا."

قالت هنريتا بخفة:

"إنه قطعة ثمينة من خشب الكمثرى."

ثم وقفت على قدميها وألقت حقيبتها الكبيرة والفراء الذي كانت ترتديه على

الأريكة، ثم ألقت بعض عبوات الكبريت على الطاولة.

فوجئت ميدج بالتعبير الذي ارتسم على وجهها، كان يعكس سعادة كبيرة لم

تعرف سببها.

"جميعنا أطراف فيها - جميعنا بلا استثناء. وحتى أنت يا ميدج يا عزيزتي رغم صعوبة إيجاد دافع يجعلك تقتلين جون. بالطبع أريدها أن تكون فيرونيكا لا شيء سيسعدني أكثر من رؤيتها تظهر أداءً جميلًا، كما قالت لوسي، وهي وراء القضيان".

رمقتها ميدج بنظرة سريعة.

"أخبريني يا هنريتا، هل هذا يجعلك ترغبين في الانتقام؟"

"أتعنين -"، صممت هنريتا للحظة ثم أردفت تقول - "لأنني أحببت جون؟" "نعم".

عندما تحدثت، أدركت ميدج بشيء بسيط من الصدمة أن هذه هي المرة الأولى التي تعرب فيها عن الحقيقة الصريحة. كان الجميع يتقبل فكرة حب هنريتا لجون كريستو: لوسي وهنري، وميدج، وحتى إدوارد، ولكن لم يجرؤ أحد من قبل على التصريح بهذه الحقيقة.

ساد صمت للحظات بينما بدت هنريتا تفكر، ثم قالت بصوت متأمل:

"لا أستطيع أن أشرح لك ما أشعر به. فعلي لا أعرف نفسي."

كانتا تسيران الآن فوق جسر ألبرت.

قالت هنريتا:

"من الأفضل أن تأتي معي إلى الاستديو يا ميدج. سوف نتناول الشاي، ثم سأوصلك إلى شقتك بعد ذلك."

هنا في لندن، كان ضوء ما بعد الظهيرة القصير يتلاشى بالفعل، قادت هنريتا السيارة حتى وصلت إلى الاستديو، ثم فتحت هنريتا باب الاستديو، ودخلت وأضاعت الأنوار.

قالت: "الجو بارد، من الأفضل أن تشعل المدفأة، أوه يا إلهي، كنت أريد أن أشتري بعض الكبريت."

"آلا تفي ولاعة بالفرض؟"

"ولاعة لا تعمل، وعلى أية حال من الصعب إشعال المدفأة بولاعة. اعتبيري نفسك في بيتك. هناك رجل عجوز كفيف ينف على الناصية. عادة ما أشتري منه الكبريت. لن أتأخر سوى دقيقة أو اثنتين."

قالت هنريتا بصوت مبتهج يتفق تماماً مع البهجة التي لاحظتها ميدج على وجهها، "والآن موعد الشاي".

ذكرها ذلك بشيء أزعجها، ولكنها نسيت ذلك وسط قطار الأفكار الذي أثاره رؤية علبتي الكبريت اللتين ألقتهما.

"أتذكرين الكبريت الذي أخذته فيرونكا كراي معها؟"

"عندما أصرت لوسي أن تأخذ نصف دسته منها؟ نعم".

"هل علم أي شخص ما إذا كان لديها كبريت في منزلها أم لا؟"

"أظن أن الشرطة فعلت، فهم يهتمون بأدق التفاصيل".

ارتسمت ابتسامة بسيطة منتصرة على شفتي هنريتا. شعرت ميدج بحيرة ورفض تقريباً.

قالت في نفسها: "هل كان بإمكان هنريتا بحق أن تمتطي بجون؟ هل بإمكانها بالطبع لا".

شعرت ببرودة كثيفة تمريرها وهي تقول في نفسها:

"إدوارد لن ينتظر كثيراً..."

أنانية من جانبها ألا تسمح لهذه الفكرة بتدفقها. أرادت لإدوارد أن يكون سعيداً، أليس كذلك؟ ولكنها لم تسعد بها مثلما كانت ستفعل لو كانت ستحصل هي عليه. ولكنها بالنسبة لإدوارد ستظل دوماً "ميدج الصغيرة". لا أكثر من ذلك. لن تكون امرأة من الممكن أن يحبها.

لسوء الحظ، كان إدوارد من النوع المخلص. حسناً، النوع المخلص عادة ما يحصل على ما كان يتمناه في النهاية.

إدوارد وهنريتا في إينزويك... هذه هي النهاية المناسبة لحكايتهما. إدوارد وهنريتا يعيشان في سعادة أبدية.

رأت كل ذلك بوضوح شديد.

قالت هنريتا: "أبتهجي يا ميدج، لا يجب أن تسمح لي لجريمة قتل بأن تصيبك بالاكتئاب. هل نخرج في وقت لاحق ونتناول العشاء معاً؟"

ولكن ميدج قالت بسرعة إنها يجب أن تعود إلى شقتها، فليديها أمور تفعلها، وخطابات تكتبها. في الحقيقة، من الأفضل أن تذهب بمجرد أن تنتهي من كوب الشاي الخاص بها.

"حسناً، سوف أوصلك إلى هناك".

"سأطلب سيارة أجرة".

"مستحيل. لنستخدم السيارة، فهي معنا".

خرجتا في هواء المساء الرطب. وبمجرد أن وصلتا لنهاية المروج، أشارت هنريتا إلى سيارة واقفة على جانب الطريق.

"فيكتور ١٠. ظلنا، سترين أنه سيتبعنا".

"كم هذا غير أخلاقي؟"

"أعتقد ذلك؟ لا أمانع في ذلك".

أوصلت هنريتا ميدج لشقتها ثم عادت إلى المروج وأوقفت سيارتها في المرائب. ثم دخت الأستديو من جديد.

لبضع لحظات وقفت مشتتة الذهن تنقر بأصابعها على المدفأة، ثم تنهدت وتمتمت تقول لنفسها:

"حسناً، إلى العمل. من الأفضل ألا أضيع الوقت".

"خلعت سترتها المصنوعة من التويد وأخذت تتفحص ما وصلت إليه. كان هناك بعض الطين على وجنتيها وكان شعرها غير مرتب، ولكنها أوامأت باستحسان إلى النموذج الموضوع على المنصة.

كان يشبه الحصان بعض الشيء. كان الطين يشكل كتلاً كبيرة على نحو غير منتظم. كان أشبه بنوع الخيول التي تصيب قائد الفرسان بسكتة دماغية، فقد كان بعيداً كل البعد عن أي حصان من لحم ودم وجد من قبل. كما أنه قد يزعم أسلاف هنريتا الأيرلنديين المحبين للصيد، رغم ذلك كان حصاناً، حصاناً إذا اعتبرته فناً تجريدياً.

تساءلت هنريتا في نفسها عما سيفعله المفتش جرانج إذا ما رآه، فانسع فيها قليلاً من الدهشة وهي تتخيل وجهه.

لم تخطر ببال إدوارد ببساطة حقيقة أن يوم العمل الذي يستمر من التاسعة إلى السادسة، مع وجود ساعة راحة لتناول الفداء، تبع أي فتاة عن كل المتع وسبل الرفاهية التي تتمتع بها الطبقة الثرية. إن ميدج إذا لم تضح بساعة الفداء الخاصة بها، لا يمكنها أن تزور أي مريض، أو تذهب لحفل موسيقي بعد الظهر، أو تخرج من المدينة في يوم صيفي معتدل، أو تتناول الفداء بطريقة مترفة في مطعم بعيد. واكتشف أنها يجب أن ترجع رحلاتها إلى الريف بعد ظهر يوم السبت والأحد، وتتناول غداءها بسرعة في مطعم ليونز المزدحم أو في أي مطعم للجويات السريعة، وجدها فكرة جديدة لم تلق ترحيباً لديه. كان مفرماً بميدج كثيراً. ميدج الصغيرة، كان يفكر بها على هذا النحو. تأتي لاينزويك خجولة فاتحة عينها في الإجازات، مربوطة اللسان في البداية، ثم تفتح تدريجياً بكل حماسة وشفف.

لقد تسبب ميل إدوارد في العيش في الماضي، وتقيله الحاضر بارتباب لكونه لم يختبره بعد، في تأخير إدراكه أن ميدج أصبحت فتاة بالغة تكسب قوتها بيدها. فقط في ذلك المساء في منزل هولو، عندما دخل المنزل وهو يرتش ويشعر بالبرودة من خلاقه الغريب والمزعج مع هنريتا، وعندما جثت ميدج على ركبتيها لتسبح له العداقة، أدرك للمرة الأولى أن ميدج لم تعد طفلة وإنما امرأة جميلة. كان تصوراً مزعجاً - شعر للحظة بأنه فقد شيئاً ما، شيئاً كان بمثابة جزء ثمين من لاينزويك. وقد قال باندفاع، مغرباً عن هذا الشعور الذي اعتراه على نحو مفاجئ: "أتمنى لو أرى مزيداً منك يا ميدج الصغيرة..."

وقف في الخارج تحت ضوء القمر، يناجي هنريتا التي لم تعد الفتاة المألوفة التي أحبها منذ وقت طويل، فسر بذر مفاجئ، ثم انزعج أكثر عندما فكر في نمط حياته الرتيب. ميدج الصغيرة كانت أيضاً جزءاً من لاينزويك، ولم تعد ميدج الصغيرة، وإنما امرأة بالغة شجاعة حزينة العينين لم يعرفها.

منذ ذلك الوقت وهو منزوع وحائر، وقد غرق في إحساس كبير بتأنيب الذات لأنه لم يشغل باله أبداً بسماعة ميدج أو راحتها. فكرة عملها غير الملالم في متجر السيدة أفريج أزجمته أكثر وأكثر، فقرر في النهاية أن يتفقد بنفسه متجر الملابس الذي تعمل فيه.

## الرابع والعشرون

وقف إدوارد أنجيكاتل متردداً وسط زحام شارع شافنيسبري أفينيو. كان يشجع نفسه على دخول المتجر الذي يحمل لافتة مكتوباً عليها باللون الذهبي: "السيدة أفريج".

منعه إحساس داخلي غامض من قرع الجرس وطلب ميدج للخروج وتناول الفداء معه. ذلك الحديث التليفوني المقطع الذي دار في منزل هولو أزعجه، بل أصابه بصدمة. فقد استشعر في صوت ميدج إحساساً بالخضوع، والخنوع فجر كل مشاعره.

ميدج، الحرة، المتهجة، الصريحة تتحدث بهذه الطريقة. أن تضطر لأن تخضع - بكل ما تحمله الكلمة من معنى - إلى الوقاحة وقلة الأدب التي لاقتها على الطرف الآخر من الأفير. كل ذلك خائلي، الأمر كله خائلي وبعد ذلك، عندما أعرب عن قلقه، قالت له الحقيقة غير المستساغة بكل صراحة، وهو أن المرء يجب أن يحافظ على عمله، وأنه ليس من السهل الحصول على عمل، وأن الحفاظ عليه يتطلب تحمل طاقة إضافية أكثر مما تتطلبه تأدية العمل نفسه.

حتى ذلك الوقت، تقبل إدوارد حقيقة أن كثيراً من السيدات تشايات لديهن "أعمال" هذه الأيام. إذا فكر في الأمر في النهاية، سوف يرى أنهن بوجه عام لديهن عمل لأنهن يحببن أعمالهن، فهي تشعرهن بالاستقلالية وتعطيهن اهتماماً بحياتهن الخاصة.

نظر إدوارد بارتياش إلى نافذة المتجر وأمعن النظر في ثوب أسود ذي حزام ذهبي ضيق، وسترة خفيفة، ضيقة، وثوب مسائي مبهرج قليلاً له شريط ملون.

لم يكن إدوارد يعرف أي شيء عن ملابس النساء سوى بحدسه، ولكن راودته فكرة ذكية أن كل هذه المعروفيات ذات طبيعة خفيفة. قال في نفسه، لا، هذا المكان ليس جديراً بها، شخص ما - لعلها الليدي أنجيكا تال - يجب أن تفعل شيئاً حيال هذا الأمر.

تقلب على خجله بصعوبة، فأرجع كتفيه المنحنيين بعض الشيء ودخل المتجر.

تسمر في مكانه على الفور من شدة الإحراج. فقد رأى فتاتين وقتحين شرقاوين صغيرتين تحدثان بصوت أقرب للصراخ تتفقدان ثياباً في الإطار الزجاجي، برفقة امرأة سمراء. وفي نهاية المتجر، رأى سيدة صغيرة أنفها سميك، شعرها أحمر وصوتها غير مقبول تتشاجر مع عميل يدين وحائز عن عمل بعض التغيرات في ثوب مسائي. ومن غرفة صغيرة، سمع صوت سيدة مزعجة تقول:

"بشع - بشع للغاية، ألا يمكنك أن تحضري لي شيئاً محترماً أجريه؟"

تلبية لهذا الطلب سمع صوت ميدج الرقيق الخافت، تتحدث بطريقة محترمة ومقتنة.

"هذا الثوب رائع للغاية حقاً. وأظن أنه سوف يناسبك. فقط ارتديه"

"لن أضيع وقتي أجرب ملابس أعرف أنها غير مناسبة. أنعني نفسك قليلاً قلت لك إنني لا أريد ملابس حمراء، فقط لو استمعت لما يقال لك -"

ثم وجد إدوارد قطعة الملابس الحمراء ملقاة في وجهه. كان يتمنى أن تلقي ميدج الثوب في وجه المرأة الكريهة، ولكنها تمتعت تقول:

"سألقي نظرة أخرى. لا أظن أنك تمانعين في اللون الأخضر يا سيدتي؟ أو اللون الأصفر؟"

"مروع، مروع للغاية! لا، لن أرى شيئاً آخر. إنني أضيع وقتي -"

ولكن الآن ابتعدت السيدة أنفريج عن الزبونة، ونزلت إلى إدوارد ونظرت إليه بعين التساؤل.

لملم شتاته وقال.

"هل - هل يمكنكني أن - هل الأنسة هاردكاسل هنا؟"

ارتفع حاجبا السيدة أنفريج، ولكنها أخذت تنظر لملابس إدوارد المعدة له ساء على طلبه. ثم ارتسمت على شفيتها ابتسامة سيئة للغاية رأى أنها أسوأ مما لو كانت في حالة غضب شديد.

ومن داخل غرفة تغيير الملابس انطلق الصوت المروع يقول بحدة:

"أحذري! كم أنت خرقاء. لقد أفسدت مشط شعري."

ثم صوت ميدج تقول:

"أنا غاية في الأسف يا سيدتي."

"غبية خرقاء" (بدا الصوت خافتاً). "لا، سوف أضعه بنفسي. حزامي رجاء."

قالت السيدة أنفريج: "الآنسة هاردكاسل ستنتهي بعد لحظة". كانت انتسامتها خبيثة للغاية.

خرجت من غرفة تغيير الملابس سيدة شعرها ذهبي، تبدو عصبية المزاج، وكانت تحمل العديد من الحقائب إلى الشارع، بعدما فتحت لها ميدج - في ثوبها مالك السواد - الباب. بدت شاحبة وغير سعيدة.

قال إدوارد دون أي مقدمات: "جئت لأخذك لتناول الغداء".

نظرت ميدج إلى الساعة بسرعة، ثم قالت له:

"لا أستطيع أن أخرج قبل الواحدة والربع."

كانت الساعة الواحدة وعشر دقائق.

فقالت السيدة أنفريج بسخاء:

"بإمكانك أن تخرجي الآن يا أنسة هاردكاسل إن شئت، فصديقك جاء من أجلك."

تمتمت ميدج تقول: "أوه، شكراً لك يا سيدة أنفريج". ثم التفتت لإدوارد وهي تقول: "سأكون جاهزة خلال دقيقة"، واختفت على الفور في آخر المتجر.

أما إدوارد، الذي لم يرقه تأكيد السيدة أنفريج الشديد على كلمة "صديق"، فوقف بلا حيلة ينتظر.

"حسنًا، إذن، لماذا لم تفعل؟ هناك الكثير من سيارات الأجرة".

حديق فيها، وتراجع قليلاً من القضب المفاجئ الذي ظهر عليها. تابعت كلامها وهي تستشيط غضباً:

"لماذا تأتيين وتقول لي هذا الكلام؟ أنت لا تعنيه، هل تعتقد أن هذا يخفف عني الجحيم الذي أعانيه؟ أن تذكرني بأن هناك أماكن مثل إينزويك؟ هل تعتقد أنني ممتنة لك لوقوفك هناك وكلامك أنك كنت تتمنى أن تأخذني من هذا المكان؟ كلام معسول ولكنه غير حقيقي. أنت لا تعني أي كلمة منه. ألا تعرف أنني مستعدة لأن أبيع روحي لكي ألحق بقطار ٢:١٥ المتجه لإينزويك والهرب من كل شيء؟ لم أعد حتى أطيع التفكير في إينزويك، هل تفهم؟ قصدك ذليل يا إدوارد، ولكنك قاس! كلام - مجرد كلام..."

كانا ينظران لبعضهما البعض، مما أحدث ارتباكاً في ساعة الغداء المزدحمة بشوارع شافيتسيري أفينيو. ورغم ذلك، لم ينتهيا لأي شيء سواهما. كان إدوارد يحديق فيها وكأنه رجل استيقظ على نحو مفاجئ من نومه.

قال لها: "حسنًا، اللعنة. سوف تذهبين إلى إينزويك في قطار ٢:١٥".

رفع يده ولوح بسيارة أجرة مارة، توقفت عند الرصيف. فتح إدوارد الباب، ثم ركبت ميدج وهي في حالة ذهول. فقال إدوارد للسائق على الفور: "محطة بادينجتون".

جلسا في صمت، كانت ميدج مطبقة شفتيها، وبدا في عينيها تحد وتمرد. أما إدوارد فكان ينظر أمامه.

وبينما كانا ينتظران إشارة المرور بشوارع أكسفورد، قالت ميدج على نحو غير مرض:

"يبدو أنني جرحت كبريائك".

قال إدوارد باختصار:

"ليس كبريائك".

انطلقت سيارة الأجرة بسرعة من جديد.

كانت السيدة ألفريخ على وشك البدء في حوار مكرر معه عندما انفتح الباب ودخلت سيدة تبدو ميسورة الحال مصطحبة كلب يميني، فقادت السيدة ألفريخ بفطرتها العملية لداخل المتجر.

ثم ظهرت ميدج مرة أخرى بعدما ارتدت معطفها، ثم خرجا معاً من المتجر إلى الشارع.

قال لها: "يا إلهي! هل تحملين كل ذلك؟ لقد سمعت تلك المرأة اللعينة تتحدث إليك من خلف الستارة. كيف تطيقين ذلك يا ميدج؟ لماذا لم تلقي الثوب اللعين في وجهها؟".

"لأنني سأفقد عملي إن فعلت شيئاً كهذا".

"ولكن ألا تريدان لقاء الأشياء في وجه أي امرأة على هذه الشاكلة؟".

أخذت ميدج نفساً عميقاً ثم قالت:

"بالطبع أريد ذلك. وهناك أوقات - خاصة في نهاية أسبوع حار خلال التخفيضات الصيفيّة - أخشى فيها أن أفقد أعصابي وأقول لأبي سيدة ما أود قوله بالضبط بدلاً من أن أقول لها "حسنًا، يا سيدتي"، "لا يا سيدتي"، "سأرى ما إذا كان هناك أي شيء آخر يا سيدتي"."

"ميدج، ميدج الصغيرة العزيزة، لا يمكنك أن تحملي كل ذلك".

ضحكّت ميدج بخفة ثم قالت:

"لا تنزعج يا إدوارد. لماذا بحق الله جئت إلى هنا؟ لماذا لم اتصل بي؟"

"أردت أن أرى بنفسي. كنت قلقاً". سكّت قليلاً ثم أرفف يقول: "لماذا لا تتحدث لوسي مع خادمة غسيل الأطباق بالطريقة التي حدثتك بها هذه المرأة من الخطأ أن تقبلي بهذه الوقاحة وعدم التهذيب. يا إلهي يا ميدج، لقد أردت أن أخرجك على الفور من هذا المتجر ونذهب إلى إينزويك. أردت أن ألوح بسيارة أجرة، وأدخلك فيها وأخذك إلى إينزويك ونلحق بقطار الثانية والثربع".

توقفت ميدج، بعدما سقط عنها عدم الاكتراث الذي كانت تظهره. كانت قد مرت بيوم متعب طويل مع زبائن متعبين، فضلاً عن استئساد السيدة ألفريخ عليها، فالتفتت إلى إدوارد وإحساس مفاجئ بالاستياء يبدو عليها.

قال بلطف:

"أنت تحبين إينزويك بحق، أليس كذلك؟".

"هل يجب أن نتحدث عن إينزويك؟ لقد تحملت صدم الحلاق بقطار ٢:١٥، وأدركت تمامًا أنه ليس هناك مجال للحاق بقطار ٤:١٥ لذلك لا تفتح هذا الموضوع".

ابتسم إدوارد ثم قال: "لا، أنا لا أقترح للحاق بقطار ٤:١٥، وإنما أقترح أن نعيشي معي في إينزويك يا ميدج. أقترح أن نعيشي معي هنا، هذا إذا كنت تطيقين العيش معي".

حدقت فيه من فوق حافة هنجان القهوة، ثم وضعت الفنجان على الطاولة مصعوبة وهي تحاول أن تتمالك نفسها.

"ماذا تعني يا إدوارد؟".

"أعني أن تتزوجيني يا ميدج. لا أقترح أنني سأكون زوجاً رومانسياً للغاية. فأنا إنسان كتيب، أعرف ذلك، ولا أجد عمل كل شيء. كل ما أفعله هو قراءة الكتب والتزهد؛ ولكن رغم أنني لست إنساناً مثيلاً، فإننا نعرف بعضنا البعض منذ فترة وأنصوّر أن إينزويك مكان مناسب، سيهوضنا كل ما فات. أظن أنك ستكونين سعيدة في إينزويك يا ميدج. هل ستأقنين؟".

ابتلعت ميدج ريقها مرة أو مرتين ثم قالت:

"ولكنني ظننت - هنريتا - " ثم توقفت عن الكلام.

قال إدوارد بصوته المعتاد الذي لا يعكس أي عاطفة.

"نعم، طلبت من هنريتا أن تتزوجيني ثلاث مرات، وكانت ترفض في كل مرة. هنريتا لا تعرف ما تريد".

ساد صمت، ثم قال إدوارد:

"حسنًا يا ميدج يا عزيزتي، ما رأيك؟".

نظرت ميدج إليه. ثم قالت له بصوت مرتعش:

"يبدو ذلك غير عادي، أعني أن تعرض عليّ الجنة على طبق وأنا جالسة هنا في بيركلي".

لم يعد إدوارد لتوجهه الطليعي إلا عندما تعطفت السيارة الأجرة يسارًا لشوارع إدجووير بكامبريدج تيراس.

قال لها: "لا يمكننا اللحاق بقطار ٢:١٥"، ثم قال وهو ينقر على الزجاج الذي يفصلهما عن السائق: "أذهب إلى بيركلي".

قالت ميدج ببرود: "لماذا لا يمكننا اللحاق بقطار ٢:١٥ الساعة الآن الواحدة وخمسة وعشرون دقيقة؟".

ابتسم إدوارد لها وقال:

"ليس معنا أي أمتعة يا ميدج الصغيرة. ليس معنا ملابس للنوم، أو فرشاة أسنان أو أحذية تناسب الريف. وهناك قطار ٤:١٥ كما تعرفين. سوف نتناول الغداء الآن ونحدث قليلًا".

تهتبت ميدج.

"أنت كذلك يا إدوارد، تتذكر الجانب العملي. لا تترك نفسك لنزواتك تحركك كيف شئت، أليس كذلك؟ أوه، حسنًا. كان حلمًا لطيفًا، طالما استمر".

دست يدها في يده ونظرت إليه وعلى شفتيها ابتسامتها القديمة.

"أنا أسفة أنني وقفت على الرصيف وجرحتك وتحدثت كأي امرأة سليطة اللسان، ولكنك تعرف أنك ضايقتني".

قال لها: "نعم، قطعًا فعلت".

دخل بيركلي وهما سعيدان يسيران جنباً إلى جنب، وجلسا على طاولة بالقرب من النافذة وطلب إدوارد غداء ممتازًا.

بمجرد أن انتهيا من تناول الدجاج، تهتبت ميدج وقالت: "يجب أن أسرع بالعودة إلى المتجر، انتهى وقت استراحتي".

"سوف نأخذ كفايتنا من الوقت على الغداء اليوم، حتى لو اضطررت للعودة معك وشراء نصف الملابس الموجودة في المتجر".

"عزيزي إدوارد، أنت لطيف حقًا".

تناولا الكريب سوزيت، ثم أحضر لهما النادل القهوة. تلملم إدوارد في جلسته وهو يقلب السكر بالملقعة.



أومأت ميدج. كانت تحب ذوق إدوارد الجميل والأنيق. وضعتَه في أصبعها فنظر إليه إدوارد والبالغ بإعجاب.

كتب إدوارد شيكاً بثلاثمائة واثنين وأربعين جنيهًا، ثم عاد لميدج مبتسمًا وقال لها:

"لنذهب إلى السيدة ألفريج ونتصرف معها بوقاحة".

أشرق وجهه، ووضع يده فوق يدها للحظة قصيرة.

قال لها: "الجنة، إذن أنت تشعرين بأن إينزويك هي الجنة. أوه، ميدج، أنا سعيد".

جلسا هناك سعيدين. سدد إدوارد الحساب وترك إكرامية كبيرة. سمد العاملون في المطعم بها كثيرًا. قالت ميدج بصموية:

"حسنًا، أظن أننا يجب أن نذهب. من الأفضل أن أعود إلى السيدة ألفريج فهي تعتمد علي رغم كل شيء. لا أستطيع أن أتركها بهذه الطريقة".

"لا، أظن أننا سنعود إلى هناك وتقديم استقالتك أو تستقيلين أو أيًا كان ما تسمونه. لن تملي هناك، لن أقبل بذلك، ولكنني أظن أنه من الأفضل أن نذهب لأحد متاجر شارع بوند لنشتري خاتم الزواج".

"خواتم؟"

"هذا أمر معتاد، أليس كذلك؟"

ضحكت ميدج.

في ضوء متجر الجواهر المعتم: انحنى إدوارد وميدج على مجموعة من الخواتم المتأللة، والبنائع الحريص يشير إليهما بطيبة.

قال إدوارد، وهو يبعد مجموعة خواتم موضوعة في لوح مخملي:

"لا أريد الأخضر الزمردى".

هنريتا باللون الأخضر، هنريتا ترتدي ثوب سهرة أخضر اللون...

لا، لا أريد الأخضر الزمردى.

تفلبت ميدج على الألم الذي شعرت به في قلبها.

قالت له: "اختر لي".

انحنى على الخواتم الموضوعة أمامهما. واختار خاتمًا فيه ماسة واحدة. لم تكن كبيرة للغاية ولكن لونها كان جميلًا.

"يمجيني هذا".

"أفهم ما تعنيه يا عزيزتي. لعلك محقة. ففي حفلات الزفاف التي تجري في الخريف لا نرى سوى أزهار الأقحوان، التي أجدها غير ملهمة، كما أرى. وإذا لم يأخذ المرء وقتًا طويلاً ليختار وصيفات الشرف بهنية، فإنهن لا يظهرن بالمظهر اللائق، ودائمًا ما تكون هناك واحدة تفسد الأمر كله - ولكن العروس يجب أن تختار وصيفة واحدة على الأقل عادة ما تكون أخت العريس، ولكن بالطبع -". ابتسمت الليدي أنجيكا تل ثم أردفت تقول: "إدوارد ليس لديه أخوات".

قال إدوارد ميتسما: "تبدو نقطة في صالحتي".

تابعت الليدي أنجيكا تل كلامها تقول: "ولكن الأطفال عادة ما يكونون أسوأ ما في حفلات الزفاف". ثم استعطرت تفكر بسماعة: "الجميع يقول: كم هو لطيف"، ولكن يا للقلق الذي يسببونه! يدوسون على ذيل ثوب العروس، أو يصرخون وينادون على مربياتهم، وفي كثير من الأحوال تجدهم يمرضون. دائمًا ما أتساءل كيف يمكن لأي فتاة أن تصعد الممرات، وهي غير واثقة مما يحدث من خلفها".

قالت ميدج مبتهجة: "ليست هناك حاجة لأن يتواجد أي شيء من خلفي، ولا حتى ذيل للثوب. بإمكانني أن أتزوج وأنا أردي معطفًا وتنورة".

"أوه، لا يا ميدج، هذا يناسب أرملة، لا، سترتدين ثوبًا من الساتان الأبيض الفاتح ولن يكون من متجر السيدة ألفريج".

قال إدوارد: "بالطبع لن يكون من متجر السيدة ألفريج".

قالت الليدي أنجيكا تل: "سوف أخذك إلى ميريلي".

"عزيزتي لوسي، لا يمكنني أن أحمل تكلفة ميريلي".

"هراء. أنا وهنري سوف نتكفل بجهاز العروس، وهنري بالطبع سوف يشتري لنفسه بعض الملابس. أمل ألا تكون سراويله ضاقت عليه كثيرًا. مر عامان تقريبًا منذ آخر مرة ذهبتا فيه لزيارتهم، وسوف أردي -".

توقفت الليدي أنجيكا تل وأغمضت عينيها.

"نعم يا لوسي؟".

## الخامس والعشرون

"أنا مسرورة للغاية لأجلكما".

مدت الليدي أنجيكا تل يدها الضعيفة إلى إدوارد ولمست ميدج برقة باليد الثانية.

"لقد فعلت الصواب يا إدوارد، أنك جعلتها تترك ذلك المتجر المروع وأعدتها إلى هنا. سوف تبقى هنا بالطبع، وسوف تتزوجان هنا. سانت جورج كما تعرف يبعد ثلاثة أميال، رغم أنه لا يبعد هنا سوى ميل واحد لو قطعنا الغابات، ولكننا لن نذهب لحفل زواجكما من الغابات، وأظن أننا يجب أن نتصل برجل الدين، مسكين! فهو يعاني ثوبًا بارد مروع في كل خريف، ومساعدته الآن أصبح ينشد بصوت رابع، سيكون الأمر كله رائعًا، ذا طابع ديني أيضًا، إن فهِمْتما ما أعنيه. فمن الصعب أن تحافظ على تركيزك عندما يتحدث شخص ما من أفضه".

وجدت ميدج هذا الاستقبال يناسب لوسي للغاية. استقبال جعلها تريد أن تضحك وتبكي في وقت واحد.

قالت ميدج: "أريد أن أتزوج من هنا يا لوسي".

"اتفقنا إذن يا عزيزتي. سترتدين ثوبًا أبيض فاتحًا، كما أراك تحملين باقة زهور جميلة. هل ترتدين وصيفات شرف؟".

"لا، لا أريد جلبه. أريد زفافًا هادئًا".

سيفيده أكثر من طهي وجبة شهية له. وهذا يذكرني بأذني يجب أن أذهب وألقي نظرة على السيدة ميدواي. كم هو غريب عدم تحمل الخدم لرجال الشرطة. كانت شطائر الجبن التي أعدتها الليلة الماضية لا تؤكل. دالماً ما تعرف من الشطائر والمكرونة ما إذا كنت متوازناً أم لا. ثلثاً لأن جادجون يعتني بهم بطريقة خاصة. أنا واثقة أن نصفهم كان سيفادو المنزل. لماذا لا تخرجان وتتنزهان قليلاً وتساعدوا رجال الشرطة في العثور على المسدس؟".

جلس هيركيول بواردو على المقعد المقابل لستان الكستناء الموجود أعلى حمام السباحة. لم يخالجه أي إحساس بانتهاك حرمة المكان لأن الليدي أنجيكا كانت سمحت له بكم بالغ بأن يتجول في أي مكان يشاء في أي وقت. كان هيركيول بواردو يفكر في لطف الليدي أنجيكا في تلك اللحظة.

من وقت لآخر، يسمع حفيف الأشجار في الغابات أعلاه، أو يرى شبح شخص يتحرك في بستان الكستناء أسفل.

على الفور، مرت هنريتا على الطريق من اتجاه الممر الضيق. توقفت للحظة عندما رأت بواردو، ثم اقتربت وجلست إلى جواره.

"صباح الخير يا سيد بواردو. جئت في زيارة، ولكنك كنت في الخارج. تبدو هادئاً للغاية. هل تشرف على سير التحقيقات. يبدو أن المفتش نشيط للغاية. علام يبحثون، المسدس؟".

"نعم يا آنسة سافرنك".

"هل سيعثرون عليه، هل تعتقد ذلك؟".

"أظن ذلك، عما قريب كما أتصور".

نظرت إليه بعين التساؤل.

"هل لديك أي فكرة إذن عن مكانه؟".

"لا، ولكنني أظن أنهم سيعثرون عليه عما قريب. حان الوقت لكي يظهر".

"أنت تقول أشياء غريبة يا سيد بواردو".

"أشياء غريبة تحدث هنا. لقد عدت بسرعة من لندن يا آنسة".

تصلب وجهها، ثم أطلقت ضحكة قصيرة لاذعة.

قالت الليدي أنجيكا بل صوت متهلل، "ثوباً أزرق فاتحاً. أظن يا إدوارد أنك ستدعو أحد أصدقائك وتتخذوه وصيفاً، إن لم يكن هناك ديفيد. لا أتخيل كم سيكون هذا الأمر مفيداً للغاية بالنسبة لديفيد. سوف يعلي هذا الأمر مقامه كما تعرفان، وسيشمر بأن الجميع يحبه، وهذا أمر غاية في الأهمية بالنسبة لديفيد. أنا واثقة من ذلك. قطعاً من المؤلم كما تعرفان أن تشعر بأنك ذكي وألمعي، وألا تجدرهم ذلك، من يحبك! ولكن بالطبع سيكون في ذلك مخاطرة. فقد يضع الخاتم، أو يسقطه في آخر لحظة. أظن أن أمراً كهذا سيقلق إدوارد كثيراً. ولكن سيكون لطيفاً بشكل ما أن نترك الأمر للأشخاص أنفسهم الذين شهدوا جريمة القتل".

نطقت الليدي أنجيكا تلك الكلمات الأخيرة بنبرة حوارية للغاية.

لم تمنع ميدج نفسها من أن تقول: "كانت الليدي أنجيكا تمتع بعض الأصدقاء بالحديث عن جريمة قتل وقت هذا الخريف".

قالت لوسي بتأمل: "نعم، أظن الأمر بدأ كذلك. حفل لإطلاق النار. أعرف، عندما تفكر في الأمر على هذا النحو، هذا هو ما حدث بالضبط".

ارتعشت ميدج قليلاً وقالت:

"حسنًا، على أية حال، انتهى الأمر الآن".

"لم ينته بالضبط، فقد تأجل التحقيق قليلاً. وذلك المفتش اللطيف المدعو جرانج أرسل رجاله في كل مكان يفتش في غابات الكستناء، ويفرز الفلاحين، ويقفز في وجوههم مثل العفريت في أكثر الأماكن غير المتوقعة".

سأل إدوارد: "علام يبحثون؟ المسدس الذي قتل جون كريستو به؟"

"أظن ذلك. لقد جاءوا إلى المنزل ومعهم أمر تفتيش. اعتذر المفتش لهذا الأمر كثيراً، وكان خجولاً، ولكنني قلت له بالطبع إن هذا يسعدنا. كان أمراً مثيراً للغاية بحق. بحثوا في كل مكان تقريباً. تبعتها لكل مكان، بل إنني اقترحت عليهم مكاناً أو اثنين لم يخطر ببالهم التفتيش فيه. ولكنهم لم يمشروا على أي شيء. كان ذلك محبطاً للغاية. مسكين المفتش جرانج. لقد أصبح هزيلاً، كما أنه أصبح يشد شاربته أكثر وأكثر. ينبغي تزوجته أن تعد له وجبات مغذية في ظل كل القلق الذي يعانيه؛ ولكن تراودني فكرة غريبة أن تلميع أرضية المنزل بعناية

شرحت له سبب هذه التسمية.

"وعندما ترسمين عينا، هل ترسمين يجدراسيل دوما؟"

"نعم. الرسم العايت أمر ظريف أليس كذلك؟"

"هنا على المقعد - على الجسر مساء يوم السبت - في الجناح الملحق بحمام السباحة صباح يوم السبت..."

تصلبت اليد التي كانت تمسك القلم وتوقفت عن الرسم. قالت بنبرة استغراب غير مكررة:

"في الجناح الملحق بحمام السباحة؟"

"نعم، على الطاولة الحديدية المستديرة هناك."

"أوه، قطعاً كان ذلك بعد ظهيرة يوم السبت."

"لم يكن ذلك بعد ظهيرة يوم السبت. فعندما أخرج جادجون الكئوس من الجناح في حوالي الساعة الثانية عشرة من يوم الأحد، لم يكن هناك شيء على الطاولة. لقد سألته في هذا الأمر وكان واثقاً من ذلك."

"إذن قطعاً كان ذلك" - ترددت للنحظة ثم قالت - "نعم، بعد ظهيرة يوم الأحد."

والإبتسامة لم تفارق شفثيه. هز هيركيول بوارو رأسه ناظياً.

"لا أظن ذلك. فقد كان رجال جرانج في حمام السباحة طوال الوقت بعد ظهيرة يوم الأحد، يصورون الجنة، ويخرجون الممسدس من الماء. لم يفادروا المكان سوى بحلول المساء، وبالطبع كانوا سيرون أي شخص يدخل الجناح."

قالت هنريتا بترؤ:

"تذكرت الآن. لقد ذهبت إلى هناك في وقت متأخر من المساء، بعد تناول العشاء."

قال بوارو بحدة:

"الناس لا يعبثون بالرسم في الظلام يا أنسة سافرنيك. هل تحاولين إقناعي بأنك دخلت الجناح بالليل ووقفت بجوار الطاولة ورسمت شجرة وأنت لا ترين ما ترسمينه؟"

"القاتل يعود لمشهد الجريمة؟ إنها خرافة قديمة، أليس كذلك؟ إذن أنت تعتقد أنني من ارتكبت الجريمة! أنت لم تصدقني عندما قلت لك أنني لم أفعل. لا تصدق أنه لا يمكنني أن أقتل أي شخص؟"

لم يجب بوارو على الفور، ثم قال بعد تفكير:

"منذ البداية وأنا أرى أن هذه الجريمة أمر من اثنين لا ثالث لهما: إما أنها بسيطة للغاية، بسيطة لدرجة تجعل من الصعب أن تصدق بساطتها (والبساطة يا أنسة قد تكون محيرة إلى حد غريب)، وإما أنها غاية في التعقيد. بمعنى آخر، أننا نتعامل مع عقل قادر على التخطيط واختراع حلول غاية في الذكاء. مما يجعلنا في كل مرة نتجه فيها ناحية الحقيقة، فإننا في الواقع نتقاد إلى خيال يبعدنا عن الحقيقة ويقودنا إلى نقطة لا توصلنا إلى أي شيء. وهذا العبث الظاهر، هذا المقم المستمر - ليس حقيقياً - ولكنه اصطناعي. مخلط له. هناك عقل غايه في الذكاء يدبر لنا المكائد طوال الوقت، وينجح في ذلك."

قالت هنريتا: "حسناً، وما علاقتي بذلك؟"

"العقل الذي يدبر لنا المكائد عقل مبدع يا أنسة."

"فهمت، وهنا يأتي دوري؟"

لزمعت الصمت، وأطبقت شفثيتها بشدة. ثم أخرجت من جيب معطفها قلماً وبدأت في رسم عبثي لشجرة ضخمة على قطعة خبز بيضاء على المقعد، كانت عابسة وهي تفعل ذلك.

راقبها بوارو. ثم خطر بباله شيء: عندما كان في غرفة معيشة الليدي أنجيكا قبل ظهيرة يوم وقوع الجريمة، عندما نظرت لمجموعة من أفلام التحديد، وهو واقف بجوار طاولة مطلية بالحديد في الجناح الملحق بحمام السباحة صباح اليوم التالي، وسؤال طرحه على جادجون.

قال:

"هنا هو ما رسمته بأفلام التحديد - شجرة."

"نعم". بدت هنريتا واعية على نحو مفاجئ لما كانت تفعله: "يجدراسيل يا سيد بوارو". ثم ضحكت.

"لماذا تسميها يجدراسيل؟"

قالت هنريتا بهدوء: "أنا أقول الحقيقة. طبيعي أنك لن تصدقها. فديك تصورك الخاص. بالمناسبة، ما تصورك؟"

"أتصور أنك كنت في الجناح الملحق بحمام السباحة صباح يوم الأحد بعد الساعة الثانية عشرة عندما أخرج جادجون الكئوس. وقفت هناك يجوار الطاولة تراقبين شخصاً ما، أو تنتظرين شخصاً ما، وأخرجت القلم دون وعي منك ورسمت يجدراسيل وأنت غير منتبهة تماماً لما تفعلينه."

"لم أكن في الجناح صباح يوم الأحد. لقد جلست في الخارج في الشرفة لبعض الوقت، ثم أحضرت سلة الحديقة واتجهت إلى الركن الخاص بأزهار الأضاليا وقطعت رموسها وربطت بعض أزهار الخزامي التي كانت غير مرتبة وفي تمام الساعة الواحدة اتجهت إلى حمام السباحة. وصلت إليه مع الجميع. لم أقترب من حمام السباحة قبل الساعة الواحدة. بعد إطلاق النار على جون."

قال هيركيول بوارو: "هذه روايتك. ولكن يجدراسيل يا أنسة شهدت عليك."

"كنت في الجناح وأطلقت النار على جون، أهذا ما تقوله؟"

"كنت هناك وأطلقت النار على دكتور كريستو، أو أنك كنت هناك ورأيت من أطلق النار على دكتور كريستو، أو أن شخصاً آخر كان هناك يعرف شجرة الجيدراسيل ورسمها متعمداً على الطاولة ليلصق التهمة بك."

نهضت هنريتا من مكانها، ثم التفتت إليه وهي رافعة ذقنها.

"ما زلت تعتقد أنني أطلقت النار على جون كريستو. تعتقد أنه بإمكانك أن تثبت أنني أطلقت النار عليه. حسناً اسمع مني ذلك، لن تثبت ذلك أبداً، أبداً!"

"هل تعتقدين أنك أكثر ذكاءً مني؟"

قالت هنريتا: "لن تثبت ذلك أبداً"، ثم التفتت وسارت في الطريق المتعرج

الذي يؤدي إلى حمام السباحة.

## السادس والعشرون

وصل جرانج إلى ريستهيفين ليحتسي كوباً من الشاي مع هيركيول بوارو، كان يخشى أن يعد له الشاي تحديداً؛ شاي لا يسمن ولا يغني أبداً.

فكر جرانج: "هؤلاء الأجانِب لا يعرفون كيف يعدون الشاي. وليس بإمكانك أن تعلمهم". ولكنه لم يمانع ذلك كثيراً. كان في حالة من التشاؤم الشديد تجعل حدوث أي شيء غير مرض يمنحه نوعاً من الرضا البائس.

قال: "التحقيق المؤجل سيجري بعد غد وإلى أين وصلنا؟ لا شيء على الإطلاق. بحق الله، يجب أن يكون هذا المسدس في مكان ما! هذا الريف اللعين - أميال من الغابات، نحتاج لجيش كامل لتبحث عنه بالشكل المناسب. وكأننا نبحث عن ابرة في كومة من القش. قد يكون في أي مكان، الحقيقة أننا يجب أن نواجه الأمر: وهو أننا قد لا نعثر على هذا المسدس أبداً."

قال بوارو بثقة: "سوف نعثر عليه".

"لا تكفي مجرد الرغبة في المحاولة!"

"سوف نعثر عليه عاجلاً أو آجلاً. وأنا أظن أن ذلك سيكون في القريب العاجل. هل تريد كوباً آخر من الشاي؟"

"لا أمانع أن - لا، لا أريد ماء ساخناً."

"ألم يكن قوي النكهة؟"

"أوه، لا، لم يكن قوي النكهة". كان المفتش مدرّكاً لمعنى كلامه.

وهو متجههم الوجه، أخذ رشفة من المشروب باهت اللون الذي كان يشبه لون الفراولة المفاخرة.

"هذه القضية تجعل مني محققاً غيبياً يا سيد بوارو، محققاً غيبياً لا أستطيع أن أتحمّل مدهانات هؤلاء الأشخاص. يبدوون كأنهم مصدر مساعدة. ولكن كل شيء يخبرونك به لا يقودنا لأي شيء إلا البعد والمزيد من العمل الذي لا مائل منه".

قال بوارو: "بعيداً؟" ظهرت نظرة اندهاش في عينيه: "نعم، فهمت. بعيداً..." كان استياء المفتش يزداد الآن.

"لأخذ المسدس على سبيل المثال. لقد أوضح تقرير الطب الشرعي أن كريستو تلقى رصاصة قبل لحظة أو اثنتين من وصولك. كانت الليدي أنجيكا نال تمسك سلة البيض، والآنسة سافرنيك تحمل سلة زهور معلّوة بأزهار ميتة. بينما كان إدوارد أنجيكا نال يرتدي معطف صيد فضفاض له جييبان كبيران مليئان بالخضيرة. واحد فقط من بينهم هو الذي أخذ المسدس بعيداً معه. ولم يتم إخصاؤه في أي مكان قريب من المسيح، فقد مشط رجاله المكان، وهذا أمر مفروغ منه".

أوما بوارو برأسه، فتابع جرائع كلامه قائلاً:

"كانت جيردا كريستو هي المستهدفة من ذلك؛ ولكن من الذي حاول أن يحكم شبك القضية ضدها؟ هنا أجد كل دليل اتقيبه يخفي ويتلاشى تماماً". "هل رواياتهم لما حدث صباح ذلك اليوم مقنعة؟".

"الروايات صحيحة. كانت الآنسة سافرنيك تهذب أشجار الحديقة. وكانت الليدي أنجيكا نال تجمع البيض. وكان إدوارد أنجيكا نال والسير هنري يصطادان ثم اهتمقا في نهاية الصباح؛ حيث عاد السير هنري إلى المنزل. وجاء إدوارد أنجيكا نال إلى هنا من الغابات. أما الشاب الصغير فكان في غرفة نومه يقرأ (مكان غريب لتقرأ فيه في يوم لطيف، ولكنه من الشباب الذين يحبون قراءة الكتب في الأماكن المظلمة). أما الآنسة هارديكاسل فأخذت كتاباً إلى البستان تقرأه هناك. كل شيء يبدو طبيعياً للغاية ومحتملاً. وليس هناك داعياً للتأكد من ذلك. وبالنسبة لجادجون فقد أخرج صينية الأكواب من الجناح الملحق بالمسيح في

حوالي الثانية عشرة. لم يستطع تحديد مكان هذا الجمع أو ما سوف يفعلونه. انري! بشكل ما هناك شيء ما ضد الجميع تقريباً". "حقاً؟".

"بالطبع أكثر شخص واضح هي فيرونیکا كراي. فقد تشاجرت مع كريستو، كرهت رفضه بإيها، ومن المحتمل جداً أن تكون هي من أطلقت النار عليه، ولكنني لم أستطع الوصول لأبسط دليل على أنها هي من فعلت ذلك. ليس هنالك دليل على أنها انتهزت أي فرصة لتسرق مسدساً من المجموعة الخاصة بالسير هنري. فلم يرها أحد تدخل أو تخرج من حمام السباحة في ذلك اليوم. كما أن المسدس المفقود ليس في حوزتها بالطبع الآن".

"أها، هل تأكدت من ذلك؟".

"وماذا تظن؟ إيجاد دليل يحتاج لأمر تفتيش ولكن لم تكن هناك حاجة لذلك. فقد كانت جريمة للغاية في هذا الأمر. ليس في أي مكان في ذلك الكوخ عديم القيمة. وبعد تأجيل التحقيق حصلنا على إذن بمراقبة الآنسة كراي والآنسة سافرنيك، ومعرفة إلى أين تذهبان وماذا تفعلان. فاستعنا برجل يعمل في استديو التصوير ليراقب فيرونیکا، ولكنه لم يتوصل لأي شيء يدل على أنها كانت تحاول أن تخفي المسدس هناك".

"وهنريتا سافرنيك؟".

"لم نتوصل لأي شيء أيضاً. عادت مباشرة إلى تشيلسي، ومنذ ذلك الوقت وهي تحت المراقبة. وتأكدنا أن المسدس ليس في الاستديو الخاص بها أو في حوزتها. كما أنها لم تعارض البحث، بل بدت متحمسة له. بعض أعمالها الفنية أخافت رجلنا كثيراً. قال إنه يتساهل عن السبب الذي يجعل بعض الناس يرغبون في مثل هذا النوع من الفنون؛ تماثيل ضخمة ومتورمة، أجزاء من النحاس والألومنيوم مشكلة بصور خرافية، خيول لا ترى فيها أي جانب للخيول".

تململ بوارو في جلسته.

"تقول خيولاً؟".

"حسناً، حصاناً. إذا أمكننا أن نسميه حصاناً! إذا رغب الناس في عمل تماثيل لحصان، فلماذا لا يذهبون ويلقون نظرة على أي حصان؟".

كرر بوارو كلامه: "حصان".

من السهل أن يقتنع بأفكار معينة عن دكتور كريستو. فقد يتخيل أن الطبيب كان يخطط للإبثات جنونه. صحيح أن كريستو لم يكن طبيب أمراض عصبية. ولكنه كان متخصصاً في الأمراض العصبية التي تحدث نتيجة لأمراض الجهاز الهضمي؛ ولكن هذا الصبي قد يتخيل ذلك. قد يتخيل أن كريستو جاء ليضعه تحت المراقبة. فتصرفاته غريبة للغاية، ذلك الشاب متوتر جداً مثل القطط".

جلس جرانج تيمساً للحظة أو اثنتين.

"فهمت ما أعنيه؟ كلها اتهامات غامضة، لا تقود لأي شيء".

تململ بوارو في جلسته مرة أخرى. ثم تتمم يقول:

"بعيداً - ليس لشيء محدد. لا تؤدي لأي شيء بدلاً من أن تقودنا لشيء ما.... نعم بالطبع، الوضع يجب أن يكون كذلك".

حدق جرانج فيه، ثم قال له:

"جميعهم غريبو الأطوار، كل أفراد عائلة أنجيكاثل. أحياناً أكاد أجزم أن الجميع يعرف شيئاً ما".

قال بوارو بهدوء:

"إنهم كذلك".

سأله المفتش بارتياح: "أتمنى أنهم يعرفون من ارتكب الجريمة، جميعهم يعرفون القاتل؟".

أوما بوارو برأسه.

"نعم، إنهم يعرفون. كنت أفكر في ذلك لبعض الوقت، ولكنني أصبحت موثقاً من ذلك الآن".

تجهم وجه المفتش وهو يقول: "فهمت، وهم يخفونه في مكان ما بينهم؟ حسناً، سوف أهرمهم جميعاً، وسوف أعثر على ذلك المسدس".

وجد بوارو العبارة الأخيرة أكثر ما يهم المفتش جرانج.

تابع جرانج حديثه بكرهية:

"أنا مستعد لأي شيء لأشفي غليلي منهم".

"من -"

التفت جرانج إليه.

"ماذا في ذلك يثير اهتمامك بهذا الشكل يا سيد بوارو؟ لا أفهمك".

"أحاول إيجاد علاقة - هذا جزء من علم النفس".

"توجد علاقة بين كلمات حصان وعربة؟ حصان خشبي هرّاز؟ حصان من الملابس، لا، لم أتوصل لأي شيء. على أية حال، بعد يوم أو اثنين، حزمت الأنسة سافرنيك أمتعتها وعادت إلى هنا مرة أخرى. أعترف ذلك؟".

"نعم، لقد تحدثت معها ورأيتها وهي تسير في الغابات".

"كانت عصبية، حسناً، لقد كانت على علاقة مع الطبيب، ولا يجب أن ننسى كلمته: "هنريتا" وهو على شفا الموت والتي كانت أقرب إلى الاتهام. ولكن هذا ليس حقيقياً يا سيد بوارو".

قال بوارو متأملاً: "لا، ليس حقيقياً".

قال جرانج بنقل:

"هناك شيء في الجو هنا، شيء يوقعك في شرك لا نهاية له. وكان الجميع يعرف شيئاً ما. الليدي أنجيكاثل الآن. لن تستطيع أن تقدم شيئاً جيهاً دفعها لأخذ ذلك المسدس معها في ذلك اليوم. أمر جنوتي - أحياناً أظنها مجنونة".

هز بوارو رأسه ببطء شديد.

قال له: "لا، إنها ليست مجنونة".

"ثم إدوارد أنجيكاثل. ظننت أنني سأمسك شيئاً عليه. لقد لمحت الليدي أنجيكاثل - بطريقة غير مباشرة - إلى أنه كان مغرمًا بالأنسة سافرنيك منذ سنوات، حسناً، هذا يوجد دافعاً لديه. ثم أعرف بعد ذلك أنه ارتبط بالفتاة الأخرى: الأنسة هاردكاسل. حركة مفاجئة للغاية غيرت تقييمي للوضع".

تتمم بوارو بطريقة تتم عن تماطع مع المفتش جرانج.

تابع المفتش كلامه قائلاً: "ثم يأتي الشاب الصغير. لقد قالت الليدي أنجيكاثل معلومة عنه. يبدو أن والدته توفيت في مصحة للأمراض النفسية. كانت تعاني جنون الاضطهاد، كانت تظن أن الجميع يتامر لقتلها. حسناً، قد تفهم ما قد يعنيه ذلك. إذا كان الابن قد ورث هذا النوع تحديداً من الجنون،

"أهذه أنت يا سيد بوارو؟ حسنًا، إليك الخلاصة. إنه المسدس المفقود من مجموعة السير هنري، وأيضًا المسدس الذي قُتل به جون كريستو! هذا أمر محسوم. وهناك بصمات أصابع واضحة عليه، إبهام، وسبابة وجزء من الوسطى. ألم أقل لك إن الحظ حالنا أخيرًا؟"

"وهل حددتم بصمات الأصابع؟"

"ليس بعد. ولكنها قطعًا ليست بصمات أصابع السيدة كريستو. فلقد أخذنا بصماتها. تبدو أنها بصمات أصابع رجل وليست امرأة؛ فهي كبيرة الحجم. سوف أذهب غدًا إلى منزل هولو لأطلعهم على هذا الأمر وأخذ بصمات أصابع الجميع. وبعد ذلك يا سيد بوارو، سوف نعرف أين نحن بالضبط!"

قال له بوارو: "أمل ذلك، أنا واثق من ذلك."

بينما تلقى الاتصال الثاني في اليوم التالي، ولكن صوت المتحدث لم يعد سعيدًا أبدًا، بنبرة حزن شديدة قال المفتش جرانج:

"أتريد أن تسع أحدث الأخبار؟ بصمات الأصابع تلك لا تمت لأي شخص مرتبط بالقضية بأي صلة! لا يا سيدي! ليست بصمات إدوارد أنجيكاثل، أو ديفيد، أو السير هنري؛ وهي ليست لجيردا كريستو، أو الأنتسة سافرنك، ولا حتى فيرونكا، أو الليدي أنجيكاثل، أو الفتاة السمراء! بل إنها ليست حتى لخدمة المطبخ أو أي أحد من باقي الخدم!"

أطلق بوارو صوتًا ينم عن مواساته. فتابع المفتش يقول بصوت حزين:

"يبدو وكأنه كان عملاً من الخارج. أي أنه شخص كان يكره دكتور كريستو لا تعرف أي شيء عنه. شخص لم نره ولم نسمع شيئاً عنه سرق المسدس من المكتب، ثم أطلق النار على كريستو وهرب بعد ذلك من الطريق العصى. ثم صدم المسدس في سور منزلك واختفى تماماً بعد ذلك."

"هل تريد أن تأخذ بصمات أصابعي يا صديقي؟"

"لا مانع في ذلك! فقد فكرت يا سيد بوارو أنك كنت في المكان، ولا يهم، إن نسي أنك آخر شخص قد تتجه إليه أصابع الاتهام في هذه القضية!"

"منهم جميعاً! جميعهم يشوش علي! يقترحون أشياء! يلمحون لأشياء! يساعدون رجالي - يساعدونهم! كلها أنسجة خفيفة وأهنة أخيه بيت العنكبوت، لا شيء ملموس؛ ولكنني أريد حقيقة راسخة واضحة!"

كان هيركيول بوارو ينظر من النافذة لبضع لحظات. لفت انتباهه عشوائية تماثيل المنطقة المحيطة بمنزله.

قال الآن،

"تريد حقيقة راسخة؟ حسنًا، إذا لم أكن مخطئًا، هناك حقيقة راسخة في سور بوابة منزلي."

نزلاً إلى الحديقة، وجثا جرائح على ركبتيه، ثم باعد فروع الأشجار حتى كشف النقب عن شيء كان مخفياً بينها. أخذ نفساً عميقاً عندما رأى شيئاً أسود من الصليب مخفياً هناك.

قال له: "إنه مسدس".

استقرت عيناه للحظة على بوارو في ارتياب.

قال له بوارو: "لا، لا يا صديقي. لم أطلق النار على دكتور كريستو، ولم أخف المسدس في سور منزلي."

"بالطبع لم تفعل يا سيد بوارو! أنا أسف! حسنًا لقد حصلنا عليه. يبدو وكأنه المسدس المفقود من مكتب السير هنري. بإمكاننا أن نتأكد من ذلك بمجرد أن نحدد رقمه. وبعد ذلك سوف نرى ما إذا كان هو المسدس الذي قُتل به جون كريستو. من السهل أن نفعل ذلك الآن."

بحرص شديد مستخدماً منديلاً من الحرير أخرج المسدس من السور.

"أتمنى أن نجد بصمات أصابع عليه. هناك شعور يراودني أن حظنا تغير أخيرًا."

"أطمعني على ما ستصل إليه."

"بالطبع سأفعل يا سيد بوارو. سوف أتصل بك."

تلقى بوارو مكالمتين هاتفيتين. وصلته الأولى في مساء اليوم نفسه. كان المفتش سعيدًا.



قالت جيردا: "أنا، لا أعرف".

قالت إلسي باترسون:

"يجب أن نسرع يا عزيزتي، لنلحق بقطارتنا". هالتفت جيردا وعلى وجهها تعبير ينم عن راحة.

قالت ميدج:

"مسيكيتة جيردا، الشيء الوحيد الذي جنته من موت جون هو أنه حررها من كرم ضيافتك المروع يا لوسي".

"كم أنت قاسية يا ميدج. لا أحد يمكنه أن يقول إنني لم أحاول".

"وكم تزدادين سوءاً عندما تحاولين يا لوسي".

"حسناً، لطيف للغاية أن تفكر أن الأمر انتهى، أليس كذلك؟"، كانت لوسي تبتسم للجميع.

"بالطبع باستثناء المفتش جرانج المسكين. أنا حزينة من أجله. هل تظن أنه سيسعد إن دعوانه لتناول الفداء؟ أعني كصديق".

قال السير هنري: "أفضل أن ندعه وشائه يا لوسي".

قالت الليدي أنجيكا تال بتأمل: "لعلك محق. وعلى أية حال غداء اليوم لن يناسبه أبداً. لا أتصور أن طائر الحجل مع السوفليه اللذيذة التي تحسن السيدة ميدواي إعدادها يناسب المفتش جرانج. أظنه يحب شريحة لحم جيدة غير نامة النضج، وهناك تفاح لذيذ معد بالطريقة القديمة من دون أي إضافات - أو ربما زلابية التفاح - هذا هو الطعام الذي سامر بإعداده للمفتش جرانج".

"عزيزتك تجاه الطعام دائماً ما تكون منطوية يا لوسي. أظن أنه من الأفضل أن نعود إلى المنزل لنتناول الحجل، يبدو لذيذاً".

"حسناً، فكرت أن نحتفل بشكلكم. كم هو جميل سير الأمور دوماً بأفضل شكل ممكن، أليس كذلك؟".

"ن - نعم".

"أعرف ما تفكر فيه يا هنري، ولكن لا تقلق. سوف أهتم بذلك بعد الظهيرة".

"ماذا ستفعلين الآن يا لوسي؟".

## السابع والعشرون

١

تنحى المحقق في أسباب الوفاة ونظر إلى رئيس هيئة المحلفين.

نظر الأخير في الورقة التي كان يسكها في يده. ثم تحركت فتاحة آدم الخاصة به لأعلى ولأسفل بانفعال شديد. وبعد ذلك قرأ بصوت عال بشكل حذر، "توصلنا إلى أن المتوفي مات نتيجة القتل المتعمد الذي حدث على يد شخص أو مجموعة أشخاص غير معروفين".

أوماً بوارو برأسه ببعد حيث كان جالساً في الركن المجاور للحائط. ليس من الممكن أن يكون هناك حكم آخر.

خارج المحكمة. وقف آل أنجيكا تال لحظة يتحدثون مع جيردا وأختها. كانت جيردا ترتدي الملابس السوداء نفسها، وعلى وجهها التعبير الحائر غير السعيد ولكن هذه المرة لم تنتظرها سيارة ديمرل. شرحت لهم إلسي باترسون أن الفطار جيد للغاية. فطار سريع إلى ووترلو وسوف يلحقون بسهولة بقطار ١٠:٢٠ المتجه إلى بيكسهيل.

تمت الليدي أنجيكا تال تقول، وهي تمسك بيد جيردا:

"يجب أن تبقي على اتصال معنا يا عزيزتي. بإمكاننا أن نتناول غداء بسيطاً في يوم ما بلندن؟ أتوقع أن تقوموا بشراء بعض الأغراض بين الحين والآخر".

ابتسمت الليدي أنجيكا لث له وقالت:

"لا تقلق يا عزيزي، فقط سأنهي نهاية مفتوحة".

نظر إليها السير هنري في ريبة،

عندما وصلوا إلى هولو، خرج جادجون لكي يفتح لهم باب السيارة.

قالت الليدي أنجيكا لث: "لقد سار كل شيء على نحو مرضٍ يا جادجون من فضلك، أخير السيدة ميدواي والبقية بذلك. أعرف كم كان الأمر مزعجاً للجميع، وأحب أن أخبركم الآن كم أقدّر أنا والسير هنري الإخلاص والولاء اللذين أظهرتهما جميعاً".

قال جادجون: "كنا جميعاً قلقين عليك يا سيدتي".

قالت لوسي وهي تدخل غرفة المعيشة: "لطف شديد من جادجون، ولكن لا داعي له حقاً، فلقد استمتعت كثيراً بالأمر - أنا مختلفة كثيراً عما اعتاده الجميع، ألا تعتقد يا ديفيد أن تجربة كهذه وسعت أفقك؟ قطعاً كانت مختلفة عما تدرسه في كامبريدج".

قال ديفيد بيروود: "أنا أدرس بجامعة أوكسفورد".

قالت الليدي أنجيكا لث على نحو غامض: "سباق القوارب الجميل، رياضة إنجليزية، ألا تعتقد ذلك؟"، ثم اتجهت ناحية الهاتف، ورفعت السماعة وأمسكتها في يدها ثم مضت تقول:

"أمل يا ديفيد أن تأتي وتقيم معنا مرة أخرى. من الصعب جداً أن نتعرف على أشخاص عند وقوع جريمة قتل، أليس كذلك؟ ومن المستحيل تماماً أن تفتح الباب لأي حوار فكري".

قال لها ديفيد: "شكراً لك، ولكنني قررت أن أذهب إلى أئينا: إلى المدرسة البريطانية".

التفت الليدي أنجيكا لث زوجها.

"من المملول في السفارة الآن؟ أوه، طبعاً. أمل أن يكون ريمينجتون. لا، لا أظن أن ديفيد سوف يحبهم. فضلتهم غاية في الرقة. يلعبن الهوكي والكروكيت وتلك اللعبة الغريبة التي تحتاج إلى شبكة".

ثم توقفت عن الكلام ونظرت إلى سماعة الهاتف.

"والآن، ماذا كنت سأفعل بهذا الشيء؟".

قال لها إدوارد: "لعلك كنت ستتصلين بشخص ما".

وضعت السماعة وهي تقول: "لا أظن ذلك، هل تحب الهواتف يا ديفيد؟".

قال ديفيد في نفسه وهو مزعج بأن هذا هو نوع الأسئلة التي تطرحها لوسي، سؤال ليس له أي رد ذكي. أجابها بيروود أنه من المفترض أن تكون مفيدة.

قالت الليدي أنجيكا لث: "أعني، مثل الفرامات؟ أو الشرائط المطاطية؟ جميعها واحدة، لا يمكن للمرء -".

توقفت عن الكلام عندما ظهر جادجون على الباب معلناً وقت الغداء.

قالت الليدي أنجيكا لث لديفيد بشغف: "ولكنك تحب تناول الحجل".

اعترف ديفيد بأنه يحب الحجل.

بعدما خرجت ميدج وإدوارد من المنزل وسارا معاً ناحية الغابات قالت له: "أحياناً أظن أن لوسي مخبولة ببعض الشيء".

كان الحجل والسوفليه رائعين بحق، وعندما سألت ميدج إدوارد عما إذا كانت الفعلة انزاحت، قال إدوارد متأملاً:

"دائماً ما أرى أن لوسي تتمتع بعقل رائع يعبر عن نفسه بطريقة تشبه أحجية الكلمة المفقودة. فهي تخلط بين الصور: المطرقة تنتقل من مسمار لآخر ولا تحقق أبداً في الدق على رأس كل واحد".

قالت ميدج بجدية: "لوسي تخيفني أحياناً". صمتت لحظات ثم أردفت تقول وهي ترمش بعض الشيء: "هذا المكان أصبح يخيفني في الآونة الأخيرة". "هولو؟".

نظر إدوارد إليها بوجه مذهول.

قال لها: "دائماً ما يذكرني بإينزويك بعض الشيء. بالطبع ليس مثله، ليس حقيقياً -".

قاطمته ميدج قاذلة:

"ولماذا تريد أن تعرفني؟ ما علاقتنا بجون كريستو؟"

قالت ميدج في نفسها: علاقتنا، إدوارد وأنا؟ لا شيء! فكرة مريضة، هي وإدوارد تربطهما علاقة مزدوجة. ويرغم ذلك، رغم أن جون كريستو أصبح يرقد في قبره، ورغم صلاة الجنائز، والكلمات التي ودع بها، لم يدفن تمامًا. لقد مات وانتهى يا سيدتي؛ ولكن جون كريستو لم يمت، رغم كل ما تمناه إدوارد. كان جون كريستو لا يزال هنا في منزل هولو.

قال إدوارد: "إلى أين سنذهب؟"

فاجأه شيء في صوتها، قالت له:

"دعنا نصعد أعلى الجبل. هلا فعلنا؟"

"إن شئت".

لسبب ما لم يكن مستعدًا لذلك، تساءلت في نفسها عن السبب. كان في العادة يستمتع بالسير في ذلك المكان، اعتاد هو وهنريتا القيام به تقريبًا - استواقضها الفكرة كثيرًا. هو وهنريتا، قالت له: "هل سرت في هذا الطريق هذا الخريف؟"

قال بجمود:

"لقد صعدت مع هنريتا هذا الجبل بعد ظهيرة اليوم الأول من وصولنا".

تابعًا سيرهما في صمت.

وصلا أخيرًا لأعلى الجبل وجلسا على الشجرة الساقطة.

قالت ميدج في نفسها: "لعله جلس مع هنريتا هنا".

أدأت الخاتم الذي كانت تضعه في إصبعها عدة مرات. لمعت الألماسة ببرود في عينيها. تذكرت قوله: "ليس الأخضر الزمردي".

قالت وهي تجد صعوبة في ذلك،

"سيكون جميلًا أن نذهب إلى إنزويك في رأس السنة".

بدا وكأنه لم يسمعها. لقد شرد بعيدًا.

قالت في نفسها: "إنه يفكر في هنريتا وجون كريستو".

جلس هنا وقال شيئًا لهنريتا، أو قالت هي له شيئًا. لعل هنريتا تعرف الأشياء

"هذا كل ما في الأمر. أنا أخاف من الأشياء التي ليست حقيقية. فإنت لا تعرف ما وراءها. إنها أشبه - أوه، أشبه بقناع".

"لا يجب أن تكوني خيالية يا ميدج الصغيرة".

كان يتحدث بنبرة القديمة، النبرة المتساهلة التي استخدمها منذ سنوات مضت. كانت تحبها في ذلك الوقت، ولكنها أصبحت تزعمها الآن. حاولت أن توضح ما تعنيه، أن تريه أن خلف ما يصفه بالخيال، شكل ما لواقع غير واضح تمامًا.

"لقد هربت منه إلى لندن، ولكنني الآن بعدما عدت من جديد. أشعر بأن الجميع يعرف من قتل جون كريستو. وأن الشخص الوحيد الذي لا يعرف - هو أنا".

قال إدوارد بانفعال:

"هل يجب أن أفكر ونتحدث عن جون كريستو؟ لقد مات. مات وانتهى".

تمتت ميدج تقول:

"لقد مات وانتهى، يا سيدتي

مات وانتهى.

غطت الحشائش الخضراء رأسه.

ووضع حجر أسفل قدميه".

وضعت يدها على ذراع إدوارد. "من قتله يا إدوارد؟ ظننا أنها جيرة. ولكنها ليست جيرة. فمن إذن؟ أخبرني بما ظننه؟ هل هو شخص لم نسمع به من قبل؟"

قال متفعلًا:

"كل هذا التفكير أراه غير ذي نفع. إذا لم تستطع الشرطة تحديد القاتل، أو عجزت عن جمع أدلة كافية، فإننا يجب أن نسقط الأمر برمته من ذاكرتنا - ألا نفكر فيه أبدًا".

"نعم، ولكن هذه عدم معرفة".

التي لا تريدھا، ولكنه لا يزال ينتمي لهنريتا. لطالما كان كذلك، لطالما كان ينتمي لهنريتا....

اعتصرھا ألم شديد، عالم المقاصة السعيد الذي عاشت فيه طوال الأسبوع الماضي اهتز وانفجر.

قالت في نفسها: "لا أستطيع أن أعيش على هذا النحو، وهنريتا موجودة في رأسه دومًا. لا أستطيع أن أواجه ذلك، لا أطيق ذلك".

تسللت الرياح عبر الأشجار بقوة، فأصبحت الأوراق تتساقط بسرعة الآن. لم يتبق على الأشجار أية أوراق ذهبية، كل ما بقي هي الأوراق البنية.

قالت له: "إدوارد".

أيقظه الإلحاح الذي استشره في صوتها. فالتفت ينظر إليها.

"نعم؟"

"أنا أسفة يا إدوارد". كانت شفتاها ترتعشان ولكنها حاولت أن تتحدث بصوت هادئ رابط الجأش. "يجب أن أخبرك بأنه لا فائدة من ذلك. لا أستطيع أن أتزوجك، لن يتجوزا جانا يا إدوارد".

قال لها: "ولكن يا ميدج - بالطبع إيتزويك -".

قاطعته قائلة:

"لا أستطيع أن أتزوجك من أجل إيتزويك فقط يا إدوارد. يجب أن تفهم ذلك".

تهند عندها تهيدة طويلة لطيفة. كانت أشبه بصوت تساقط أوراق الأشجار الممتدة بسهولة من فوق أخصان الأشجار.

قال لها: "فهمت ما تعنيه، نعم، أظنك محقة".

"لطف منك أن تطلب يدي، كان حلمًا حلوا وغالياً، ولكنه لن يتجح يا إدوارد لن يتجح".

لعل أملاً بسيطاً راودها أن يعارضها، أن يحاول أن يقمها بأنها مخطئة. ولكنه بدا أنه يشعر بما تشعر به بالضبط ببساطة. فقد رأى هو الآخر - وهو ما بدا واضحاً عليه - مع ظهور شبح هنريتا جالسا إلى جواره، أن الأمر لن يتجح.

قال مردداً كلماتها: "لا، لن يتجح".

خلعت الخاتم من إصبعها وأعطته إياه.

سوف تحب إدوارد دائماً، وسوف يحب إدوارد هنريتا دائماً، وسوف تصبح الحياة هي التحجيم بعينه.

قالت بصعوبة كبيرة:

"إنه خاتم جميل يا إدوارد".

"أتمنى لو تحتفظين به يا ميدج. أريدك أن تحتفظي به".

هزت رأسها وهي تقول:

"لا أستطيع أن أفعل ذلك".

قال وهو يضغط على شفتيه بطريقة ساخرة:

"لا أستطيع أن أعطيه لأي شخص آخر كما تعرفين".

سار كل شيء على نحو ودي للغاية. لم يعرف - ولكن يعرف أبداً - ما كانت تشعر به. لقد كانت الجنة بين يديها على طبق - وانكسر الطبق فتسللت الجنة من بين أصابعها، أو لعلها لم تكن هناك من الأساس.

## ٢

بعد ظهيرة ذلك اليوم، استقبل بوارو زائره الثالث.

لقد زارته هنريتا سافرنيك وفيرونيك كراي من قبل. ولكن الليدي أنجيكا تل هي التي زارته هذه المرة. جاءت سائرة على الطريق بمظهرها المعتاد غير الواقعي.

فتح الباب ووقفت هي هناك تبسم له.

قالت له: "لقد جئت لأراك".

تماماً مثلما تصدي جنية جميلاً لإنسان فان.

"أنا مفتون يا سيدتي".

قادها إلى غرفة المعيشة. جلست على أريكة ثم ابتسمت له مرة أخرى.

قال هيركيول بوارو في نفسه: "إنها عجوز - بشعر أشهب - تملأ التجاعيد وجهها. إلا أنها تتمتع بسحر، سوف تتمتع بهذا السحر على الدوام..."

قالت الليدي أنجيكاثل بركة:

"أريدك أن تفعل شيئاً من أجلي".

"نعم يا سيدة أنجيكاثل؟"

"بداية، يجب أن أتحدث معك - عن جون كريستو".

"عن جون كريستو؟"

"نعم، يبدو لي أن الشيء الوحيد الذي يجب عمله هو إنهاء الأمر كله. أنت تفهم ما أعنيه، أليس كذلك؟"

"لست وأنتا أفني أعرف ما تعنيه يا سيدة أنجيكاثل".

"عزيزي السيد بوارو، أنت تعرف تماماً. سوف تتعقب الشرطة صاحب البصمات الموجودة على المسدس، وسوف يضغطون في النهاية لإسقاط القضية برمتها. ولكنني أخشى، أنك لن تسقطها يا سيد بوارو من تفكيرك".

قال هيركيول بوارو: "لا، لن أضعها تسقط".

"هذا ما ظننته بالضبط. ولهذا السبب جئت إلى هنا. أنت تريد أن تعرف الحقيقة، أليس كذلك؟"

"قطعاً أريد الحقيقة".

"أرى أنني لم أوضح ما قصده بشكل جيد. أنا أحاول أن أكتشف لماذا لن تدع الأمور على حالها، ليس السبب مكانتك، أو أنك تريد أن ترى القاتل مشتوقاً (بهذه الطريقة الشنيعة للمقتل، لطالما رأيته - خاصة في العصور الوسطى). أرى أن السبب - من وجهة نظري - أنك تريد أن تعرف، أنت تفهم ما أعنيه، أليس كذلك؟ إذا أردت أن تعرف الحقيقة، إذا كنت تبحث عن يظلمك على الحقيقة، أظن أن هذا قد يجعلك راضياً؟ هل سيرضيك ذلك يا سيد بوارو؟"

"أعرضين أن تخبريني بالحقيقة يا سيدة أنجيكاثل؟"

أومأت برأسها.

"إذن أنت تعرفين الحقيقة؟"

اتسمت عيناها كثيراً.

"أوه، نعم. لقد عرفتها منذ وقت طويل، وأريد أن أطلعك عليها. وبعد ذلك سوف نتفق على أن نترك الأمر على هذه الحالة وننتهي منها".

ابتسمت له.

"هل اتفقنا يا سيد بوارو؟"

كان جهذاً على هيركيول بوارو ليقول:

"لا يا سيدتي، لم نتفق".

أراد، أراد بشدة، أن يترك الأمر برمته على حاله، لمجرد أن الليدي أنجيكاثل طلبت منه أن يفعل ذلك.

جلست الليدي أنجيكاثل ساكنة للحظة، ثم رفعت حاجبها وقالت:

"أتساءل، أتساءل عما إذا كنت تعرف بحق ما تفعله".

ولكن من الأفضل أن تتحمل النفي، والوحدة، وملل الحياة ورتابتها من أن تعيش مع إدوارد وشيخ هنريتا يطاردها. حتى ذلك اليوم الذي قضته مع إدوارد في الغابة لم تعرف قدرتها الخاصة على تحمل نار الغيرة.

وعلى كل، لم يقل لها إدوارد من قبل إنه أحبها. كان يبادلها الحنان والمطف، ولكنه لم يتظاهر أبداً بأكثر من ذلك. وقد رضيت هي بذلك، حتى أدركت معنى أن تعيش بالقرب من إدوارد وعقله وقلبه مشغول بهنريتا كضييفة دائمة، عندئذ فحسب أدركت أن حنان إدوارد وحده لا يكفي.

سار إدوارد أمام باب غرفتها، ومنه إلى درجات السلم الأمامية. كان ذلك غريباً، غريباً للغاية، إلى أين سيذهب؟

تملكها القلق. كان ذلك جزءاً لا يتجزأ من القلق الذي أصبحت تشعر به في منزل هولو هذه الأيام. ما الذي سيفعله إدوارد في الطابق السفلي في هذه الساعة المبكرة من الصباح؟ هل خرج؟

لم تعد تطبيق الجلوس على هذا النحو. فنهضت من فراشها، ووضعت الروب على كتفيها. وأخذت كشاقاً وفتحت باب غرفتها ثم سارت في الممر.

كان الظلام دامساً، فلم يكن هناك أي مصباح مضاء. التفتت سيدج ناحية اليسار حتى وصلت لأعلى درجات السلم. كان الظلام يخيم على كل شيء في الطابق السفلي. نزلت السلالم بسرعة، وبعد لحظة من التردد أضاءت نور الردهة. كان الصمت يعم المكان. وكان الباب الأمامي مقلماً وموصداً. فالتجهت إلى الباب الجانبي ولكنه أيضاً كان موصداً.

إذن إدوارد لم يخرج خارج المنزل. أين يمكن أن يكون؟

وفجأة رفعت رأسها وتشممت الهواء.

رائحة، رائحة غاز بسيطة.

كان الباب المقطى بنسيج البير المؤدي إلى المطبخ موارباً. فعبثت الباب ورأت ضوءاً بسيطاً ينبعث من باب المطبخ المفتوح. كانت رائحة الغاز قد ازدادت أكثر.

ركضت سيدج بسرعة عبر الممر ومنه إلى المطبخ. فوجدت إدوارد جالساً على الأرض واضعاً رأسه داخل قرن الغاز الذي كان مفتوحاً بالفعل.

## الثامن والعشرون

تقلبتي سيدج: التي كانت مستلقية على السرير جافة العينين في ظلام غرفتها الدامس على سريرها والقلق يمتصها. سمعت صوت فتح باب، ووقع خطوات في الردهة خارج باب غرفتها. كان باب غرفة إدوارد، ووقع أقدامه. فوضعت يدها على المصباح القريب من سريرها وأضاءته، ثم نظرت إلى الساعة المجاورة للمصباح الموضوع على الطاولة. كانت الساعة الثالثة إلا ثلاث دقائق.

مر إدوارد على باب غرفتها ثم نزل درجات السلم في تلك الساعة من الصباح. كان ذلك غريباً.

كان الجميع قد خلد للنوم في وقت مبكر: في العاشرة والنصف. ولكنها شخصياً لم تنم، وإنما ظلت مستلقية على سريرها يجاهي النوم عينها، وألم شديد من البؤس والتعاسة يعصف بها.

سمعت دقات الساعة في الطابق السفلي: كما سمعت نقيق اليوم خارج نافذة غرفة نومها. شعرت بذلك الاكتئاب الذي بلغ ذروته في تمام الساعة الثانية صباحاً. قالت لنفسها: "لا أطيق ذلك، لا أطيق ذلك. غدا سيأتي - يوم آخر. ويوماً بعد يوم سوف يتدهل الجرح".

لقد اختارت بملء إرادتها أن تتبعد عن إينزويك، بكل جماله وقربه لقبها، رغم أنه كان من الممكن أن يصير ملكيتها الخاصة.

كانت ميدج فتاة سريعة وعملية. كان أول ما فعلته هو أن اتجهت إلى النافذة. ولكنها لم تستطع أن تفتح مصراعها، فلفت فوطة المطبخ حول ذراعها وكسرت النافذة. ثم كتمت أنفاسها، وانحنت وسحبت إدوارد من داخل القرن وأغلقت مفتاح القرن.

كان هادداً الوعي ويتنفس بطريقة غير منتظمة، ولكنها عرفت أنه لن يستمر في غيبوبته لفترة طويلة. كل ما هنالك أنه فقد وعيه لبعض الوقت. وبسرعة، طرد الهواء الذي دخل من النافذة ومن الباب المفتوح رائحة الغاز، وسحبت ميدج إدوارد إلى مكان قريب من النافذة حتى يكون قريباً من الهواء النقي. ثم جلست هناك وضمت بين ذراعيها القويتين.

نطقت اسمه برقة في البداية، ثم نادته بياس متزايد.

"إدوارد، إدوارد، إدوارد...."

اهتز قليلاً، وتأوه، ثم فتح عينيه، ونظر إليها. قال بصوت خافت للغاية: "فرن الغاز؟ ثم اتجه بناظره إلى القرن.

"أعرف يا عزيزي، ولكن لماذا - لماذا؟"

كان يرتعش الآن، كانت يده باردتين لا حياة فيهما. قال لها: "ميدج؟" كان صوته يدل على دهشة ومثمة.

قالت له: "سمعتك تمر على باب غرفتي. لم أعرف... نزلت."

تهدد وأخذ نفساً عميقاً وكأنه يأخذه من مكان بعيد جداً. قال لها: "أفضل مخرج". ثم تذكرت حوار لوسي ليلة وقوع المأساة من الأخبار التي تعرضها "نيوز أوف ذا وورلد".

"ولكن إدوارد لماذا، لماذا؟"

نظر لأعلى إليها، فأخاها الظلام البارد الخاوي الذي بدا في عينيه.

"لأنني أعرف أنني عديم النفع، فاشل وغير كفء على الدوام. أمثال كريستو من الرجال هم من ينجحون. ينجحون في عملهم ويفوزون بإعجاب النساء. أنا لا شيء - لست على قيد الحياة أساساً. لقد ورثت إينزويك ولدي ما يكفي لأعيش عليه، ولولا ذلك كنت سأنهار. لست مفيداً في أي عمل، كما أنتي لا أجد الكتابة.

هنريتا لم تردني. لا أحد يريدني. وفي ذلك اليوم، في بيركلي - فكرت - ولكن القصة نفسها تكررت. لم تهمني أنت الأخرى يا ميدج. لم تحمليني حتى من أجل إينزويك. لذلك فكرت أنه من الأفضل أن أترك الحياة برمتها".

خرجت كلماتها باندفاع: "عزيزي، عزيزي، أنت لا تفهم. كان ذلك بسبب هنريتا، لأنني ظننت أنك ما زلت تحبها كثيراً".

تمتم يقول على نحو غامض وكأنه يتحدث من شخص ما بعيداً جداً: "هنريتا؟ نعم لقد أحببتها كثيراً".

ثم سمعته يقول من مكان أبعد:

"الجو بارد للغاية".

"إدوارد: عزيزي".

طوقته بذراعيها بقوة، فابتسم لها وتمتم يقول:

"أنت دافئة للغاية يا ميدج، أنت دافئة للغاية".

قالت في نفسها نعم، هذا هو اليأس، شيء بارد، شيء يحتوي على برودة ووحدة لا نهاية لهما. لم تفهم أيها حتى تلك اللحظة أن اليأس شيء بارد. كانت تفكر فيه باعتباره شيئاً ساخناً ونفعا، شيئاً عتيقاً. ولكن الأمر لم يكن كذلك. هذا هو اليأس، ذلك الظلام الدامس من البرودة والوحدة. وخطينة اليأس، التي يتحدث عنها رجال الدين، خطينة باردة، خطينة أن تقطع نفسك من كل معارفك الذين يتمتعون بالدفع والحياة.

قال إدوارد مرة أخرى: "أنت دافئة للغاية يا ميدج". وعلى نحو مفاجئ بسعادة وفخر، قالت لنفسها: "ولكن هذا هو ما يريده - هذا ما يمكنني أن أعطيه إياه". كان الجميع ياردين، كل أفراد عائلة أنجيكاكل، وحتى هنريتا نفسها فيها شيء مضلل وخادع، أعبه ببرود دم آل أنجيكاكل. ساعد إدوارد يحب هنريتا وكأنها حلم غير ملموس لا يمكنه تحقيقه، ولكنه يحتاج حقاً إلى الدفء والثبات والاستقرار. يحتاج إلى صديقة يومية، يحتاج لمن يشاركه الحب والضحك في إينزويك.

قالت في نفسها: "إدوارد يحتاج لمن يشعل ناراً في قلبه، وأنا الشخص الذي سيقعل ذلك".

نظر إدوارد إلى أعلى، فرأى ميدج تنحني عليه بوجهها، ببشرتها الدافئة، وقمها الواسع، وعينيهما الثابتتين، وشعرها القائم الذي قسمته نصفين خلف جبينها وكأنه جناحان.

كان دائماً ما يرى هنريتا انعكاساً للماضي. المرأة الناضجة التي يبحث عنها. كان يبحث في المرأة الناضجة التي سيتزوجها عن صورة الفتاة بنت السابعة عشرة التي كانت حبه الأول. ولكنه الآن، وهو ينظر إلى ميدج، انتابه إحساس غريب بأنه يرى ميدج مستمرة. رأى الفتاة التي تذهب إلى المدرسة بجديتي شعرها، رأى أمواجه القائمة تشكل وجهها الآن، رأى بالضبط كيف سيبدو هذان الجناحان عندما يتحول لون شعرها القائم إلى اللون الرمادي.

قال في نفسه: "ميدج حقيقية، الشيء الوحيد الحقيقي الذي عرفته..." استشمر دهنها، وقوتها، وسمرة بشرتها، وحيويتها، ميدج هي الشيء الوحيد الحقيقي في حياته. ميدج هي الصخرة التي يمكن أن أبني حياتي عليها." قال لها: "عزيزتي ميدج، أنا أحبك كثيرًا، لا تتركي مرة أخرى."

أقبلت عليه، واحتضنته، شعر بحبها يطوقه. أخيرًا أزهرت السعادة في الصحراء الباردة التي عاش فيها وحيدًا لفترة طويلة.

هبة قالت ميدج وهي تفقهه من الضحك:

"انظر يا إدوارد، لقد خرجت خنفساء سوداء لتتأمل إلينا. أليست خنفساء لطيفة؟ لم أتصور أبدًا أنني سأحب خنفساء سوداء لهذه الدرجة!"

ثم أضافت على نحو حالم: "يا لغرابية الحياة. إننا جالسان الآن على أرض المطبخ الذي لا يزال صعبًا برائحة الفاز وسط خنافس سوداء، ونشعر بأننا في الجنة."

تمتم يقول على نحو حالم: "بإمكانني أن أبقي هنا إلى الأبد."

"من الأفضل أن نذهب ونحظى ببعض النوم. الساعة الرابعة الآن. كيف سنفسر للوسي انكسار هذه النافذة؟". فكرت ميدج قليلًا ثم قالت: "لحسن الحظ لوسي شخصية من السهل للغاية تفسير الأمور لها بشكل غير عادي".

فتحت ميدج صفحة من دفتر لوسي الخاص، بعدما دخلت غرفتها في الساعة السادسة صباحًا. وعلى الفور كتبت جملة حقيقية صريحة.

"نزل إدوارد إلى الطابق السفلي متجهًا إلى المطبخ ووضع رأسه بداخل قرن الفاز في ساعات مبكرة من الصباح. لحسن الحظ أنني سمعته، فنزلت خلفه مباشرة، وكسرت النافذة لأنني لم أستطع أن أفتحها بسرعة".

يجب أن تعترف ميدج بأن لوسي كانت رائعة.

ابتسمت ابتسامة حلوة ليست فيها أية علامة استغراب.

قالت لها: "عزيزتي ميدج: أدت عملية للغاية. أنا وأخوة أنك ستكونين دومًا خير عون لإدوارد".

بعدما انصرفت ميدج، استلقت الليدي أنجيكا تلتفكر. ثم نهضت من مكانها ودخلت غرفة زوجها. التي كانت مفتوحة للمرة الأولى.

"هنري".

"عزيزتي لوسي! لم تشرق الشمس بعد".

"لا ولكن اسمع يا هنري، الأمر مهم حقًا، يجب أن ندخل الكهرباء إلى المطبخ وتخلص من قرن الفاز ذلك".

"لماذا، إنه جيد، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم يا عزيزي. ولكنه يلهم الناس ببعض الأفكار، وليس الجميع عمليين مثل ميدج".

وعلى الفور خرجت من غرفته. تقلب السير هنري في مكانه وهو يصدر صوتًا يعبر عن امتعاضه. ثم نهض على الفور وكأنه استيقظ لتوه من النوم، ثم ستم يقول: "هل حلمت بذلك، أم أن لوسي دخلت الغرفة وبدأت في الحديث عن أهران الفاز؟".

في خارج العمر، ذهبت الليدي أنجيكا تلت إلى الحمام ووضعت الفلاية على الشعلة. كانت تعرف أن الناس يحبون تناول كوب من الشاي في الصباح الباكر. وبعدما استحسنت هذا التصرف، عادت إلى السرير واستلقت على ساندوها، راضية عن الحياة وعن نفسها.



ميدج وإدوارد هي إينزويك بعد انتهاء التحقيق. سوف تذهب وتحدث إلى السيد بوارو مرة أخرى. إنه رجل لطيف...

وعلى نحو مفاجئ، خلطت ببالها فكرة أخرى. اعتذرت في جلستها على سريرها وقالت: "أتساءل الآن عما إذا كانت فكرت في ذلك".

نهضت من فراشها واتجهت على الفور إلى غرفة هنريتا، وبدأت في حديثها كالعادة قبل أن تصل إلى مسممها بكثير.

"- وبشكل مفاجئ، خطر على بالي يا عزيزي أنك أغفلت هذا الأمر".

تمتعت هنريتا بتحدث وهي شبه نائمة: "بحق الله يا لوسي، الطيور لم تستيقظ بعد".

"أوه، أعرف يا عزيزتي أن الوقت مبكر قليلاً، ولكنها بدت ليلة مزعجة للغاية - إدوارد وفرن الفاز وميدج وناهدة المطبخ - والتفكير فيما سأقوله للسيد بوارو وكل شيء -".

"أنا أسفة يا لوسي، ولكن كل شيء تقوليته يبدو غامضاً. ألا يمكنك أن تنتظري؟".

"إنه مجرد جراب للمسدس يا عزيزتي، تصورت أنك قد تغفلين عن جراب المسدس".

"جراب؟" نهضت هنريتا من مكانها، واستيقظت على الفور. "عن أي جراب تتحدثين؟".

"المسدس الخاص بهنري كان في جراب، كما تعرفين. ولم نمر على الجراب. وبالطبع لن يفكر أحد في ذلك - ولكن على الصعيد الآخر قد يفكر شخص ما -".

هبت هنريتا من مكانها وقالت:

"دائماً ما نفضل بعض الأ

عابت الليدي أنجيكا تال إلى غرفتها.

ودهيت لسريها وبسرعة خطت في نوم عميق.

على الماء الموجود في الخلاية واستمر يغلي.

## التاسع والعشرون

تقلبت جيردا على السرير وجلست على طرفه.

أصبح رأسها أفضل قليلاً، ولكنها كانت لا تزال مسرورة لأنها لم تذهب مع الآخرين للتنزه. فالجلوس بمفردها في المنزل لبعض الوقت كان أمراً مريحاً يبعث على الهدوء.

بالطبع، كانت إلسي طيبة للغاية معها - طيبة جداً - خاصة في البداية. في البداية، طلبت من جيردا أن تبقى في السرير وتتناول إقطارها هناك، وكانت تأمر بذهاب صينية الطعام إليها، كان الجميع يحثها على الجلوس في أكثر الكراسي المريحة، وأن ترفع قدميها، وألا تفعل أي شيء يصيبها بالتوتر.

كان الجميع أسفين من أجلها على فقد جون. ظلت منكشمة وممتلئة لهذه الرعاية التي تمنحها الحماية. لم ترد أن تفكر، أو تضرع، أو تتذكر.

ولكنها الآن، شمرد به يقترب كل يوم. يجب أن تبدأ الحياة من جديد، أن تقرر ما ستفعل، وأين ستعيش، لقد لمحت إلسي بالفعل لها بنفاد صبر كماداتها: "أوه جيردا، لا تكوني بطيئة لهذه الدرجة".

ظل الوضع على حاله - منذ فترة طويلة، قبل أن يأتي جون ويأخذها بعيداً. كان الجميع يظنها بطيئة وغبية، لم يعد هناك من يقول، كما كان جون يقول لها: "سوف أعتني بك".

كانت جيردا لا تزال تحقد فيها. مشكلة جيردا كما رأت هنريتا أنها بطيئة للغاية.

"إذا كان لا يزال في حوزتك يا جيردا، فيجب أن تعطيني إياه. سوف أتخلص منه بطريقة ما. إنه الشيء الوحيد الذي قد يربطك الآن بوفاء جون، هل تفهمين. هل تفهمين ذلك؟"

ثم صاد صمت، وبعد ذلك أومات جيردا برأسها.

لم تستطع هنريتا أن تخفي نفاد صبرها، "ألا تعرفين أنه من الجنون أن تحتفظي به؟"

"لقد نسيت أمره. إنه في غرفة نومي بالطابق العلوي."

ثم أضافت: "عندما جاءت الشرطة إلى شارع هارلي، قطعته إلى أجزاء ووضعتها في حقيبة."

قالت هنريتا: "هذا ذكاء منك."

قالت جيردا: "أنا لست غبية للغاية كما يعتقد الجميع". ثم وضعت يدها على حلقها وقالت: "جون- جون"، ثم تلاشى صوتها.

قالت هنريتا: "أنا أعرف يا عزيزتي، أعرف."

قالت جيردا: "ولكن لا يمكنك أن تعرفي... جون لم يكن - لم يكن - وقفت هناك في صمت بشكل مثير للشفقة، ثم رفعت عينها فجأة ونظرت لوجه هنريتا. "كان كل ذلك مجرد كذبة - كل شيء! كل شيء كنت أراه فيه. رأيت وجهه عندما خرج وراء تلك المرأة ذلك المساء، فيرونیکا كراي. عرفت أنه كان يهتم بها قبل سنوات من زواجنا بالطبع، ولكنني ظننت أن الأمر انتهى."

قالت هنريتا بلطف:

"ولكنه كان قد انتهى."

هزت جيردا رأسها.

"لا. لقد وصلت إلى هنا وتظاهرت بأنها لم تر جون منذ سنوات، ولكنني رأيت وجه جون. لقد خرج معها، وذهبت أنا إلى سريري. استلقيت هناك أحاول أن أقرأ. حاولت أن أقرأ تلك الرواية البوليسية التي كان جون يقرأها، ولم يأت جون حتى خرجت في النهاية..."

ألهمها رأسها وقالت في نفسها: "ساعد لنفسي بعض الشيء."

نزلت إلى المطبخ ووضعت الغلاية على النار. كان الماء على وشك الغليان عندما سمعت دقات على الباب الأمامي.

كانت الخادومات في إجازة، فالتجعت جيردا إلى الباب وفتحته. اندهشت عندما رأت سيارة هنريتا الأنيقة مركونة فوق الرصيف، ووجدت هنريتا نفسها تقف على عتبة الباب.

صاحت تقول: "لماذا هنريتا"، ثم تراجعت خطوة أو اثنتين. "ادخلي، أختي والطفلان في الخارج ولكن..."

قاطعتها هنريتا بسرعة وقالت: "جيد، أنا مسرورة، فقد أردت أن أتحدث معك بمفردك، اسمعي يا جيردا، ماذا فعلت بجرباب المهندس؟"

توقفت جيردا، وبدت في عينيها نظرة فارغة تتم عن عدم فهم. فقالت لها: "الجرباب؟"

ثم فتحت باباً في يمين الردهة.

"من الأفضل أن تدخل إلى هنا. أخشى أن التراب يغطيها قليلاً. كما ترين لم نحظ بوقت طويل هذا الصباح."

قاطعتها هنريتا مرة أخرى بسرعة.

قالت لها: "اسمعي يا جيردا، يجب أن تخبريني. باستثناء جرباب المهندس كل شيء على ما يرام، لا لبس فيه. ليس هناك شيء يربطك بالأمر، لقد وجدت المهندس حيث قذفته في الأجمة القريبة من حمام السباحة. وأخفيت في مكان لا يمكن لك أن تتخيليه، وهناك بصمات أصابع عليه لن يتعرفوا عليها أبداً. ولم يبق سوى الجرباب. يجب أن أعرف ماذا فعلت به؟"

توقفت عن الكلام وهي تتمنى على نحو باليس أن تستجيب لها جيردا بسرعة.

لم تكن لديها أدنى فكرة لماذا كل هذه العجلة، ولكنها شعرت بذلك، ثم يتبع أحد سيارتها، كانت متأكدة من ذلك. بدأت في رحلتها على طريق لندن، وملأت سيارتها بالوقود هي المرأب وذكرت أنها في طريقها إلى لندن. وبعد فترة، انعطفت وسارت في الاتجاه المقابل حتى وصلت إلى شارع رئيسي يؤدي إلى جنوب الساحل.

بدت عينها تشرد، وكأنها تتخيل المشهد.

"كان ذلك تحت ضوء القمر. سرت في الطريق المؤدي إلى حمام السباحة. رأيت ضوءاً في الجناح الملحق بحمام السباحة. وجدتتهما هناك - جون وتلك المرأة".

أطلقت هنريتا صوتاً خافتاً.

تغير وجه جيردا. لم يمد يده لمعكس لطفه الفارغ. كان لا ينم عن أي ندم، لا يعرف الصنع.

"لقد وثقت في جون. أمنت به وصدقت كل ما يقوله. ظننت أنه أنبل رجل في العالم. ظننت أنه رمز لكل شيء طيب ونيل، ولكن كل ذلك كان مجرد كذبة! لم يترك لي أي شيء على الإطلاق. لقد - لقد كنت مجنونة به".

كانت هنريتا تحملق فيها بذهول، رأت أمام عينيها التمثال الذي نحتته ومنحته الحياة، التمثال الذي صنعتها من الخشب. إخلاص أعمى يتقلب على نفسه، خائب الأمل، خطير.

قالت جيردا: "لم أستطع أن أتحمّل ذلك! كان عليّ أن أقتله! كان عليّ ذلك - أتفهمن يا هنريتا؟"

قالت بنبرة حوارية ودودة لأقصى درجة.

"وأنا أعرف أنني يجب أن أتوخى الحذر الشديد لأن الشرطة غاية في الذكاء؛ ولكنني لست غبية كما يتصور الناس! إذا كنت بطيئة للغاية وأحملق بصفة مستمرة، يتصور الناس أنني لا أفهم. وأحياناً أضلّك عليهم في داخلي! كنت أعرف أن بإمكانني أن أقتل جون دون أن يعرف أحد بذلك. لأنني قرأت تلك الرواية البوليسية وعرفت فكرة رجال الشرطة على تحديد أي مدس أطلق منه الرصاص. لقد أراني السير هنري كيف أحشو أي مدس وأطلق النار بعد ظهيرة ذلك اليوم. أخذت مدسين، أطلقت النار على جون من أحدهما وأخفيت الآخر، وتركت الناس يشاهدوني وأنا أسلك المدس، وعرفت أنهم سيظنون في البداية أنني أطلقت النار عليه، ثم سيفرون أنه لا يمكن أن يكون قد قتل بهذا المدس. وسيهتفون بعد ذلك بأنني لست القاتلة!"

أومات برأسها بنشوة المنتصر.

"ولكنني نسيت أمر الحافظة الجلدية. كان في درج غرفة نومي. ماذا تسمونه، جرباً؟ بالطبع لن يهتم رجال الشرطة به الآن!"

قالت هنريتا: "لعلهم يهتمون. من الأفضل أن تعطيني إياه، وسوف أخذه بعيداً معي. بمجرد أن يخرج من حوزتك، ستكونين في أمان".

جلست بعدما شعرت بخوف لا يوصف على نحو مفاجئ.

قالت جيردا: "لا تبدين بخير. كنت أعد الشاي".

خرجت من الغرفة، وعلى الفور عادت وهي تحمل صينية الشاي. كان عليها إبريق شاي، وإبريق لبن وفنجانان. انسكب بعض اللبن لأن الإبريق كان ممتلئاً عن آخره. وضعت الصينية على الطاولة، وسكبت بعض الشاي في الفنجان وأعطته لهنريتا.

قالت وهي مرعوبة: "أوه، عزيزتي، لم أعرف أن الغلاية كانت تغلي طوال تلك الفترة".

قالت هنريتا: "لا بأس على الإطلاق. اذهبي وأحضري جراب المدس يا جيردا".

ترددت جيردا ثم خرجت من الغرفة. انصنت هنريتا للأمام ووضعت ذراعها على الطاولة ثم وضعت رأسها بينهما. كانت متعبة للغاية، متعبة إلى حد كبير، ولكن الأمر انتهى تقريباً الآن. جيردا ستكون في أمان، كما أراد جون بالضبط.

رفعت رأسها، ورفعت شعرها من على جبينها وأمسكت فنجان الشاي. ثم سمعت صوتاً قادماً من ناحية الباب ففطرت إليه، تحركت جيردا بسرعة للمرة الأولى.

كان هيركيول بوارو يقف على مدخل الباب.

قال وهو يقترب من الطاولة: "كان الباب الأمامي مفتوحاً، لذلك سمحت لتفسي بالدخول".

قالت هنريتا: "أنت! كيف وصلت إلى هنا؟"

"عندما غادرت منزل هولو على هذا النحو المفاجئ، كان من الطبيعي أن أعرف إلى أين ستذهبن، فاستأجرت سيارة سريعة جداً وجئت إلى هنا مباشرة".

تهنأت هنريتا وقالت: "فهمت، هذا طبيعي".

قال بوارو وهو يأخذ منها فنجان الشاي ويميده إلى الصينية: "لا يجب أن تشربي هذا الشاي، الشاي الذي يعد بماء ظل يفني لفترة طويلة ليس جيداً".

"هل أمر صغير كفلبان الماء مهم حقاً؟"

قال بوارو بلطف: "كل شيء مهم".

سمع صوتاً من خلفه، دخلت جيردا الغرفة. كانت تحمل حقيبة في يدها. فتحولت بناظريها من بوارو إلى هنريتا.

قالت هنريتا بسرعة:

"أخشى يا جيردا أنني شخصية مثيرة للضك. يبدو أن السيد بوارو يتبعني. إنه يظن أنني قتلت جون، ولكنه لا يستطيع أن يثبت ذلك".

تحدثت ببطء بشكل متعمد. أطالت الحديث للرجة لم تترك مجالاً لجيردا لكي تتحدث.

قالت جيردا على نحو غامض: "أنا غاية في الأسف. هل تريد بعض الشاي يا سيد بوارو؟"

"لا، شكرًا لك يا سيدتي".

جلست جيردا خلف الصينية. وبدأت في الحديث بطريقتها الحوارية وتمتدز.

"أنا غاية في الأسف لخروج الجميع. أختي والطفلان خرجا للتنزه، ولكنني

كنت متعبة، فتركوني هنا بمفردي".

"أنا أسف يا سيدتي".

رفعت جيردا فنجان الشاي واحتست بعضاً منه.

"الأمر كله مقلق للغاية. كل شيء مقلق. كان جون يهتم بكل شيء ولكنه مضى الآن...". سكنت لحظات ثم كررت كلامها بصوت متقطع: "لقد مضى جون".

تنقلت بنظرتها الوردية، الحائرة من أحدهما إلى الآخر.

"لا أعرف ماذا أفعل الآن من غير جون. كان جون يعتني بي، كان يرعاني. ولكنه مضى الآن، مضى كل شيء. والطفلان، إنهما يمسآنني أسئلة لا أستطيع أن أجيب عنها بالشكل المناسب. لا أعرف ماذا أقول لـتيري. إنه يظل يقول: "لماذا

قتل والدي؟". بالطبع سيكتشف الحقيقة في يوم ما: فتيري يجب أن يعرف دوماً. ولكن ما يشغلني أنه دائماً ما يتساءل عن السبب، وليس القاتل".

تراجعت جيردا في جليستها. ازوت شفتاها كثيراً.

قالت بجمود:

"أشعر - لست على ما يرام - إذا كان جون - جون -".

اقترب بوارو من الطاولة ووضعها على جنبها في الكرسي. سقط رأسها للأمام. فالتحى ناحيتها ورفع جفنها، ثم قال على الفور:

"وفاة سهلة بدون أي ألم".

حدقت هنريتا فيه.

"أزمة قلبية؟ لا"، ثم استتجت بعقلها: "شيء في الشاي. شيء وضعته في الشاي لنفسها. لقد اختارت هذا المخرج؟".

هر بوارو رأسه بلطف.

"أوه، لا، لقد كان معداً لك. كان في فنجان الشاي الخاص بك".

"معداً لي؟" قالت هنريتا بصوت متشكك: "ولكنني كنت أحاول أن أساعدها".

"هذا لا يهم. ألم تري من قبل كلباً واقعاً في شرك، إنه يفرس أسنانه في أي شخص يلمسه. وكانت ترى أنك تعرقين سرها، لذلك كان يجب أن تموتي أنت أيضاً".

قالت هنريتا ببطء:

"وأنت أخذت مني فنجان الشاي وأعدته إلى الصينية - اتعني - اتعني أنك".

قاطمها بوارو بسرعة:

"لا، لا يا أنسة. لم أعرف أن الشاي كان يحتوي على شيء ما. فقط كنت أجهل أنه قد يحتوي على شيء. وعندما أعدت الفنجان إلى الصينية كانت مصادفة

جيدة للعرف ما إذا شربت منه أو من الفنجان الآخر، إذا وصفناها بأنها مصادفة. أنا شخصياً أرى هذه النهاية رحيمة للغاية - من أجلها ومن أجل الطفليين البريئين".

ثم قال بلطف لهنريتا: "أنت متعبة للغاية، ليس كذلك؟".

أومات برأسها. ثم سألته: "متى خمنت؟"

"لم أعرف بالضبط. كان المشهد معداً، شعرت بذلك منذ البداية. ولكنني لم أعرف منذ فترة طويلة أن جيردا كريستو هي التي أعدته بنفسها، أن توجهها كان مصطنعاً لأنها كانت تلعب دوراً فيه. لقد احترت من بساطة وتعميد الوضع في الوقت نفسه. أدركت على الفور أنني كنت أحارب ذكائك، وأيضاً مساعدة وتحريض أواريك بمجرد أن أدركوا ما تريدون عمله". سكت قليلاً ثم أردف يقول: "لماذا أردت ذلك؟"

"لأن جون طلب مني ذلك! هذا هو ما كان يعنيه بقوله "هنريتا". لقد احتوت هذه الكلمة كل ذلك. كان يطلب مني أن أحمي جيردا. أرايت، لقد أحب جيردا. أظن أنه أحب جيردا أكثر مما كان يعرف أنه يحبها - أكثر من فيرونيكا كراي، وأكثر مني. كانت جيردا تنتمي له، ولقد أحب جون الأشياء التي تنتمي له. كان يعرف أنه لو أمكن لأي شخص أن يحمي جيردا من نتائج فعلتها، فأنا هذا الشخص. وكان يعرف أنني سأفعل أي شيء يريده، لأنني أحببته".

قال بوارو بتجهم: "وبدأت أنت في ذلك على الفور".

"نعم، أول شيء فكرت فيه هو أن أقتنع المهندس من يديما وألقيه في حمام السباحة، فهذا من شأنه أن يطمس بصمات الأصابع من عليه. وعندما اكتشفت لاحقاً أنه قتل بمسدس آخر، خرجت لأبحث عنه، وكان من الطبيعي أن أجده بسرعة لأنني أعرف نوع الأماكن الذي قد تخفي فيه جيردا أي شيء. لقد سبقت المفتش جرانج ورجاله بدقيقة أو اثنتين فقط".

سكتت قليلاً ثم أردفت تقول: "لقد أبقيته معي في تلك الحقيبة المدرسية الخاصة بي حتى أستطيع أن أخذه إلى لندن. ثم أخفيت في الاستديو حتى أستطيع أن أعيد، ووضعت في مكان لا يمكن لرجال الشرطة أن يعثروا عليه فيه".

تمتم بوارو يقول: "الحصان المصنوع من الطين".

"كيف عرفت؟ نعم، وضعته في حقيبة صغيرة ثم أحطتها بالطين وصنعت منه تمثالاً لحصان. ففي النهاية، لن يحطم رجال الشرطة عملاً فنياً لغنان، أليس كذلك؟ ما الذي جعلك تعرف أنني وضعت بداخله؟"

"حقيقة أنك اخترت أن تصنع تمثالاً لحصان. لقد تذكرت حصان طروادة على الفور في عقلك الباطن. ولكن بصمات الأصابع، كيف دبرت بصمات الأصابع الموجودة عليه؟"

"إنها لرجل عجوز كثيف كان يبيع الكبريت في الشارع. لم يعرف ما الذي طلبت منه أن يحمله للحظة حتى أخرج له المال".

نظر إليها بوارو للحظة.

تمتم يقول: "هذا مذهل! أنت واحدة من أفضل المنافسين الذين رأيتهم على الإطلاق".

"كان من الصعب دوماً أن أحاول أن أسبقك خطوة".

"أعرف. بدأت أعرف الحقيقة بمجرد أن رأيت أن الهدف كان مصمماً على الدوام لعدم إشراك شخص بعينه وإنما لإشراك الجميع - باستثناء جيردا كريستو. كانت كل المؤشرات بعيدة عنها دوماً. لقد تعمدت رسم جيردا إسرائيل لتجذبي انتباهي وتدخلني نفسي في دائرة الاتهام. واستمعت لليدي أنجيكا تال - التي كانت تعرف جيداً ما تفعلينه - بتضليل المفتش جرانج المسكين مرة تلو الأخرى؛ مرة ديفيد ثم إدوارد ثم نفسها.

"نعم، فهناك أمر واحد يجب عمله إذا أردت أن تبعد شخصاً مذنباً بالفعل عن دائرة الاتهام: يجب أن تقترح وجود خطأ في أي مكان دون أن تحدد موقعه. ولهذا السبب بدا كل مفتاح لحل اللغز واعداً، ثم يتضح بعد ذلك أنه لا يؤدي لأي شيء".

نظرت هنريتا إلى الجثة المكممة بشكل يثير الشفقة على الكرسي، ثم قالت: "مسكينة جيردا".

"هل هذا ما كنت تشعرين به طوال الوقت؟"

"أظن ذلك. لقد أحببت جيردا جون كثيراً، ولكنها لم ترد أن تحبه لما كان عليه. فقد صنعت له تمثالاً وألصقت به كل صفة رائعة ونييلة وغير أذنية. وإذا رميت تمثالاً بحجر، فلن يتبقى منه شيء". سكتت قليلاً ثم أردفت تقول: "ولكن جون كان أفضل بكثير من مجرد تمثال موضوع فوق قاعدة. كان إنساناً حقيقياً نابضاً بالحياة. كان كريماً وداهاً ونشيطاً، وكان طبيباً عظيماً، نعم طبيباً عظيماً.

ولكنه مات، وسيُفقد العالم طبيعياً عظيماً للغاية، بينما فقدت أنا الرجل الوحيد الذي أحبيته."

وضع بوارو يده برفق على كتفها وقال لها:

"ولكنك أحد الأشخاص الذين يمكنهم العيش وسيف مفروس في قلبك - أحد الأشخاص الذين يمكنهم المضي والتبسم -".

نظرت هنريتا إليه، بعدما ارتسمت على شفتيها ابتسامة مريّة.

"هذا محزن بعض الشيء، أليس كذلك؟"

"هذا لأنني أجنبي وأحب أن أنتقي ألقاظي".

قالت هنريتا على نحو مفاجئ:

"لطالما كنت طبيباً للغاية معي".

"هذا لأنني أعجبت بك كثيراً منذ رأيتك".

"سيد بوارو، ما الذي ستفعله؟ أعني بخصوص جيردا".

أمسك بوارو الحقيبة المصنوعة من نخل الراقية. وأفرغ محتواها، قصاصات من الجلد البني، وأخرى من الجلد الملون. كانت هناك بعض أجزاء من جلد بني لامع، ثم جمع هذه القصاصات ووضع كل واحدة في مكانها.

"سأخذ هذا الجراب، والسيدة كريستو المسكينة، لقد كانت في حالة مصيبة مزرية، فقد كانت وفاة زوجها صدمة كبيرة عليها، سيظن الناس أنها انتحرت في صمت -".

قالت هنريتا ببساطة:

"ولن يعرف أحد ما حدث في الحقيقة؟"

"أظن أن شخصاً واحداً سيعرف، ابن دكتور كريستو. أظن أنه سيأتي ذات يوم ويسألني عن الحقيقة".

صاحت هنريتا: "ولكنك لن تخبره".

"بلى سأخبره".

"أوه، لا".

"أنت لا تفهمين. أنت ترين أن جرح أي شخص أمر لا يحتمل؛ ولكن بعض الناس يرون أن هناك شيئاً لا يحتمل أكثر منه؛ وهو عدم المعرفة. لقد سمعت المرأة المسكينة منذ وقت قصير تقول: "ثيري يجب أن يعرف دوماً". وبالنسبة لعقل عملي، الحقيقة تأتي في المقام الأول. فالحقيقة، رغم مرارتها، من الممكن تقبلها، وحياتها لتصبح جزءاً من تصميم الحياة".

نهضت هنريتا.

"هل تريدني هنا، أم أنه من الأفضل أن أذهب؟"

"أظن أنه من الأفضل أن تذهبي على ما أتصور".

أومأت برأسها، ثم قالت بطريقة تدل أنها تحدث نفسها، لا تحدثه:

"إلى أين سأذهب؟ ماذا سأفعل - من دون جون؟"

"أنت تتحدثين مثل جيردا كريستو. سوف تعرفين إلى أين ستذهبين وماذا تفعلن".

"هل هذا صحيح؟ أنا متعبة جداً، يا سيد بوارو، أنا متعبة للغاية".

قال لها بلطف:

"أذهبي يا صغیرتي. مكانك وسط الأحياء، وسأبقى أنا هنا مع الأموات".

تملكتها مرارة وتمرد أسود.

قالت في نفسها: "أتمنى لو كنت شربت فنجان الشاي ذلك".

هدأتها قيادة السيارة، ومنحتها القوة للحظة. ولكنها عما قريب ستكون في لندن. عما قريب ستضع السيارة في المرآب وتتجه إلى الأستديو الفارغ. فارغ لأن جون لن يجلس هناك أبداً ويستأسد عليها، ويغضب منها، ويحبها أكثر مما كان يريد أن يحبها، ويحدثها بشغف عن مرض ريدجواي، عن انتصاراته وإخفاقاته، عن السيدة كرابتري وسانت كريستوفر.

وفجأة، بعدما انزاحت السحابة السوداء التي سيطرت على عقلها، قالت في نفسها:

"بالطبع، سأذهب إلى هناك، إلى سانت كريستوفر".

نظرت السيدة كرابتري العجوز التي كانت مستلقية على سريرها الصغير في المستشفى إلى زائرتها بعين لامة.

وجدتها بالضبط كما وصفها لها جون، وشعرت هنريتا بدفع مفاجئ وارتفاع في روحها المعنوية. كان ذلك حقيقياً، هذا سوف يستمر هنا، في ذلك المكان الصغير، وجدت جون مرة أخرى.

قالت السيدة كرابتري: "الطبيب المسكين، هذا مروع، أليس كذلك؟". شعرت بمتعة في صوتها مشوبة بأسف، فقد أحبت السيدة كرابتري الحياة، وحالات الموت المفاجئ، وخاصة حالات الموت التي يصاحبها ولادة طفل، فهي أكثر أجزاء الحياة شراً. "يطلق عليه النار بهذه الطريقة! لقد انقلبت معدتي عندما قرأت الخبر في الصحف. لقد أعطتني أختي كل الصحف التي استطاعت أن تحصل عليها. كان ذلك لطفاً شديداً منها. كانت هناك صور وكل شيء، حمام السباحة وكل شيء. ثم فتح باب التحقيق مع زوجته، مسكينة، وأيضاً الليدي أنجيكا كاتل صاحبة حمام السباحة. وجدت الكثير من الصور. الأمر كله غامض، أليس كذلك؟".

لم تشمئز هنريتا من متعتها الشنيعة، بل إنها أحبتها لأنها عرفت أن جون نفسه كان سيحبها، إذا كان مقدراً له أن يموت، فإنه كان سيفضل أن تستمتع بهذا الخير أكثر من أن تبكي وتذرف الدموع عليه.

## الثلاثون

عندما كانت تقود السيارة إلى لندن، ظلت العبارتان تترددان في عقلها: "ماذا سأفعل؟ إلى أين سأذهب؟".

طوال الأسابيع الأخيرة وهي متوترة، ومنفصلة، ثم ترتع للحظة. كانت أمامها مهمة تؤديها، مهمة كلّفها بها جون؛ ولكن الآن بعد انتهاء المهمة - هل فشلت أم نجحت في أداؤها؟ كلا الأمرين فيهما جانب من الصحة، ولكن كيفما نظرت إليها، يبقى أن الشيء المؤكد هو انتهاء المهمة، وشعرت هي بتعب مروع إزاء تفكيرها في كيفية أدائها لهذه المهمة.

ذهب عقلها إلى الكلمات التي قالتها لإدوارد في تلك الليلة في الشرفة - ليلة مقتل جون - الليلة التي ذهبت فيها بمفردها إلى حمام السباحة وإلى الجناح الملحق به ورسمت متعمدة - على ضوء عود كبريت - يجدراسيل على طاولة حديدية، تخميط متعمد، رغم عدم قدرتها على أن تجلس وتحزن؛ تحزن على موت جون. قالت لإدوارد: "أريد أن أحزن على جون".

ولكنها في ذلك الوقت لم تجرؤ على أن ترتاح، لم تجرؤ على أن تسمح لحزنها بأن يسيطر عليها.

ولكن الآن بإمكانها أن تحزن. الآن، أصبح أمامها متسع من الوقت لتحزن.

قالت وهي مكلومة النفس: "جون... جون".



تابعت السيدة كرابتري كلامها بنبرة انتقامية: "كل ما أتمناه هو أن تلقي الشرطة القبض على القاتل ويلقي جزاءه. لم يعد هناك شئ عني كما كانوا يفعلون من قبل، وهذا مؤسف. لطالما كنت أريد أن أشهد شئ شخص ما. وسوف أذهب بسرعة كبيرة، إن فهمت ما أعنيه، لأرى المجرم الذي قتل الطبيب مشنوقاً! شخص شرير بالفعل! لماذا يقتل طبيباً لا مثيل له. في مثل ذكائه ثم يفلت من العقاب بهذه الطريقة! أنه أمر يجعلك تضحكين شئت أم أبيت، مثلما كان يقول في بعض الأحيان! كنت سأفعل أي شيء من أجل الطبيب، كنت سأفعل أي شيء من أجله."

قالت هنريتا: "نعم، لقد كان رجلاً ذكياً للغاية. كان رجلاً عظيماً."

"كل العاملين بالمستشفى كانوا يحبونه! كل الممرضات، وأيضاً المرضى! كانوا يشعرون دوماً بأن حالتهم ستتحسن بمجرد تواجده معهم."

قالت هنريتا: "إذن سوف تتحسنين."

أظلمت العينان الصغيرتان الذكيان للحظة.

"لست واثقة من ذلك يا عزيزتي. يشرف علي الآن ذلك الطبيب معسول اللسان الذي يضع نظارات طبية. مختلف تماماً عن دكتور كريستو. لا يضحك أبداً! كان قريذاً من نوعه، كان يحب الضحك دوماً! كنت أعاني أوقاتاً عصيبة عندما أخضع للعلاج معه. أقول له إنني لا أستطيع أن أتحمل أيًا منها. فكان يقول لي: "بلي يمكنك يا سيدة كرابتري، أنت قوية، بإمكانك تحمله. سوف أصنع أنا وأنت تاريخاً طبياً". كان يضحكني بهذه الطريقة. كنت سأفعل أي شيء من أجله! كان يتوقع مني الكثير، وكنت أشعر بأنه لا يمكنني أن أخذته، إن فهمت ما أعنيه."

قالت هنريتا: "أعرف."

ظفرت إليها بعينيهما الصغيرتين نظرة ثابتة.

"اعذريني يا عزيزتي، أنت لست زوجة الطبيب بالمناسبة؟"

قالت هنريتا: "لا، أنا مجرد صديقة."

قالت السيدة كرابتري: "فهمت."

اعتقدت هنريتا أنها فهمت فعلاً.

"ما الذي جعلك تأتين إلى إن لم تمنعني سؤالي؟"

"اعتاد الطبيب أن يحدثني كثيراً عنك، وعن علاجه الجديد، وأردت أن أرى كيف حالك."

"أنا أراجع! هذا هو ما أفعله."

صاحت هنريتا تقول: "ولكن لا يجب أن تتراجعي! يجب أن تتحسن حالتك!"

كشرت السيدة كرابتري عن أنيابها وقالت:

"لا أريد أن أموت، ألا تعتقدين ذلك؟"

"حسناً، قاتلي الموت! دكتور كريستو كان يقول إنك مقاتلة."

"هل قال ذلك؟"، ظلت السيدة كرابتري ساكنة في مكانها للحظة، ثم قالت بترن:

"أيًا كان من قتله، فهو شريراً ليس هناك كثيرون مثله."

لن نرى مثله مرة أخرى. ترددت الكلمات في أذني هنريتا. كانت السيدة كرابتري تحترمها كثيراً.

"تشجعي يا عزيزتي"، ثم أردفت تقول: "أمل أن يكون قد حظى بجنازة مشرفة."

قالت هنريتا بلطف: "كانت جنازة مشرفة."

"أها، أتمنى لو حضرته!"

تتهافت السيدة كرابتري.

"بعد ذلك يحين الدور علي."

صاحت هنريتا: "لا، لا يجب أن تموتي. لقد قلت لتوك إن دكتور كريستو قال إنكما ستصنعان تاريخاً طبياً. حسناً، يجب أن تواصلتي الدرب وحدك. العلاج لن يختلف. يجب أن تستجمعي شجاعته، يجب أن تصنعي تاريخاً طبياً بنفسك، من أجله."

نظرت إليها السيدة كرابتري للحظة أو اثنتين.

"يبدو ذلك تحدياً قوياً! سأبذل قصارى جهدي يا عزيزتي. لا أستطيع أن أتحدث أكثر من ذلك."



نهضت هنريتا وأمسكت يدها.

"الوداع، سأتي لأطمئن عليك مرة أخرى إن سمحت لي".

"نعم، شكلاً منا عن الطبيب يريحني كثيراً". ثم لمعت عينها بصلاية مرة أخرى وقالت: "كان دكتور كريستو رجلاً محترماً في كل شيء".

قالت هنريتا: "نعم، كان كذلك".

قالت السيدة المعجوز:

"لا تقلقي يا عزيزتي، فما مضى مضى، ولا يمكنك أن تعيديه".

وجدت هنريتا أن السيدة كرابتري وهيركيول بوارو عبرا عن الفكرة نفسها بتعابير مختلفة.

قادت سيارتها إلى تشيلسي، وأوقفت السيارة في المرآب ودخلت الأستديو بخطى متعاقلة.

قالت في نفسها: "والآن حان الوقت، اللحظة التي كنت أخشاها، لحظة جلوسي بمفردي. لم يعد بإمكانني الآن أن أوجع حزني أكثر من ذلك. لقد آن الأوان لكي أحزن".

ما الذي قالت له لإدوارد؟ "أريد أن أحزن على جون".

جلست على كرسي وأرجعت شعرها للخلف.

وحدة - فراغ - يؤس. هذا الفراغ المروع.

انسابت الدموع من عينيها، وسالت على وجنتيها.

حزن، حزن على جون، أوه جون، جون.

تذكرت صوته، صوته الحاد المتألم وهو يقول:

"إذا مت فسيكون أول شيء تفعلينه، والدموع تنهمر من عينيك على وجهك، هو أن تبدلي في عمل تمثال لسيده حزينة أو أي تمبير آخر ينم عن الألم والحزن".

تململت في جلستها. لماذا خطرت هذه الفكرة برأسها؟

حزن - حزن... شكل مبهم، لا يمكن تحديد ملامحه الخارجية - يضع قلنسوة على رأسه.

حجر المرمر.

رأت ملامحه، ملوياً مستطيلاً، حزنه مبهم، لا تفصح عنه سوى الخطوط الطويلة الكثيرة المصنوعة من خلال الجوخ.

الحزن، الظاهر على حجر نقي شفاف من المرمر.

"إذا مت..."

اعتصرها ألم مفاجئ بشكل شريب!

قالت في نفسها: "هذا ما أنا عليه! كان جون محقاً. لا أستطيع أن أحب - لا أستطيع أن أحزن - لا أستطيع أن أفعل ذلك بكل وجداني.

"ميدج، أمثال ميدج هم ملح الأرض؛ هم من يعطون الحياة طعماً ومذاقاً مميزاً".

ميدج وإدوارد في إينزويك.

هذه هي الحقيقة - القوة - الدفء.

قالت في نفسها: "ولكنني لست إنسانة كاملة. لا أفتني إلى نفسي، وإنما لشيء خارج عني. لا أستطيع أن أحزن على موتاي؛ ولكنني يجب أن أصنع من أحزاني تمثالا من المرمر..."

المعرض رقم ٨٨ "الحزن" حجر المرمر. الأتيسة هنريتا سافرنيك...

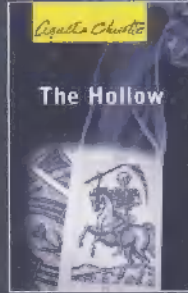
قالت بصوت مكتوم:

"جون، سامحتني، سامحتني، هذا كل ما يمكنني عمله".

تمثال مجسم من المرمر  
للسيدة حزينة  
في المعرض رقم ٨٨  
في المعرض رقم ٨٨

# الأجوف

إعلان عن جريمة  
أوراق لعب على الطاولة  
القتل السهل  
خداع المرايا  
الجواد الأشهب  
لفز القطار الأزرق  
الأفيال تستطيع أن تتذكر  
الأجوف  
الستارة  
بعد الجنازة  
شر تحت الشمس  
الجريمة النائمة  
العدو الخفي  
مقتل الحمام  
الموت على ضفاف النيل



هوبل بوارو يترحاب كلبه لدى وصوله  
لحفل العشاء بمنزل لوسي أنجكتيل  
الريفي، فكان هناك رجل مستقل  
يعتصر بجوار حمام السباحة،  
وقطرات دمائه تسيل مختلطة بمياه  
الحمام. وكانت زوجته واقفة بجواره  
ممسكة بمسدس.

وفي أثناء التحقيق، بدأ بوارو ويكتشف  
أنه تحت الأسطح المهتدمة تكمن الكثير من الأسرار العائلية  
المعقدة ويصبح الجميع محلًا للشك؟  
كتاب غريب ومثير؛ كالمياه العميقة التي لها تيارات خفية  
قوية.

- مايكل ويليك

كاتب عالمي حاصل على العديد من الجوائز

«أجاثا كريستي مؤلفة الروايات البوليسية الأكثر مبيعاً على مدار التاريخ؛  
حيث لم تتمكن أية أعمال أخرى من تحطي مبيعاتها سوى أعمال شكسبير.  
لقد بيع أكثر من مليار نسخة من أعمالها باللغة الإنجليزية، إلى جانب مليار  
نسخة أخرى مترجمة إلى مائة لغة. توفيت أجاثا كريستي عام ١٩٧٦».

